التقابل الدلالي
في نهج البلاغة

تغريد عبد فلحي

اعداد مكتبة الروضة الحيدرية

المكتبة الرقمية

الرسائل الجامعية

التقابل الدلالي في نهج البلاغة

تغريد عبد فلحي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾

صدق الله العلي العظيم

(الأعراف /اية٤٤)

إلى من تحملا من أجلي الكثير من العناء

إلى من علّماني الحبَّ و الوفاء

..... إلى أمي و روح أبي الطاهرة

وإلى من ترعرعا في كنف اليتم

..... ابنتي فاطمة و أخي حيدر .

محتوى الرسالة

الموضوع :	الصفحة
المقدمة .	أ – د
التمهيد : مفهوم التقابل بين القدامى والمحدثين :	١ – ٢١
ولاً : التقابل عند اللغويين القدامى .	٢
ثانياً : التقابل عند البلاغيين .	١١
ثالثاً : التقابل عند المحدثين .	١٧
الفصل الأوّل : التقابل الدلالي في الألفاظ المفردة .	٢٢ – ٦٥
ولاً : التقابل الدلالي بين الألفاظ المتجانسة :	٢٤
أ . التقابل الدلالي بين ألفاظ الزمان .	٢٤
ب . التقابل الدلالي بين ألفاظ المكان .	٣٣
ت . التقابل الدلالي بين ألفاظ الهداية و الضلال .	٤٠
ث . التقابل الدلالي بين ألفاظ الغيب .	٤٤
ج . التقابل الدلالي بين الألفاظ النفسية .	٤٧
ح . التقابل الدلالي بين ألفاظ العبادة .	٥٢
خ . التقابل الدلالي بين ألفاظ الأجناس .	٥٦

ثانياً : التقابل الدلالي في الألفاظ غير المتجانسة (المعنوي) ٦١

الفصل الثاني : التقابل الدلالي في المشتقات والأسماء والأفعال . ٦٦ – ١١٩

ولاً : التقابل الدلالي بين المشتقات : ٦٧

١ . الصفة المشّبَهة . ٦٨

٢ . اسم الفاعل . ٧٥

٣ . اسم المفعول . ٨٤

٤ . اسم التفضيل . ٨٨

ثانياً : تقابل المصادر . ٩١

ثالثاً : التقابل الدلالي بين الأفعال : ٩٩

١ . التقابل الدلالي بين الأفعال الدالة على الحركة . ٩٩

٢ . التقابل الدلالي بين الأفعال الدالة على الحالة الشعورية (النفسية) . ١٠٨

٣ . التقابل الدلالي بين الأفعال الدالة على الزمان . ١١٠

٤ . التقابل الدلالي بين الأفعال الدالة على المقادير والأحجام . ١١١

٥ . التقابل الدلالي بين الأفعال الدالة على الأحكام الشرعية . ١١٤

٦ . التقابل الدلالي بين الأفعال الدالة على المكان حقيقة و مجازا. ١١٥

٨ . تغاير الأفعال. ١١٨

الفصل الثالث : التقابل الدلالي في التراكيب والأساليب . ١٢٠- ١٥٩

أولاً ً : التقابل الدلالي بين التراكيب : ١٢١

١ . التقابل الدلالي التركيبي الفعلي : ١٢٢

أ – التقابل الدلالي بين فعلين وفاعليهما . ١٢٢

ب – التقابل الدلالي بين فعلين ومفعوليهما . ١٢٤

ج – التقابل الدلالي بين فعلين ومتعلقيهما . ١٢٩

٢ . التقابل الدلالي التركيبي في سياق الجملة الشرطية . ١٣٢

٣ . التقابل الدلالي التركيبي الاسمي (المصدري) . ١٣٥

٤ . التقابل الدلالي بين أشباه الجمل : ١٣٦

أ – التقابل الدلالي بين الظروف . ١٣٧

ب – التقابل الدلالي بين الجار والمجرور (التقابل الحرفي) . ١٣٩

ثانياً : التقابل الدلالي في الأساليب : ١٤٤

الأسلوب . ١٤٤

١ . التقابل الدلالي بين الصور . ١٤٦

٢ . التقابل الدلالي بين المواقف (التقابل الموقفي) . ١٥١

٣ . التقابل الدلالي بين المشاهد . ١٥٥

الخـاتـمـة . ١٦٠

المصادر والمراجع . ١٦٣

ملخص الرسالة باللغة الإنكليزية . A - C

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره، وسبباً للمزيد من فضله، ودليلاً على آلائه وعظمته، والصلاة والسلام على خير خلق الأنام المصطفى سيد الورى، وعلى آله أُولي الفضل والنُهى سفينة النجاة منار التُقى، وأعلام الهدى، من تمسّك بهم نجا ومن ضَلَّ عنهم خاب وهوى، وعلى صحبه ممّن ارْتضى .

يُعدُّ كتاب نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب (ت ٤١ هـ) (عليه السلام)، الكتاب الخالد بعد القرآن الكريم، والسُنّة النبوية، فهو يتلوهما في القصد والمنزلة سواء أكان في عمق محتواه ومضامينه، أم في روعة نهجه وأدبه وأسلوبه، ولعمري إن العقل الإنساني ليحار أمام عظمة هذا السفر الذي يدل على عظمة صاحبه وامتيازه، وعلى إمامته وعصمته وبلاغته، لأنّ ما جاء فيه من المعاني الجليلة التي هي امتداد لمعاني القرآن، وتفسير لها، لكفيل بإثبات أنه دون كلام الخالق و فوق كلام المخلوقين .

لقد آثرت ومنذ الدراسات الأولية البحث في الدلالة وموضوعاتها، لذا كان لاقتراح الدكتور الفاضل علي الخالدي في قسم اللغة العربية لهذا الموضوع والميدان صدىً رحبٌ، وذلك لأن البحث في الدلالة ذو أهمية كبيرة، ولأن الدلالة موضوع عميق وحيوي يستوعب ويتصل بجميع موضوعات اللغة، بل هو محور اللغة، إذ إنّ الدلالة الطريق إلى المعنى، ويجب الاهتمام بهذا الطريق، لأننا جميعاً نبغي الوصول إلى المعنى، فكان هذا هو سبب اختيار الموضوع .

فشرعت بعد ذلك في الغور في مضامين (نهج البلاغة) لأستخرج كنزٍ من كنوزه ولآلئه، فوجدت أن ظاهرة التقابل تزخر فيه لما لها من أثر في إيصال المعنى وفي التأثير في المتلقي، فكان البحث عن هذه الظاهرة هو هدف الدراسة .

ولابد من الإشارة إلى أنّ ثمّة دراسات عُنيت بدراسة التقابل الدلالي، فكان منها ما هو قريب من دراستنا وكان بعض منها بعيداً، غير أنها تختلف عنها في ميدان الدراسة، ومن تلك الدراسات، دراسة الدكتور أحمد نصيف الجنابي الموسومة بـ (ظاهرة التقابل في علم الدلالة)، وثمّة دراسة أخرى له هي (ظاهرة التقابل الدلالي في سورة الزمر)، وجاءت دراسة الباحث عبد الكريم العبيدي الموسومة بـ (ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية)، وأعقبتها دراسة الباحثة منار صلاح الدين الصفار الموسومة بـ (التقابل الدلالي في القرآن الكريم).

أما طبيعة الموضوع فقد اقتضت تقسيمه على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة:

أما التمهيد فقد حددت فيه مفهوم التقابل عند اللغويين القدماء، وقد استقريت ذلك من المعجمات العربية، وتطرّقت إلى المفهوم العام للتقابل في كتب تفسير القرآن عند تفسير الآيات التي وردت فيها لفظة (متقابلين)، وهذا المعنى اللغوي للمفهوم يُشكل طريقاً لفهم التقابل اصطلاحاً، ومن ثمّ عرّجت على المفردات التي تنطوي عليها معاني التقابل عند البلاغيين وأسدلت ستار التمهيد عند مفهوم التقابل لدى المحدثين .

وقد ضمّ الفصل الأول دراسة التقابل الدلالي في الألفاظ المفردة، وقد آثرت على أن يضم التقابل الدلالي للألفاظ المتجانسة، وتمّت فيه دراسة التقابل الزماني، والمكاني، وتقابل ألفاظ الهداية والضلال ، والتقابل الغيبي، والنفسي، والعبادي، ثم التقابل الدلالي لألفاظ الأجناس، وأوصدت باب الفصل الأول بـ(التقابل الدلالي للألفاظ غير المتجانسة) المعنوي .

واختص الفصل الثاني بدراسة التقابل الدلالي في المشتقات والأسماء والأفعال، فقد دونت في التقابل الدلالي في المشتقات متتبعة أكثرها وروداً في النهج، تقابل الصفة المشبّهة واسمي الفاعل والمفعول، واسم التفضيل، ولم أجد ألفاظاً متقابلة وردت في النهج على صيغ المبالغة، وأعقبت دراسة تقابل المشتقات، دراسة المصادر المتقابلة، وتلت دراسة التقابل الدلالي بين الأسماء (المصادر)، دراسة التقابل الدلالي بين الأفعال وكانت دراسة من الوجهة الدلالية .

وعُني الفصل الثالث وهو الأخير بدراسة التقابل الدلالي في التراكيب والوحدات الكبيرة (الأساليب)، فسجلت في هذا الفصل التركيب الفعلي، والاسمي، والتقابل التركيبي الشرطي وتقابل أشباه الجمل أولاً، وأفردت الفقرة الثانية لدراسة الصور والمواقف والمشاهد. ثم خلص البحث بعد ذلك إلى خاتمة دوّنت فيها أهم ما تجلّى لي من الخوض في دراسة (التقابل الدلالي في نهج البلاغة)، ثم أفضى البحث بعد خاتمته إلى روافد البحث من المصادر والمراجع . ولأنّ البحث قسيمٌ بين البلاغة والدلالة، لذا اعتمدت في الدراسة على مصادر ومراجع قديمة وحديثة منها مراجع البلاغة القديمة و مصادر المعجمات وكتب الدلالة الحديثة ومراجع متنوعة أفادت البحث.

وقد اعتمدت التماس الشاهد في البحث من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، تحقيق الدكتور محمد أبو الفضل إبراهيم. أما المنهج المتبع في هذه الدراسة، فهو المنهج الوصفي، إذ بنيت الدراسة على ذكر الموضوع وبيان ماهيته، ثم الرجوع إلى آراء العلماء، ثم التماس الشاهد من نهج البلاغة وتحليله دلالياً .

وبفضل الروح العلمية ورحابة الصدر التي حظيت بها من أستاذي المشرف الدكتور علي ناصر غالب، لم تواجهني مشكلة تستحق الذكر خلال مدة البحث، على الرغم من حداثة الموضوع وقلّة مصادره، ولعل من الوفاء والعرفان بالجميل أن أتقدم له بشكري الجزيل. سائلةً الله عزّ وجل أن أكون قد منحت الدراسة حقّها، ووفيت بمطالبها، طالبةً عفو من كان كتابه مصدر هذه الدراسة عمّا ورد مني من نقص وتقصير. وأخيراً، نحمد الله على ما كان، ونستعينه من أمرنا على ما يكون .

التمهيد

مفهوم التقابلبين القدامى والمحدثين

أولاً : التقابل عند اللغويينالقدامى

التقابل لغةً :

هو مصدر أُخذ من الأصل الثلاثي (ق ب ل) وقد تنوعت معانيه. قال الخليل (ت ١٧٥هـ): "القَبَل: من إقبالك على الشيء، تقول: قد أقبلت قبلك، كأنك لا تريد غيره. وفي معنى آخر هو التلقاء، تقول:لقيته قبلاً أي مواجهة " [١]أي التلقاء وجهاً لوجه، لأنّ الوزن(مفاعلة) يدل على المشاركة. وقال أيضا: "القُبُلُ: خلاف الدُبُرُ " [٢]. وذكر الجوهري (ت ٣٩٣هـ) في صحاحه " قَبْلُ: نقيض بَعْد. والقبُل: نقيض الدبُرورأيته قِبَلاً وقُبلاً بالضم، أي مقابلة وعيانا. وأقبَلَ: نقيض أدبَر، ويقال:أقبلا مقبلاً، والمقابلة: المواجهة والتقابل مثله، ورجل مقابلٌ: أي كريم النسب من قبل أبويه " [٣].

وأورد ابن فارس(ت ٣٩٥هـ) في معجمه معنى التقابل فقال:" القاف والباء واللام، أصل واحد صحيح تدل الكلمة كلّها على مواجهة الشيء للشيء " [٤]. وقال ابن سيده (ت ٤٥٨هـ) في المحكم والمحيط الأعظم، التقابل هو: " قابل الشيء بالشيء مقابلة وقبالا: عارضه.وتقابل القوم، استقبل بعضهم بعضاً " [٥]. وفي أساس البلاغة، قال الزمخشري(ت ٥٣٨ هـ): لقيته قِبَلاً وقَبَلاً وقَبُلاً :مواجهة وعِياناً " [٦]. ومعنى المقابلة عند صاحب اللسان: " المقابلة:المواجهة، والتقابل مثله وهو قبالك وقُبالتك أي تجاهك، وقال أيضا،

---

[١]. كتاب العين (الخليل بن أحمد الفراهيدي)، تحقيق: د . مهدي المخزومي و د . إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر ودار صادر للنشر – ١٩٨٢ م: (قبل) ٥ / ٦٦ .

[٢]. المصدر نفسه .

[٣]. الصّحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) (إسماعيل بن حمّاد الجوهري)، تح: أحمد عبد الغفارعطار، دار العلم للملايين ، ط ٤ ، بيروت – ١٩٨٧م: (قبل) ٥ / ١٧٩٥ .

[٤]. معجم مقاييس اللغة (أحمد بن فارس بن زكريا)، تح: عبد السلام محمد هارون، ط ١ ، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة – ١٣٦٨هـ: (قبل) ٥ / ٥١ .

[٥]. المحكم والمحيط الأعظم (علي بن إسماعيل بن سيده)، تح: د . مراد كامل، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط ١ ، مصر ، ١٣٩١ هـ – ١٩٧١ م: (قبل) ٦ / ٢٦٣ .

[٦]. أساس البلاغة (جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري)، تح: عبد الرحيم محمود، عرّف به: أمين الخولي ، ط ١ ، مطبعة أولاد أورفايز، القاهرة،١٣٧٢ هـ – ١٩٥٣ م: ٣٥٣ .

قابل الشيء بالشيء مقابلة وقبالا: عارضه " [1]. وجاء في التاج للزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ)" وأقبل عليه بوجهه: إذا ألزمه وأخذ فيه وأقبلته الشيء جعلته يلي قبالته، أي تجاهه. وقابله: واجهه " [2].

ومعنى التقابل في المعجم الوسيط "قابلَهُ:لقيه بوجهه وقابلَهُ الشيءَ بالشيء: عارضه، وتَقابَلا: لقي كلٌّ منهما الآخر بوجهه. وقَبْلُ: ظرف للزمان السابق أو المكان السابق، وضدّه بعد. و(القُبَلُ) يقال رأيته قُبَلاً : عياناً ومقابلة، و(المُقابَلَةُ): أن يؤتى بمعنيين أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب " [3]، كما في قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً﴾[التوبة / ٨٢] .

فالتقابل في معناه المواجهة. وفي معنى آخر يدل على المعارضة؛ لأنه قابل الشيء بالشيء أي: عارضه. والتقابل والمقابلة في اللغة واحد كما أوردها الجوهري وابن منظور[4].

وجاء لفظ (التقابل) في القرآن المجيد في أربعة مواضع تدل فيه اللفظة على المواجهة، كما في قوله تعالى:﴿نَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر / ٤٧]، وقوله تعالى:﴿عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الصافات / ٤٤]. وفي قوله تعالى: ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الدخان / ٥٣]. وقال سبحانه :﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ [الواقعة / ١٦].

أي ينظر بعضهم إلى بعض مواجهة، وينظر بعضهم بعضاً بالمحبة، لا متدابرين بالبغضة [5].

أما ما دلت عليه صيغة (التقابل)صرفياً فمن المعروف أن الوزن (تفاعل) الذي عليه صيغة الفعل (تقابَلَ) تدل – فيما تدل عليه – على معنى (المشاركة)، وهذا ما ذهب إليه

---

[1]. لسان العرب (جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور)، دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٥ هـ – ١٩٥٦ م: (قبل) ١١ / ٥٤٠ .

[2]. تاج العروس من جواهر القاموس (محمد مرتضى الزبيدي)، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان – د . ت: (قبل) ٨ / ٧٢ .

[3]. المعجم الوسيط (إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار)، أشرف على طبعه عبد السلام هارون، المكتبة العلمية، طهران – د . ت: ٢ / ٧١٩ – ٧٢٠ .

[4]. ينظر: الصحّاح : ٥ / ١٧٩٥ ، واللسان : ١١ / ٥٤٠ .

[5]. ينظر: التبيان في تفسير القرآن (لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي)، تح: أحمد حبيب قصير العاملي، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ط ١– ١٤٠٩ هـ: ٩ / ٤٢ ، ومجمع البيان في تفسير القرآن (لأبي علي الفضل بن الحسن الطبري)، تح: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، ط١، الناشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – ١٤١٥ :٦ /١١٩ .

القدماء والمحدثون [1]، ومعنى المشاركة أن اثنين من الأشياء قد اجتمعا على إحداث فعل معين، فإطلاق لفظ (التقابل) على كلمتين يعني أن هناك كلمتين قد اجتمعا على إحداث حدث (المقابلة) أو (التقابل).

التقابل اصطلاحاً

لم نجد في كتب علماء اللغة القدماء تعريفاً جامعاً للتقابل، ولم يصل إلينا مؤلفٌ جاء تحت عنوان التقابل، على الرغم ممّا أُلف في الأضداد في مراحل متقدمة من التأليف في مجال اللغة [2]. فقد اكتفى العلماء بعقد بابٍ للألفاظ المتقابلة في كتب الأضداد[3]. ويبدو أنّ السبب في ذلك هو أن الألفاظ المتقابلة والأضداد كانت معروفة للعربي، حيث لا يقع فيها خلط أو لبس ولا

---

[1] . ينظر : كتاب سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر)،تحقيق وشرح: عبد السلام محمدهارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ودار الرفاعي، الرياض، ط٢، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م: ٦٩/٤، أدب الكاتب (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، م. السعادة، مصر، ط٣، ١٣٧٧هـ- ١٩٥٨م: ٣٥٨، فقه اللغة وسر العربية (أبو منصور الثعالبي)، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت: ٣٦٤، المفصل في صنعة الإعراب (أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري)، تح: د. علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٣م: ٣٧١، شرح شافية ابن الحاجب (رضي الدين محمد بن الحسين الاستراباذي)، تح: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٥هـ -١٩٧٥م: ٩٩/١، ١٠٢، شذا العرف في فن الصرف (أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط١٥، القاهرة، ١٣٨٣هـ- ١٩٦٤م: ٤٣- ٤٤، عمدة الصرف (كمال إبراهيم)، مطبعة الزهراء، بغداد، ط٢، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م: ٣٨، أبنية الصرف في كتاب سيبويه (د. خديجة الحديثي)، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط١، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م: ٣٩٧، أوزان الفعل ومعانيها (هاشم طه شلاش)، مطبعة الآداب، النجف الأشرف -١٩٧١م: ١٠١، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس (صباح عباس سالم الخفاجي)، (أطروحة دكتوراه)، جامعة القاهرة / كلية الآداب، القاهرة، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م: ٣٢١، أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها (أبو أوس إبراهيم الشمسان)، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م: ٣٥-٣٦،معاني الأبنية الصرفية في مجمع البيان (نسرين عبد الله شنوفالزجراوي)، (رسالة ماجستير)، جامعة الكوفة / كلية التربية للبنات، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م: ١٤٠، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية (د.صفية مطهري)،اتحاد الكتاب العرب، دمشق -٢٠٠٣م: ٨٦- ٨٧ .

[2]. ينظر : ثلاثة كتب في الأضداد (الأصمعي والسجستاني وابن السكّيت)، نشر أوغست هفنر، بيروت - ١٩١٣ م .

[3]ينظر: الأضداد (محمد بن القاسم الأنباري)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الكويت -١٩٦٠ م: ٦ .

تحتاج إلى تصنيف أو تنظير. وقد ذهب الدكتور أحمد نصيف الجنابي إلى اختلاط ظاهرة الأضداد عندهم بما سميناه التقابل [١].

وقد ألمح ابن الأنباري إلى وجود هذه الظاهرة في كلام العرب فقال: " وأكثر كلامهم يأتي على ضربين آخرين أحدهما أن يقع اللفظان المختلفان على المعنيين، نحو ذلك: الرجل والمرأة، والجمل والناقة، وقام وقعد، واليوم والليلة " [٢]. وأورد الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)في كتابه ألفاظاً تدل على معنى التقابل، منها "خلف ضدّ قُدّام "، و " الدخول نقيض الخروج " [٣]. وقد ورد عدد من المصطلحات التي توحي بمعنى التقابل، وهي:

١ . المطابقة :

أُخِذَ المصدر (المطابقة) من الفعل المزيد (طابق) الذي أصله (طبق) في المعاجم اللغوية على معنيين:

الأول: يشير إلى التقابل بالمثل وذلك في قول الخليل: " وطابقت بين الشيئين: جعلتهما على حذو واحد والزقتهما، فيسمى المطابق " [٤]. وقال الجوهري: " والمطابقة الموافقة والتطابق: الاتفاق " [٥]. ويقول ابن سيده: " وتطابق الشيئانتساويا " [٦]، أي إنّ المطابقة تعني تقابل الشيئين على وجه الاتفاق والموافقة، وذلك أن المثل يقابل المثل ويساويه.

الثاني: والمعنى الآخر هو المطابقة بالخلاف. قال الجوهري: " مطابقة الفرس في جريه: وضع رجليه مواضع يديه " [٧]. وقال ابن سيده في مشي لمقيّد من الخيل والإبل: " الذي يضع رجليه موضع يده " [٨].

ولعلّ في هذين النصّين معنى الخلاف، فالرجل خلاف لليد من حيث المعنى ومن ثم الجمع بينهما في موضع واحد هو تقابل بالخلاف وليس بالمثل. وثمّة نصوص تُشير إلى معنى التقابل بالخلاف منها قول الزمخشري: " أطبقتُ الرَّحى إذا وضعتَ الطبق الأعلى على الأسفل، وطابق

---

[١]. ينظر: ظاهرة التقابل في علم الدلالة (د. أحمد نصيف الجنابي)، مجلة آداب المستنصرية – ١٩٨٤م: ٦ .

[٢]. الأضداد: ٦ .

[٣]. المفردات في غريب القرآن (أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني)، تح: سيد الكيلاني، دار المعرفة ، بيروت – د . ت : ١٥٥ ، ١٦٦ .

[٤]. كتاب العين: (طبق) ٥/ ١٠٩، وينظر: معجم مقاييس اللغة: (طبق) ٣ / ٤٣٩ .

[٥]. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): (طبق) ٤ / ١٥١٢ .

[٦]. المحكم والمحيط الأعظم: (طبق) ٦ / ١٧٩ ، وينظر: القاموس المحيط (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي)، موشي الحواشي: الشيخ نصر الهوريني، دار العلم، بيروت – لبنان: (طبق) ٣ / ٢٥٦ .

[٧]. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): (طبق) ٤ / ١٥١٢ .

[٨]. المحكم والمحيط الأعظم:(طبق) ٦ / ١٧٨ ، والقاموس المحيط: (طبق) ٣ / ٢٥٦.

الغطاءُ الإناء، وانطبق عليه وتطبَّق. والسمواتُ طباقٌ: طبقةٌفوق طبقةٍ أو طبقٌ فوق طبق " [١]. ومعناه من جهة الطبق الأعلى والطبق الأسفل، فكلٌ منهما يأتي من جهة مغايرة للجهة التي وُضع فيها الآخر. أمّا عند غير أهل المعاجم، فقد وردت تعريفات عدّة للمطابقة، منها ما ذكره أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، إذ قال: " قد أجمع الناس على أنَّ المطابقة في الكلام، هي الجمع بين الشيء وضدّه في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو بيت من بيوت القصيدة مثل الجمع بين السواد والبياض، والليل والنهار، والحرّ والبرد " [٢].وقال ابن الأثير(ت ٦٣٧هـ): " المطابقة هي عند الجمهور: الجمع بين المعنى وضدّه، ومعناها أن يأتلف في اللفظ ما يضادفي المعنى، وكأنّ كلّ واحد منهما وافق الكلام فسمّي طباقاً " [٣] وعند الزركشي(ت ٧٩٤هـ) " أن يجمع بين متضادين مع مراعاة التقابل، كالبياض والسواد " [٤].

إذن كلّ كلام جمع فيه الضدان مما تقدم يسمى مطابقة. ومن الملاحظ أنّهم أخذوا معنى المطابقة على أنها الموافقة، وهو كما ذكر في المعنى الأول عند أهل المعاجم. واجتهد أهل البلاغة محاولين إيجاد مناسبة بين معنى المطابقة لغةًومعناها في الاصطلاح وتابعهم أحد الباحثين المعاصرين [٥]، والأجدر في ذلك هو الرجوع إلى ما ذكر في المعنى الثاني للمطابقة، وهو التقابل بالخلاف، وهنا تصح المناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي .

٢ . التضاد :

مصدر للفعل المزيد (ضادّ) الذي أصله (ضدد) وهو من مفردات التقابل التي تجري بين الشيئين. قال ابن السكيت (ت ٢٢٤هـ): " الضد: خلاف الشيء " [٦]. وهو عند أبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ): " فأمّا المعروف في الضد في كلام العرب فخلاف الشيء كما يقال: الإيمان ضد الكفر " [٧]. وقال أبو الطيب اللغوي (ت ٣٥١هـ): "

---

[١]. أساس البلاغة: (طبق) ٢٧٥ .

[٢]. كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر (الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري)، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٢ ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه – ١٩٧١م : ٣١٦ .

[٣]. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (ضياء الدين ابن الأثير)، تح: أحمد حوفي و د. بدوي طبانه، دار النهضة ، مصر – د . ت: ٢ / ١٤٢ ، وينظر: أنوار الربيع في أنواع البديع (على صدر الدين بن معصوم المدني)، تح: شاكر هادي شكر، ط ١، مطبعة النعمان، النجف الأشرف – ١٩٦٨م: ٢ / ٣٢ .

[٤]. البرهان في علوم القرآن(بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية: ٣ / ٤٥٥ .

[٥]. ينظر : ظاهرة التقابل في اللغة العربية (عبد الكريم محمد حافظ)،(رسالة ماجستير)، كلية آداب/ الجامعة المستنصرية – ١٩٨٩ م: ٥٢ .

[٦]. إصلاح المنطق (لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق السكّيت)، تح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، ط ٢ ، مصر – ١٩٥٦ م: ٢٨ .

[٧] . كتاب الأضداد (لأبي حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني)، تح: محمد عودة أبو جري، مراجعة د. رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م: ٤١ .

ضد كل شيء ما نافاه نحو: البياض والسواد " [١]. والتضاد في المقاييس هو: " المتضادان: الشيئان الذي لا يجوز اجتماعهما في وقت واحد، كالليل والنهار " [٢]. وإنّ من أبرز من أشار إلى معنى التضاد في ومؤلفاته أبا هلال العسكري، إذ قال: " والمتضادان هما اللذان ينتفي أحدهما عند وجود صاحبه إذا كان وجود هذا على الوجه الذي يوجد عليه ذلك كالسواد والبياض " [٣].

وقال التفتازاني (ت ٧٩٣هـ) عن الطباق والتضاد: " أي يكون بينهما تقابل وتناف ولو في بعض الصور سواء أكان تقابل التضاد أم تقابل الإيجاب والسلب أم تقابل العدم والملكة " [٤].

٣ . التناقض :

هو مصدر للفعل المزيد (تناقض) الذي أصله (نقض) ويلتقي بالتضاد من حيث معنى الخلاف، على الرغم من أنّه يختلف معه في طبيعة معناه وتركيبه .

والنقض هو " النون والقاف والضاد أصل صحيح يدلّ على نكث الشيء، والنقض: المنقوض " [٥]. و " نَقَضَ الشيءَ نَقْضاً: أفسَدَه بعد إحكامه. ويقال: نَقَضَ البِناء: هَدَمَه. ونَقَضَ الحبل أو الغزل حلّ طاقاته. ونَقَضَ العَهد: نكثه. وناقض في قوله مُناقضة ونِقاضاً: تكلّمَ بما يخالف معناه، والنقيض: المخالف " [٦].

إذن ندرك أنّ أصل التناقض هو الخلاف بين حالتين في الشيء الواحد، حيث يكون لهذا الشيء وجهان، الأول خلاف للثاني [٧].

وقال أبو هلال العسكري في الفروق: " إنّ الاستقامة هي الاستمرار على سُننٍ واحدة، ونقيضها الاعوجاج " [٨]. وقال الجوهري: " بعد نقيض قبل " و " البطء نقيض السرعة " [١].

---

[١] . نفسه: ٤٠ .

[٢] . معجم مقاييس اللغة: (ضد) ٣ / ٣٦٠ .

[٣] . الفروق في اللغة (لأبي هلال العسكري)، ط ٢ ، دار الآفاق الجديدة، بيروت – ١٩٧٧م: ١٥٠ .

[٤] . المختصر ضمن شروح التلخيص (العلامة سعد الدين التفتازاني)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، مصر–١٩٣٧ م: ٤ / ٢٨٦ ، وينظر :والتقابل والتماثل في القرآن (فايز القرعان)، ط ١، الأردن – ١٩٩٤ م: ٣٥ .

[٥] . معجم مقاييس اللغة: (نقض) ٥ / ٤٧١ .

[٦] . لسان العرب: (نقض) ٧ / ٢٤٢ ، والمعجم الوسيط: ٢ / ٩٥٥ .

[٧] . ينظر: كتاب العين: ٥ / ٥٠ ، والتقابل والتماثل في القرآن: ٣٥ .

[٨] . الفروق في اللغة: ١٤٩ .

٤ . المخالفة :

هو مصدر للجذر اللغوي (خ ل ف) ويلتقي بالمطابقة والتكافؤ والتضاد. قال ابن فارس: " الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة، أحدهما أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، والثاني خلاف قدّام، والثالث التغير " [٢]. وهذه الأصول تشير إلى معنى التقابل، فالأول منها يشير إلى أن الشيء الأول يتقابل مع الشيء الثاني الذي جاء بعده وحلّ مكانه، والثاني منها أن (خَلَفَ اللبن) إذا تغيّر طعمه. وقال ابن سيده: " الخلاف: المضّادة، وقد خالفه مخالفةً وخلافاً أو تخالف الأمران واختلفا لم يتفقا، وكل ما لميساو فقد تخالف واختلف " [٣]. وقد وردت اللفظة في القرآن الكريم بمعنى المخالفة، في قوله تعالى: ﴿ **فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ** ﴾ [التوبة / ٨١]، أي مخالفة رسول الله [٤]. وجاءت في قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً** ﴾ [الفرقان / ٦٢]، أي هذا خلف من هذا يذهب هذا ويجيء هذا [٥].

وعند اللغويين المخالفة أعمُّ من التقابل، ونجد ذلك عند أبي الطيب اللغوي، إذ قال: "ليس كل ما خالف الشيء ضداً له، ألا ترى أن القوة والجهل مختلفان وليسا ضدّين، وإنّما ضد القوة الضعف، وضد الجهل العلم، فالاختلاف أعم من التضاد، إذ كان كل متضادين مختلفين، وليس كل مختلفين ضدين " [٦]، فاختلاف الليل والنهار ليعطي صورة اليوم وزمانه هو تقابل اختلاف تغايري لا تقابل اختلاف تضادي أو تناقض، ومثله السماء والأرض والدنيا والآخرة. وقد ذكر أبو هلال العسكري الفرق بين اللفظين المختلفين المتضادين، إذ قال: "إنّ المختلفين لا يسدّ أحدهما مسدَّ الآخر في الصفة التي يقتضيها جنسه مع الوجود، كالسواد والحوّه، والمتضادان هما اللفظان اللذان ينتفي أحدهما عند وجود صاحبه إذا كان وجود هذا على الوجه الذي يوجد عليه ذلك، كالسواد والبياض، فكل متضاد مختلف وليس كل مختلف متضاداً، كما أن كل متضاد ممتنع اجتماعه وليس كل ممتنع اجتماعه متضاداً، وكل مختلف متغاير وليس كل متغاير مختلفاً " [٧].

إذن المخالفة أعمّ من التقابل، فكلّ تقابل تخالف وليس كل تخالف تقابلاً .

---

[١] . معجم مقاييس اللغة: (بعد) ٢ / ٤٤٨ ، و (بطء): ١ / ٣٦ .

[٢] . معجم مقاييس اللغة: (خلف) ٢ / ٢١٠ ، وأساس البلاغة: (خلف) ١١٩ ، ولسان العرب: (خلف) ٩ / ٨٣ – ٩١ .

[٣] . المحكم والمحيط الأعظم: (خلف) ٥ / ١٢٤ ، المعجم الوسيط: (خلف) ١ / ٢٥٠ .

[٤] . ينظر: الميزان في تفسير القرآن (محمد حسين الطباطبائي)، مؤسسة النشر الإسلامي – قم: ٩ / ٣٥٨، و الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): (خلف) ٤ / ١٣٥٧ .

[٥] . ينظر: تفسير جامع الجوامع (لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي)، تح: مؤسسة النشر الإسلامي، ط١ ، قم – ١٤١٨ هـ: ٢ / ٦٦٠ ، و لسان العرب: (خلف) ٩/ ٨٦ .

[٦] . ينظر: كتاب الأضداد (لأبي حاتم السجستاني): ٤٠ .

[٧] . الفروق في اللغة: ١٥٠ .

٥ . التكافؤ :

أما التكافؤ فهو مصدر للفعل المزيد (كافأ) الذي أصله (ك ف ء)، وهو يشير إلى معنيين، هما:

أولاً : التماثل، قال الجوهري: " التكافؤ: الاستواء . . . وكل شيء ساوى شيئاً حتى يكون مثله فهو مكافئ له " [١]. وذكر ابن فارس " الكفؤ: المثل، والتكافؤ: التساوي، قال رسول الله (ﷺ): (المسلمون تتكافأ دماؤهم) [٢]. و "تكافأَ الشَّيئان: تماثلا واستويا، والكفء: المماثل " [٣].

ثانياً: يدلّ معناه على التقابل بالخلاف، قال الخليل: " فلان كفاء لك، أي: مطيق في المضادّة والمناوأة " [٤]. وقال الجوهري: "كفأت القوم كفأ، إذا أرادوا وجهاً فصرفتهم إلى غيره فانكفؤوا، أي رجعوا، وتقول: أكفأت البيت إكفاء، والإكفاء في الشعر أن يخالف بين قوافيه [٥].

إذن التكافؤ يحمل معنى الخلاف كما حمل معنى المثل. وقال ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ): "المطابقة عند جميع الناس جمعك بين الضدين في الكلام أو بيت شعر إلاّ قدامة بن جعفر يسمي هذا النوع – الذي هو المطابقة عندنا – التكافؤ، ولم يُسمّه التكافؤ أحد غيره وغير النحاس من جميع مَنْ علّمته " [٦].

والتكافؤ عند ابن الأثير " التكافؤ كالطباق في أنه ذكر الشيء وضدّه لكن يُشترط في التكافؤ أن يكون الضدان حقيقة والآخر مجازاً " [٧]. وأورد الفرق في قول دعبل الخُزاعي [٨]:

لا تعجبي يا سلمُ مِنْ رجُلٍ ضَحِكَ المَشيبُ بِرَأسِهِ فَبَكى

فـ (ضحك المشيب) مجاز و (بكاء الرجل) حقيقة .

---

[١] . الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): (كفء) ١ / ٦٨ .

[٢] . سنن ابن ماجه (محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيرون، لبنان – د . ت:٢ / ٨٩٥ .معجم مقاييس اللغة: (كفء) ٥ / ١٨٩.

[٣] . المعجم الوسيط: (كفأ) ٢ / ٧٩٧ .

[٤] . كتاب العين: (كفأ) ٥ / ٤١٤ .

[٥] . الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): (كفء) ١ / ٦٨ .

[٦] . العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده (لأبي علي الحسن بن رشيق)، حققه وفصّله: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، ط٤ ، لبنان –١٩٧٢ م: ٢ / ٥ .

[٧] . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٢ / ١٤٢ ، وينظر: أنوار الربيع في أنواع البديع: ٢ / ٣٣ .

[٨] . ديوان دعبل الخُزاعي، تح: د . محمد يوسف نجم، دار الثقافة ، بيروت، لبنان – ١٩٦٢ م: ١١٧ .

مما تقدم يتضح أن المطابقة تدخل في مباحث ظاهرة التقابل؛ لأنها تقوم على أساس وجود لفظين يختلفان نطقاً ويتضادان معنىً. أما مصطلحا الضد والتخالف فهما أساس التقابل، فعلاقة الضدية بين الألفاظ المتقابلة هي علاقة وجود حقيقي أو اعتباري بين شيئين متضادين حقيقة ليس سلباً أو إيجاباً، وهنا نجد الفرق بين التناقض والتضاد؛ فالتضاد (أسود / أبيض)، وعندما نقول (أبيض / لا أبيض) فهما متناقضان [١].

أما التخالف في معناه تأكيداً على مبدأ التخالف بين الألفاظ المتقابلة، فإن عبارة " له عبدان خلفان، إذا كان أحدهما طويلاً والآخر قصيراً " [٢]، يدل على أن التخالف هو سمة للطبائع والصفات، ولهذا تكون علاقة الألفاظ المتقابلة علاقة تخالف وتضاد، وليست علاقة تناقض .

ثانياً : التقابل عند البلاغيين

قسّم أصحاب الدراسات البلاغية التقابل أقساماً متعددة ابتداءً من قدامة بن جعفر (ت ٢٧٦هـ) وانتهاءً بزمن ابن معصوم المدني (ت ١١٢٠هـ)، واستقر عندهم الطباق والمقابلة من المحسنات المعنوية الداخلة في باب البديع [٣].

والطباق عند البلاغيين هو " الجمع بين متضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة كالليل والنهار، والأسود والأبيض " [٤].والطباق يسمى أحياناً المطابقة والتطبيق والتضاد والتكافؤ [٥].

---

[١] . ينظر: المنطق (محمد رضا المظفر)، دار نشر إسماعيليان، ط١٢ ، إيران – ١٤٢٥ هـ: ٢ / ١٥٦ ، والمنطق الصوري منذ أرسطو طاليس حتى عصرنا الحاضر (د . علي سامي النشار)، ط٤ ، دار المعارف ، القاهرة – ١٩٦٦ م: ٩٦ .

[٢] . لسان العرب: (خلف) ٩ / ٩٠ .

[٣] . ينظر: خصائص الأسلوب في الشوقيات (محمد الهادي الطرابلسي)، منشورات الجامعة التونسية – ١٩٨١ م: ٩٥ .

[٤] . أنوار الربيع في أنواع البديع: ٢ / ٣١ ، وينظر: العمدة: ٢ / ٥ ، ونهاية الأرب في فنون الأدب (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري)، نسخة مصورة عن مطبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة – د . ت: ٧ / ١٠٦ ، ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء (لأبي الحسن حازم القرطاجني)، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، ط ٢ ، دار الغرب الإسلامي، بيروت – ١٩٨١م:٤٩ ، ومعجم المصطلحات البلاغية (أحمد مطلوب)، مطبعة المجمع العلمي العراقي – ١٩٨٦ م: ٢ / ٢٥١ .

[٥] . ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة (الخطيب القزويني)، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، ط ٢ ، مصر – د . ت: ١ / ٣١٧ ، وسر الفصاحة (لأبي محمد عبد الله بن محمد سنان الخفاجي)، شرح: عبد

أما المقابلة فهي " أن يأتي المتكلم بلفظين متوافقين فأكثر، ثم بأضدادها على الترتيب، والمراد بالتوافق خلاف التقابل، لا أن يكونا متناسبين ومتماثلين " [1]، كقوله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠)** ﴾ [الليل / ٥ – ١٠] .

وقد فرّق بعض البلاغيين بين الطباق والمقابلة، ولعل أبا هلال العسكري هو أول من فرّق بينهما، إذ عرّف المطابقة " الجمع بين الشيء وضدّه في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو بيت من بيوت القصيدة مثل الجمع بين البياض والسواد " [2]، وأورد قوله تعالى: ﴿ **يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ** ﴾ [الروم / ١٩]. وخالفه قدامة بن جعفر فقال: المطابقة هي " إيراد لفظتين متشابهتين في البناء مختلفتين في المعنى " [3].

وعرّف أبو هلال المقابلة بأنها " إيراد الكلام ثم مقابلته في المعنى واللفظ على وجهة الموافقة أو المخالفة " [4]. ومن أمثلة الموافقة، قوله تعالى: ﴿ **نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ** ﴾ [التوبة/ ٧٦]. ومن أمثلة المخالفة، قوله تعالى: ﴿ **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ** ﴾ [الإسراء /٨١]. ولم يفرق ابن الأثير بين المقابلة والمطابقة في تعريفه، ورأى أن تسمى المقابلة؛ لأنها مناسبة للمعنى أكثر من المطابقة، إذ قال: " والمطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضدّه كالسواد والبياض " [5] .

ويأتي ابن أبي الأصبع المصري (ت ٦٥٤هـ) ليجعل الطباق على قسمين: الطباق الحقيقي والطباق المجازي، وكل واحد من الضربين يقسم على قسمين: لفظي ومعنوي، فما كان بألفاظ لحقيقة أسماه الطباق، وما كان بألفاظ المجاز أو بعضه أسماه تكافؤاً، بشرط أن تكون الأضداد الموصوفة واحدة .

المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة – ١٩٦٩م: ٩٦، والتعريفات (على بن محمد الجرجاني)، دار الكتب العلمية، المطبعة الخيرية ، مصر – ١٣٠٦ هـ: ٥٩ .

[1] . أنوار الربيع: ١ / ٢٩٨ ، وينظر: التقابل الدلالي في القرآن الكريم (منال صلاح الدين الصفار)، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب / جامعة الموصل – ١٩٩٤ م: ١٤ .

[2] . كتابالصناعتين: ٣١٦ .

[3] . نقد الشعر (لأبي الفرج قدامة بن جعفر)، تح: محمد عبد المنعم الخفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، ط ١ ، القاهرة – ١٩٧٩ م: ١٦٣ .

[4] . كتاب الصناعتين: ٣٤٦ .

[5] . المثل السائر: ٢ / ١٤٣ ، وينظر: ظاهرة التقابل الدلالي في القرآن الكريم (هوازن عزة إبراهيم)، مجلة الأستاذ، العدد السادس والعشرون، ج ١ ، جامعة بغداد / كلية التربية / ابن رُشد – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١ م: ٣٠١ .

ويفرّق بين الطباق والمقابلة من وجهين [١]:

١. إنّ الطباق لا يكون إلاّ بالأضداد، والمقابلة تكون بالأضداد وبغيرها .
٢. إنّ الطباق لا يكون إلاّ بين ضدين فقط، والمقابلة إلاّ بما زاد على الضدين من الأربعة إلى العشرة .

وقد جمع شهاب الدين الحلبي (ت ٧٢٥هـ) الطباق والمقابلة، وذكرهما في موضع واحد وتحت عنوان واحد [٢].

ويذهب القزويني (ت ٧٣٩هـ) والعلوي (ت ٧٤٥هـ) إلى ما ذهب إليه العسكري وابن أبي الأصبع، في التفريق بين الطباق والمقابلة [٣]. أما الزركشي فقد ذكر نوعاً التفت إليه بحسّه البلاغي، هو الطباق الخفي، ومثّل له بقوله تعالى: **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ** [البقرة / ١٧٩]، وعرّف المقابلة وأطال البحث فيها، فقال: " ذكر الشيء مع ما يوازيه في صفاته ويخالفه في بعضها "، وهو يفرّق بينهما ويذكر أنواعهما (النظير والنقيض والخلافي) [٤].

وعندما نصل إلى ابن معصوم، فإن الحال يختلف عنده، فهو لم يكتفِ بذكر أنواع المقابلة، إنّما زاد على ذلك إيراد تنبيهين، رأى في أحدهما أن ظاهر كلام جماعة أن المقابلة لا تكون إلاّ بالأضداد كالمطابقة والمقابلة، ورأى في الآخر أن يأتي الناظم بأشياء متعددة في صدر البيت، ثم يقابل كل شيء منها بضده في العجز على الترتيب أو بغير الضد، ويبدو هنا أن المقابلة في النظم لا تكون بين ألفاظ في صدر البيت وعجزه، وليس كذلك، بل قد تكون فيكل من صدر البيت وعجزه بأن يؤتى بلفظين ويقابل بضده أو بغيره في الصدر وكذلك العجز [٥]، فمثال المقابلة قول أبي الطيب المتنبي[٦]:

---

[١] . ينظر: بديع القرآن (ابن أبي الأصبع المصري)، تح: حنفي محمد شرف، دار النهضة، ط ٢، مصر – د . ت: ٣١ – ٣٢ ، وتحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن (ابن أبي الأصبع)، تح: د . حنفي محمد شرف، دار إحياء الكتب، القاهرة – ١٣٨٣هـ: ١ / ١١٢ ، وأنوار الربيع : ١ / ٢٩٨ .

[٢] . ينظر : حسن التوسل إلى صناعة الترسل (شهاب الدين الحلبي)، تح: أكرم عثمان يوسف، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الرشيد للنشر، العراق – ١٩٨٠ م: ٢٠٠ .

[٣] . ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ١ / ٣٢٤ ، والطراز المتضمن لأسرار البلاغة (يحيى بن حمزة العلوي)، مطبعة المقتطف، مصر – ١٩١٤ م: ٢ / ٣٧٧ – ٣٨٦ .

[٤] . ينظر: بديع القرآن: ٣٢ ، وأنوار الربيع في أنواع البديع: ١ / ٢٩٩ .

[٥] . ينظر: أنوار الربيع في أنواع البديع: ١ / ٣٠٠ .

[٦] . ديوان أبي الطيب المتنبي: بشرح أبي البقاء العكبري، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان – د . ت: ٦٠٥ .

فـلا الجـودُ يُفْنـي المـالَ والجَـدُّ مُقْبِـلُ ِلا البُخْـلُ يُبْقـي المـالَ والجَـدُّ مُـدْبِرُ

نخلص مما سبق، أنّ مفهوم المطابقة هو واحد عند الجميع، وهو الجمع بين الضدين لفظاً ومعنى،ونرى أن فريقاً ممن عرضنا لهم قد فرّق بين الطباق والمقابلة، بينما فريق آخر جمع بين الاثنين. ويمكن تقسيم الطباق عند أصحاب الدراسات البلاغية على:

١ . تقابل التضاد :

يُقسم تقابل التضاد عند البلاغيين على تضاد لفظي وتضاد معنوي، ويقسم هو الآخر على قسمين، فمنهما يكون حقيقياً، ومنه ما يكون مجازياً.

أ . التضاد اللفظي :

١ - التضاد الحقيقي :

ظهرت قضيتان بارزتان عند البلاغيين متعلقة بالتضاد الحقيقي، وهي أن بعض الدارسين لم يضعوا شروطاً للتقابل بين المتضادات، ومن أولئك البلاغيين ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ)، وأورد أمثلة لذلك فقال: " قال أبو سعيد: فالقائل لصاحبه أتيناك لتسلك بنا سبيل التوسع فأدخلتنا في ضيق الضمان " [١]. فالتضاد الوارد في هذا النص بين السعة والضيق.

ويفصح الآمدي (٣٧٠هـ) عن حقيقة الطباق، فيقول: " الطباق أكثر وأوجد في أشعار العرب من التجنيس، وهو مقابلة الحرف بضده " [٢]. وهو ما أشار إليه العسكري بقوله: " الجمع بين الشيء وضده " [٣]. نجد أن هؤلاء قد اتفقوا بشكلٍ عام على أن الطباق في الأصل يعتمد على التضاد اللفظي، إضافةً إلى ذلك أنهم لم يضعوا شروطاً لهذا التضاد. أما القضية الثانية فهي التضاد المشروط، وقد وضعوا شرط مراعاة التقابل بين الأسماء أو الأفعال أو الحروف في التضاد اللفظي [٤].

٢ -التضاد المجازي :

قال ابن أبي الأصبع: " الطباق على ضربين: حقيقي ومجازي، والمجازي: هو ما كان بألفاظ المجاز أو بعضه "[٥]، ونجد عنده ما يعرف بائتلاف الطباق والتكافؤ في كلام واحد، حيث يكون أحد الضدين حقيقة والآخر مجازاً .وتابعه الحلبي، إلاّ أنه قد فاته ما سمّاه ابن

---

[١] . كتاب البديع (عبد الله بن المعتز)، نشره: أغناطيوس كرانشقوفسكي ، ط ٢ ، دار المسيرة ، بيروت – ١٩٨٢ م: ٣٦ .

[٢] . الموازنة بين أبي تمام والبحتري (لأبي القاسم الحسن بن بشير بن يحيى الآمدي)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الميسرة ، ١٩٤٤م: ٢٥٤ – ٤٥٦ .

[٣] . كتاب الصناعتين: ٣١٦ .

[٤] . ينظر: بديع القرآن: ٢١ – ٢٢، وتحرير التحبير: ١ / ١١٢ .

[٥] . بديع القرآن: ٢١ – ٢٢، وتحرير التحبير: ١ / ١١٢.

أبـــي الأصـــبع بـــائتلاف الطبـــاق والتكـــافؤ [١]. وتابعهمـــا فـــي ذلـــك النـــويري (ت ٧٣٣هـ) [٢]. أما القزويني، فقد وضع لنا مصطلحاً سمّاه إيهام التضاد [٣]، نحو قول دعبل الخزاعي[٤]:

لا تَعْجَبـــي يَـــا سَـــلْمُ مِـــنْ رَجُـــلٍ ضَـــحِكَ المَشِـــيبُ بِرَأسِـــهِ فَبَكَـــى

ب . التضاد المعنوي :

نجد عند أصحاب الدراسات البلاغية من المتقدمين من يميّز بين التضاد اللفظي والتضاد المعنوي، ومنهم العسكري، إذ قال: " وقد طابقت جماعة من المتقدمين بالشيء وخلافة على التقريب لا الحقيقة "[٥]. وهو عند ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) الطباق غير المحض[٦] ، وأشار إليه ابن الأثير في باب المقابلة، فقال: " وأمّا المقابلة في المعنى دون اللفظ في الأضداد كقول المقنع الكندي [٧]:

لهـم جُـلُّ مـالي إنْ تَتَـابَعَ لـي غِنـى ..نْ قَـلَّ مـالي لَـمْ أُكلفهُـمْ رِفْـدا

ونرى أنّ ابن الأثير قد اعتمد التضاد المعنوي بين التراكيب (تتابع لي غنى) وبين (قل مالي)، وتابع ابن الأثير في ذلك ابن أبي الأصبع والعلوي [٨] .

٢ . تقابل السلب والإيجاب

إنّ الذي يتتبع أصحاب الدراسات البلاغية يجد أن أصحابها قد اتفقوا على ثلاثة مفاهيم للسلب والإيجاب، وهي:

أ . اجتماع الكلمتين على النفي الإثبات :

وهذا النوع من التقابل قد أشار إليه قدامة، وذكره العسكري بقوله: " إنّ تبني الكلام على نفي الشيء وإثباته من جهة أخرى " [١]. قال أبو عبادة البحتري [٢]:

---

[١] . ينظر: حسن التوسل إلى صناعة الترسل: ٢٠٢ .

[٢] . ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب: ٧ / ١٠٠ .

[٣] . ينظر: التلخيص في علوم البلاغة (القزويني)، شرحه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، لبنان – د . ت: ٢٥١ .

[٤]. ديوان دعبل الخُزاعي: ١١٧ .

[٥]. كتاب الصناعتين: ٣٢٤ .

[٦]. سر الفصاحة: ١٩٦ .

[٧]. المثل السائر: ٢ / ١٥١ ، وينظر: الحماسة البصرية (البصري)، تصحيح: مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت – ١٩٦٤ م: ٢ / ٢١ .

[٨]. ينظر: الطراز: ٢ / ٢٨٢ .

يقـيضُ ــي مِـن حيـث لا أَ علـمُ التـوُى وَيســري إلــيَّ الشَّــوقُ مِــنْ حيــثُ أعلَــمُ

ب . اجتماع الكلمتين على النهي والأمر :

أول من أشار أليه أبو هلال العسكري في باب السلب والإيجاب، فقال: " وهو أن تبني الكلام على النفي من جهة وإثباته من جهة أخرى، أو الأمر به من جهة والنهي عنه في جهة "[٣]، كقوله تعالى:﴿ **فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً**﴾[الإسراء/ ٢٣]، النهي في (لا تقل)، والأمر في كلمة (وقل). وقد تابع ابن أبي الأصبع، أبا هلال العسكري فيما ذهبإليه في هذا النوع من التقابل [٤]. ويبدو أن هذه التقسيمات وردت إليهم من مباحث المنطق والفلسفة، إذ أن من ضمن تقسيماتهم، تقابل التناقض، نحو: أبيض x لا أبيض. ويعد هذا النوع عند الفلاسفة من أكمل أنواع التقابل[٥] .

ج . اجتماع الكلمتين على النفي :

أشار إليه ابن أبي الأصبع في قوله: " وطباق السلب، هو أن يأتي المتكلم بجملتين أو كلمتين وإحداهما موجبة والأخرى منفية، وقد تكون الكلمتان منفيتين "[٦]. وذكر الزركشي هذا النوع في باب سمّاه نفي الشيء [٧]، ومّثل له بقوله تعالى:﴿ **ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى**﴾ [الأعلى / ١٣] .

٣ . تقابل التخالف

تحدّث أصحاب الدراسات البلاغية عن تقابل التخالف، إلى جانب تقابل التضاد في اللفظ والمعنى، وكان أوائل الذين تحدثوا عنه هو أبو هلال العسكري، بعد أن تحدّث عن الطباق وأنواعه، إذ قال: " وقد طابقت جماعة من المتقدمين بالشيء وخلافه على التقريب لا على الحقيقة " [٨].

---

[١] . نقد الشعر: ١٤٦ ، وينظر: كتاب الصناعتين: ٤٥٦ .

[٢] . ينظر: ديوان البحتري، تح: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف ، ط ٢ ، مصر ، د . ت: ٢/ ١٩٢٨.

[٣] . كتاب الصناعتين: ٤٥٦ .

[٤] . ينظر : بديع القرآن : ٣١ .

[٥] . المنطق الصوري: ٣٨٦ ، وينظر: ظاهرة التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ١٢ .

[٦] . تحرير التحبير: ١ / ١١٤ .

[٧] . ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٢ / ٢٩٥ .

[٨] . كتاب الصناعتين : ٣٢٤ .

والتخالف عند ابن الأثير هو " مقابلة الشيء بما ليس ضدّه " [1]، وهي ضربان: أحدهما ألاّ يكون مثلاً، والآخر أن يكون مثلاً، والأول يتفرّع إلى فرعين:

أ .ما كان بين المقابَل والمقابِل مناسبة، ومثّل له بقوله تعالى: ﴿**أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾ [الفتح /٢٩] .

ب .ما كان بين المقابَل والمقابِل بُعْدٌ، كقول أم التُحيف[2]:

رَبَّصْ بِهـا الأَيّـام عَـلَّ صُـرُوفَها ... سَـتَرْمِي بِهَـا فـي جـاجَم مُسْـتَعَّر

فَكَـمْ مِـنْ كَـرِيم قَـدْ مَنَـاهُ إلهُـهُ ... مَنْمومَـةِ الأَخْـلاق واسـعةِ الحِـر

---

[1] . المثل السائر : ٢ / ١٥١ . وينظر : شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٢ ، دار إحياء الكتب العربية – ١٩٦٥ م : ٢ / ١٠٩ – ١١٠ .

[2] . شرح نهج البلاغة : ٢ / ١٠٩ – ١١٠ .

ثالثاً: التقابل عند المحدثين

تدرج ظاهرة التقابل في عُرف علم اللغة الحديث في ضمن العلاقات الدلالية في علم الدلالة[١]، وعلم الدلالة هو " العلم الذي يُدرّس بطريقة منهجية مفهوم الكلمات ووسائل تحديد علاقتها بالعالم الخارجي، ويدرس تطور الدلالة، كما يدرس الأساليب اللغوية المختلفة كالأمر والنهي والاستفهام، وما لها من دلالات، ويدرس التراكيب النحوية والعلاقات بين أجزاء الجملة من فاعلية ومفعولية وسببية، كما يدرس السياق وأثره في تحديدالمعنى " [٢].

ويحدّ التقابل بأنه "وجود لفظين يختلفان نطقاً ويتضادان معنىً؛ كالقصير في مقابل الطويل، والجميل في مقابل القبيح " [٣]. وقال عنه الدكتور أحمد نصيف الجنابي: " إن اللفظتين تحمل كل واحدة منهما ضد المعنى الذي تحمله الأخرى، كالخير والشر، والسلام والحرب " [٤]. وقد توسع في مفهوم التقابل ليشمل تقابل الجملة بأنواعها، وتقابل الصورة، وتقابل الموقف.

وقد ذكر الدكتور أحمد الجنابي في بحثه الموسوم بـ (ظاهرة التقابل في علم الدلالة) تعريف المعجم العالمي الموسوعي للتقابل، وهو " وجود لفظتين تحمل كل واحدة منهما عكس المعنى الذي تحمله الأخرى " [٥]، وأشار أيضاً إلى أصل مصطلح التقابل، وهو يتكوّن من مقطعين هما (ANT) وتعني (ضد أو عكس) و (NYMA) وتعني (اسم)، وهو إغريقي الأصل [٦].

وقسّم اللغويون التقابل بحسب درجات التقابل، ومن خلال العلاقة الدلالية التي ترتبط بين الألفاظ المتقابلة على:

١ . التقابل غير المتدرج [٧] :

ويسمى أيضاً بـ(التضاد الحاد) [١]، أو التقابل المحوري [٢]. وعند لاينز يسمى (التباين) [٣]، ويقصد به: وهو التقابل الذي تكون فيه الألفاظ المتقابلة غير قابلة للتعدد أو

---

[١] . ينظر:العلاقات الدلالية (الترادف، التضاد، المشترك اللفظي، علاقة الجزء بالكل . . .) وينظر ذلك في: علم الدلالة (جون لاينز)، ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة، مطبعة البصرة – ١٩٨٠ م: ٩٥، وعلم الدلالة (بالمر)، ترجمة: مجيد عبد الحميد الماشطة، مطبعة العمال المركزية – ١٩٨٥م: ٩٧، وعلم الدلالة (أحمد مختار عمر)، ط ١ ، مكتبة دار العربية، الكويت – ١٩٨٢م: ١٠١ .

[٢] . ظاهرة التقابل الدلالي في سورة الزمر (أحمد نصيف الجنابي)، (مقال)، مجلة الرسالة الإسلامية، طبع الدار العربية، بغداد – ١٩٨٨ م: ٨٩ .

[٣] . علم الدلالة (أحمد مختار عمر): ١٩١ .

[٤] . ظاهرة التقابل في سورة الزمر: ٩٠ .

[٥] . ينظر: المعجم العالمي الموسوعي: ١٠٢ ، نقلاً عن: ظاهرة التقابل في علم الدلالة (الجنابي): ١٥ .

[٦] . ينظر: ظاهرة التقابل في علم الدلالة: ١٥ .

[٧] . علم الدلالة (أحمد مختار عمر): ١٠٢ .

التنويع، مثل: أعزب – متزوج، ذكر – أنثى، حي – ميّت، وإنّ نفي أحد الألفاظ المتقابلة يتضمّن تأكيد الأخرى، وتأكيد أحداهما يتضمن نفي الأخرى، فجملة (أحمد ليس متزوجاً) تتضمن جملة (أحمد أعزب) والعكس صحيح. ويسمي بالمر هذا النوع من التقابل بـ(المتعاكسات)، لأن هذه الثنائيات المتقابلة غير قابلة للتدرج ولا يوجد بينهما وسط، وإنّما ضمن احتمالين فقط [٤].ويرى أيضاً أن بإمكاننا أن نعامل الأزواج الثنائية غير المتدرجة على أنها متخالفات متدرجة أحياناً، من خلال مجاميع من العلاقات بين صيغ المقارنة وبعض النعوت منها (أكثر ، أقل ، جداً ،)فقد يكون المرء مذكراً جداً أو أكثر تزوجاً [٥]. وعلى هذا الرأي مأخذ، فقد ردّ عليه أحمد مختار عمر فقال: " إنّ الاعتراف بدرجات (أقل أو أكثر) مرفوض؛ لأنّ التقابل غير المتدرج يقسم عالم الكلام بحسم دون الاعتراف بها، وإنّ نفي أحد عضوي التقابل يعني الاعتراف بالآخر، وإنّ وجود الوسط الطبيعي بين الأشياء هو الذي يحدد طبيعة التدرج " [٦]. إذن لا يمكن وصف أمثال هذه المتضادات على الحقيقة بأوصاف (جداً أو قليلاً) لأنه لا يمكن أن يكون (علي حيٌّ جداً أو أكثر) لأنها لا تقبل التفاوت في الصفة.

٢ . التقابل المتدرج [٧]:

ويسمى بـ (التخالف) [٨]، وهذا النوع من التقابل يقع بين نهايتين لمعيار متدرج أو بين أزواج من المتضادات الداخلية، والحدان فيه لا يستنفذان كل عالم المقال، أي أن شيئاً قد لا ينطبق عليه أحدهما، وهو تقابل نسبي، وإنّ إنكار أحد عضوي التقابل فيه لا يعني الاعتراف بالعضو الآخر، وعند قولنا: (الجو ليس حاراً)لا يؤكد أنّ الجو بارد، إذ قد يكون دافئاً أو معتدلاً [٩].

ويقصد بالتدرج في الألفاظ المتقابلة، هو وجود ألفاظ وسط بين المتقابلين لقبولهما التفاوت في الصفة، ويمكن استعمال الألفاظ الدالّة على التفاوت، مثل (أكثر من ، أقل من)، ويندرج تحت هذا القسم أنماط التقابل المتدرج والتي ذكرها الدكتور أحمد الجنابي والباحث عبد

---

[١] . نظرية المجال الدلالي (علي زوين)، مجلة آفاق عربية ، بغداد – ١٩٩٢ م: ٧٦ .

[٢] . ينظر: التقابل الدلالي في القرآن: ١٨ .

[٣] . ينظر: علم الدلالة (جون لاينز): ٩٥ .

[٤] . ينظر: علم الدلالة (بالمر): ١١١ – ١١٢ .

[٥] . المصدر نفسه .

[٦] . علم الدلالة (أحمد مختار عمر): ١٠٢ ، وينظر: التقابل الدلالي في القرآن: ١٩ ، والتقابل الدلالي في اللغة: ١١٢ .

[٧] . ينظر: علم الدلالة (أحمد مختار عمر): ١٠٢ ، وظاهرة التقابل في اللغة العربية: ١١٢ .

[٨] . ينظر: علم الدلالة (بالمر): ١٠٩ .

[٩] . ينظر: علم الدلالة (أحمد مختار عمر): ١٠٢ – ١٠٣ .

الكريم العبيدي، بأنها ضمن أقسام درجات التقابل [١].ولكن الباحثة منال الصّفار أدرجتها ضمن القسم الثاني من التقابل المتدرج، والأنماط هي:

- **النمط الأول:** التقابل المتساوي التدرج

وهو أن يندرج تحت كل لفظة من اللفظتين المتقابلتين مجموعة من الدرجات تساوي ما تحت اللفظة الأخرى من درجات، كما في الليل والنهار. وهذا النوع من التقابل يمكن أن يُدرك بسهولة إلى حدٍّ ما، لوجود درجات دلالية متساوية تحت كل لفظة متقابلة، فإن ساعات النهار مقسّمة على اثنتي عشرة ساعة، وهي تقابل ساعات الليل [٢].

- **النمط الثاني:** التقابل النسبي [٣]

وهو أن يندرج تحت اللفظة الأولى درجات لا تساوي درجات اللفظة الأخرى، ويكون تقابلاً جزئياً أو غير متكامل، كالحب والكراهية، والجمال والقبح .

تختلف مقاييس هذا التقابل، لأنه نسبي يختلف من شخص لآخر، ومن أمّة إلى أمّة، وما لطبائع الإنسان من أثر في اختلاف هذه المقاييس، وقد أرجع الدكتور الجنابي صعوبة هذا النوع من التقابل إلى تلك الناحية، فقال: " نحن نلاقي صعوبة ليس من تقابل اللفظين، بل من التقابل بين درجات اللفظ الأول ودرجات اللفظ الآخر " [٤].

- **النمط الثالث:**تقابل التدرج الأُحادي [٥]

وهو أن يندرج تحت اللفظة من اللفظتين المتقابلتين درجات دلالية متعددة، ولا تحتوي اللفظة المقابلة لها أيّة درجة، مثل الحياة والموت، والحركة والسكون، والتطور والثبات .

ويُعد هذا النوع من التقابل أصعب حالات التقابل، والصعوبة تكمن في أن إحدى اللفظتين المتقابلتين تندرج تحتها درجات قد تكون محددة تحديداً ما، كما في حياة الإنسان، وقد لا تكون محددة، كما في التطور [٦].

٣ . التقابل العلائقي [٧] :

وهو التقابل الذي تكون فيه العلاقات تبادلية بين الألفاظ، وسمّاه (لا ينز) التباين [١]، ويسمى أيضاً (التبادل) [٢]، مثل باعَ – اشترى، زوج – زوجة، أبٌ – ابن، أخذ – أعطى، فلو قلنا: (أعطى محمد علياً قلماً) يعني (أنّ علياً أخذ قلماً من محمد) [٣].

---

[١] . ينظر: ظاهرة التقابل في علم الدلالة: ٢٦ ، وظاهرة التقابل في اللغة العربية: ١١١ .

[٢] . ينظر: ظاهرة التقابل في علم الدلالة: ٢٧ .

[٣] . ينظر: ظاهرة التقابل الدلالي في القرآن: ٢٠ .

[٤] . ظاهرة التقابل في علم الدلالة: ٢٦ .

[٥] . ينظر: ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية: ١١٦ ، وظاهرة التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ٢٠ .

[٦] . ينظر: ظاهرة التقابل في علم الدلالة: ٢٧ .

[٧] . علم الدلالة (بالمر): ١١٣ .

ويُعدّ من هذا النوع من التقابل ما يسمى بـ(التقابل الاتجاهي) [٤]، أو (تقابل المواقع المكانية) [٥]، وهو الذي تكون فيه العلاقة بين الكلمات ذات مدلول اتجاهي، نحو: يأتي – يذهب، يرتفع – ينخفض، فوق – تحت، أعلى – أسفل، وتجمعهما حركة في أحد اتجاهين متضادين في موقعٍ معيّن [٦]، وقد تكون العلاقة عمودية أو أفقية، فيكون تقابل حركي عمودي، نحو أعلى – أسفل، والتقابل الحركي الأفقي، مثل أمام – خلف [٧].

وتدخل ضمن هذا النوع علاقة التضاد بين المعلوم والمجهول، مثل (ضرب محمد علياً)، فيكون علي مضروباً من قبل محمد [٨].

ويتضح مما تقدم أنّ المحدثين لم يأتوا بشيء جديد أكثر مما جاء به القدامى، وإنّما اختلفوا في الطريق الذي سلكوه، والأسلوب الذي اتبعوه في الدراسة، إذ درسوا ظاهرة التقابل ضمن علم الدلالة. وقامت دراسة المحدثين على المفردة فقط، وجاء الدكتور أحمد نصيف الجنابي ليضع لنا أنواعاً من التقابل منها التقابل في الجملة، والتقابل في الصورة [٩]، وأضاف الباحث عبد الكريم العبيدي التقابل الإيقاعي الذي اعتمد فيه على جرس الألفاظ وإيقاعها، لنصل إلى الباحثة منال الصفّار، لنرى لديها وضوح الرؤية لدراسة ظاهرة التقابل الدلالي.

ومن الملاحظ أن الباحثة منال الصفار قد سجّلت مأخذاً ردّت به على الدكتور الجنابي والباحث العبيدي، وذلك أنها ضمت طباق السلب عند البلاغيين إلى التقابل[١٠]، نحو قوله تعالى:﴿ **وهُوَ الذي أنشأ جَنات مَعرُوشَاتٍ وغَير مَعْرُوشات**﴾[الأنعام /١٤١] . بعد أن أبعده الجنابي وتابعه العبيدي على أنّه ليس من التقابل، وذكرت أن في ذلك الإبعاد نوعاً من التضييق للموضوع.ونرى ما ذهب إليه الجنابي والعبيدي ليس تضييقاً للموضوع بقدر ما هو تخصيص له، ومما يؤكد ذلك، ما ذهب إليه أصحاب المعاجم من ذكر اللفظة المقابلة بما يناقضها أو يخالفها أو يضادّها، وليس بنفيها، نحو: قبل نقيض بعد، والليل خلاف النهار، والنور ضد الظلمة .

---

[١] . المصدر نفسه .

[٢] . تحليل الخطاب الشعري: ١٦٠ ، نقلاً عن رسالة التقابل الدلالي في القرآن: ٢١ .

[٣] . ينظر: علم الدلالة (جون لاينز): ١٠٧ ، والتقابل الدلالي في القرآن الكريم: ٢٢ .

[٤] . ينظر: علم الدلالة (أحمد مختار عمر): ١٠٣ ، وتطور المجال الدلالي: ٧٦ .نقلاً عن التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ٢١ .

[٥] . ينظر: علم الدلالة (أحمد مختار عمر): ١٠٤ .

[٦] . ينظر: علم الدلالة (بالمر): ١١٣ ، والتقابل والتماثل في القرآن: ٢٩٩ .

[٧] . ينظر: علم الدلالة (بالمر): ١١٣ .

[٨] . المصدر نفسه .

[٩] . ينظر: ظاهرة التقابل في سورة الزمر: ٩٤ – ١٠٠ .

[١٠] . ينظر: ظاهرة التقابل الدلالي في القرآن الكريم : ٢٢ – ٢٣ .

الفصل الأول

التقابل الدلالي في الألفاظ المفردة

ويُراد بـ(التقابل الدلالي في الألفاظ المفردة) أن تحمل إحدى اللفظتين معنى الضد أو الخلاف أو النقيض من معنى اللفظة الأخرى [١]. ولما كان" الضد أقرب حضورا بالبال عند ذكر ضده" [٢]، لذا يحتل تقابل الألفاظ المفردة مكان الصدارة في بيان أنواع التقابل، وذلك لطبيعة اللغة وطريقة تصنيفها، واستعمال الطرائق الفنية في التعبير، كالمجاز والتشبيه .

ويختلف التقابل في الألفاظ المفردة تبعاً لاختلاف الألفاظ المفردة نفسها، فقد تكون الألفاظ المتقابلة متجانسة، فيكون حينئذٍ التقابل في اللفظ والمعنى، أو قد تكون الألفاظ المتقابلة غير متجانسة، فيكون التقابل في هذه الحالة تقابلاً في المعنى . لذا تم تقسيم الفصل على:

أولا- التقابل الدلالي بين الألفاظ المتجانسة.

ثانيا- التقابل الدلالي بين الألفاظ غير المتجانسة (المعنوي).

---

(١) . ينظر: خصائص الأسلوب في الشوقيات: ٩٨ ، وظاهرة التقابل في سورة الزمر: ٩١ ، وظاهرة التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ٢٤ ، وظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية: ٨١ ، وظاهرة التقابل الدلالي في القرآن (هوازن عزة)، (مقال): ٣٠٤ .

(٢) . الصبغ البديعي في اللغة العربية (أحمد إبراهيم)، دار الكتب، القاهرة – ١٩٦٩ م: ٤٧١ ، وينظر: المعاني الوظيفية في سورة الأنعام – دراسة دلالية – (شيماء عثمان)، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب / جامعة البصرة –٢٠٠٤ م: ١٠٠ .

أولاً : التقابل الدلالي بين الألفاظ المتجانسة

وهو التقابل الذي يكون بين مفردتين من الألفاظ المتجانسة، إذ تكون أحدهما ضد الأخرى أو خلافها أو على النقيض منها في اللفظ والمعنى، ولمّا كانت الألفاظ مختلفة في لالتها، فإن التقابل الذي ضمها كان مختلفا أيضاً، فقد يكون التقابل زمنيا إذا كان طرفاه دالّين على الزمان، وقد يكون مكانياً إذاكان طرفاه دالّين على المكان، وكذلك تقابل ألفاظ الهداية والضلال ، والتقابل ألعبادي، والتقابل الغيبي، وأخيراً تقابل الأجناس. وسيتناول البحث كل نوع من تلك الأنواع، ويبين ما جاء منها في نهج البلاغة .

أ : التقابل الدلالي بين ألفاظ الزمان

جاءت الألفاظ المتقابلة في نهج البلاغة تحمل دلالات زمنية في مواضع كثيرة، وقد تكون تلك الألفاظ غير محددة بمدّة معلومة، أي إنّها مطلقة الدلالة زمنيا، أو تكون محددة بزمن معلوم ، فمن الألفاظ المطلقة الدلالة زمنيا:

١ . الدنيا × الآخرة :

الدنيا في اللغة تعني: القرب. قال الخليل: " دنا فهو دانٍ ودني، وسمّيت الدنيا لأنها دنت وتأخرّت الآخرة " [١]، و "دنا منه وإليه وله، ودنا دُنوَّاً ودَناوَةً: قرب وجمعها دُنّا " [٢]. يستدل من ذلك أن الدنيا سمّيت بذلك للدلالة على قربها، والآخرة سمّيت بذلك للدلالة على بُعدها وتأخّرها .

والدنيا والآخرة: هما لفظتان زمنيتان، تمثل الأولى منهما اسماً لهذه الحياة، أمّا الآخرة فإنها تمثل دار البقاء الجامعة للأحوال التي يكون عليها الإنسان بعد الموت من سعادة أو شقاوة، فاللفظتان تمثلان مرحلتين من مراحل حياة الإنسان، وهما من الألفاظ المطلقة غير المحددة، لأنه لا يعرف وقتهما إلاّ الله سبحانه وتعالى .

وقد قابل الإمام علي(عليه السلام) بين الدنيا والآخرة في مواضع متعددة، وقدم في تلك المواضع لفظة الدنيا على الآخرة، وذلك لقربها، ومراعاةً للترتيب الزمني، فمنها ما جاء لبيان الذين يفضّلون الدنيا الفانية على الآخرة الباقية. قال الإمام (عليه السلام): ((وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ

---

[١] . كتاب العين: (دنو) ٨ / ٧٥ .

[٢] . أساس البلاغة: (دنو) ١٣٧، ولسان العرب: (دنا) ١٤ / ٢٧١ ، والمصباح المنير: (دنا) ١ / ٢٠١ ، وينظر: مجمع البحرين (فخر الدين ألطريحي)، تح: أحمد الحسيني، ط ٢ ، الناشر: مكتب نشر الثقافة الإسلامية – ١٤٠٨ هـ: ٢ / ٦١ .

الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ)) [1]. ذكر الإمام ذلك الصنف من الناس ضمن غيرهم من الأصناف الذين خصّهم بالذم لأنّهم يظهرون ناموس الدين ويطلبون به الدنيا [2] .

وكذلك جاء التقابل بين (الدنيا) و(الآخرة) في سياق استنفار الناس للقتال، وقد ورد التقابل مع أسلوب الاستفهام الإنكاري، فقال (عليه السلام): ((أُفٍّ لَكُمْ! لَقَدْ سَئِمْتُ عِتَابَكُمْ. أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ عِوَضاً، وَبِالذُّلِّ مِنَ الْعِزِّ خَلَفاً!)) [3]، وأفاد التقابل بيان حالهم في ترك الجهاد حباً للبقاء، ورغبةً في الحياة [4] .

وسيق التقابل بين اللفظتين، لبيان أنّ المال والبنين حرث الدنيا، وهما من الأمور الفانية، والعمل الصالح هو حرث الآخرة، وهو من الأمور الباقية الموجبة للسعادة الأبدية، إذ قال الإمام (عليه السلام): ((إِنَّ الْمَالَ وَالْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْثُ الآخِرَةِ)) [5]. معنى الحرث: الكسب [6]، وقيل الحرث هو الزرع [7]، فالإمام عقد تقابلاً بين نوعين من الكسب الدنيوي، والكسب الأخروي، والفرق بين الاثنين هو أن الأول منهما وقتي زائل، والآخر منهما أبدي ودائم .

وسيق التقابل بين (الدنيا) و(الآخرة) للتنبيه على قصر حياة الفرد وعمره الخاص به، فمهما طال فهو قصير في ذاته. وقد ورد هذا النوع من التقابل في خطبة الإمام التي قصد فيها النهي عن إتباع الهوى، والمنع من طول الأمل في الدنيا، فإنّهما من أعظم الموبقات وأشد المُهلكات [8]، فقال: ((أَلا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَّاءَ؛ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلاّ صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الإِنَاءِ، أَصَبَّهَا صَابُّهَا أَلا

---

[1] . شرح نهج البلاغة: ٢ / ١٧٤(خطبة ٣٢) .

[2] . ينظر: شرح نهج البلاغة: ٢ / ١٧٨ .

[3] . شرح نهج البلاغة: ٢ / ١٨٩ (خ٣٤) .

[4] . ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي)، طهران، المكتبة الإسلامية، ط ٤ – ١٤٠٥ هـ: ٤ / ٧٣ .

[5] . شرح نهج البلاغة: ١ / ٣١٢(خ ٢٣) .

[6] . الصحاح: (حرث) ١ / ٢٧٩ ، ومجمع البيان في تفسير القرآن ٢ / ٤٦٠ .

[7] . مجمع البحرين: ١ / ٤٣٨ .

[8] . ينظر: شرح نهج البلاغة: ٢ / ٣٢١ ، وفي ظلال نهج البلاغة (محمد جواد مغنية)، بيروت، دار العلم للملايين، ط ١ ، ١٩٧٢ م: ١ / ٢٦١ .

وَإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ)) [1]. المراد بالدنيا هنا، حياة الإنسان التي تُحد بأمد محدود حدها سبحانه وتعالى.

وفي موضع آخر، أفاد التقابل بين لفظتي (الدنيا) و(الآخرة)، إظهار عظمته سبحانه وتعالى وسلطانه، إذ قال (عليه السلام): ((وَانْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ بِأَزِمَّتِهَا)) [2]، فقصد الإمام من التقابل بين مفردتي الدنيا والآخرة هو بيان قدرة الله سبحانه تعالى على تدبير أمرهما وإخضاعهما له عزَّ وجل [3].

وفي بعض المواضع، عبّر الإمام (عليه السلام) عن الدنيا والآخرة بـ (العاجلة والآجلة)، وهما صفتان لهما، فـ" العاجلة نقيض الآجلة " [4]، والعجل: العجل والعجلة: خلاف البطء، وقد عجل عجلاً : أسرع [5].والأَجل في اللغة: " هو مدّة الشيء " [6]، أي أن الدنيا قد تسمى بالعاجلة، وذلك لسرعة انقضائها، ولأنها سابقة متعجّلة عن الآخرة في الترتيب الزماني، ومما يؤكد ذلك، قوله سبحانه وتعالى على لسان موسى (عليه السلام): ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف/ ١٥٠]، أي أسبقتموه [7]. أمّا الآجلة، فهي صفة الآخرة، وتدلُّ على وقت انقضاء ما تقدم قبلها قبل ابتدائها [8].

وقد ورد التقابل بين لفظتي (العاجلة) و(الآجلة)، وقد قدّم الإمام (عليه السلام) لفظة العاجلة على لفظة الآجلة، على غرار تقديمه الدنيا على الآخرة، إذ سيق التقابل في بيان استيلاء الدنيا العاجلة أكثر من الآخرة، فقال الإمام (عليه السلام): ((فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الآخِرَةِ؛ وَالْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الآجِلَةِ)) [9]، وقد أفاد التقابل بين الدنيا الآخرة ثم العطف عليها بالصفة (العاجلة) و (الآجلة)، هو تأكيد التحذير من الدنيا، والترغيب إلى الآخرة، لذا ذكر الإمام صفتين لكل واحدة منهما .

---

(١) . شرح نهج البلاغة: / ٢ / ١٧٤ (خ ٣٢) .

(٢) . شرح نهج البلاغة: ٨ / ٢٧٢ (خ ١٣٣) .

(٣) . ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٨ / ٣٠٦ ، وفي ظلال نهج البلاغة: ٢ / ٢٧٩ .

(٤) . كتاب العين: (عجل) ١ / ٢٢٨ .

(٥) . ينظر: أساس البلاغة: (عجل) ٢٩٤ ، مجمع البحرين: ٣ / ١٠٥ .

(٦) . الصحاح: (أجل) ٤ / ١٦٢١ .

(٧) . المصدر نفسه ، وأساس البلاغة: (عجل) ٢٩٤ .

(٨) . ينظر: الفروق في اللغة: ٢٦٦ .

(٩) . شرح نهج البلاغة: ٧ / ٢٤٦ (خ ١٢٢) .

وقال في موضع آخر، ذاكراً نوعاً من عباد الله تعالى: ((وَقَدْ عَبَرَ مَعْبَرَ الْعَاجِلَةِ حَمِيداً، وَقَدَّمَ زَادَ الآجِلَةِ سَعِيداً)) [١]. شبهت العاجلة (الدنيا) بالقنطرة، لأنّ الإنسان يعبر منها إلى الآخرة (الآجلة) [٢]، وقد أفاد التقابل في هذا الموضع بيان حال المؤمن .

٢ . الأوّل × الآخر :

الأوّل والآخرُ من الألفاظ المتقابلة التي تحمل دلالات زمانية، وتعني الأوّل: " أول –أولاً : سَبق أو تقدّم و(الأول) بمعنى الواحد " [٣]. وتعني الآخرُ: " الأخير، والآخِر: مقابل الأول " [٤].

أتت لفظتا (الأوّل) و(الآخر) متقابلين في نهج البلاغة لتعبّر عن ثلاث دلالات، تتعلق أولهما بالخالق سبحانه وتعالى، وتتعلّق الثانية بالخلق، وتتعلّق الثالثة بالتعبير عن أحوال الدنيا .

أما ما ورد من التقابل بين (الأول) و(الآخر) وكان متعلقاً بالله تعالى، فقد جاء بصيغة المفرد المذكر، في قوله (عليه السلام) واصفاً الله تعالى: ((الأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَالآخِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَعْدٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ بَعْدَهُ)) [٥]، و ((وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، الأَوَّلُ لا شَيْءَ قَبْلَهُ وَالآخِرُ لا غَايَةَ لَهُ)) [٦]، فقد دلّ الإمام بالتقابل بين الأول والآخر على صفتين من صفات الله تعالى، الدالّة على أوليته وأزليته، فمعنى (الأوّل) القديم [٧]، وإنّه كان ولم يكن معه شيء، وهو المبدأ لوجود كل شيء، وهو ليس بأول على معنى أنّ لوجوده ابتداء، وإلاّ يكون حادثاً. ومعنى (الآخِرُ) هو الباقي بعد فناء كل شيء، وإليه ينتهي كل شيء، وهو ليس بآخر على معنى أن لوجوده نهاية [٨].

---

[١] . شرح نهج البلاغة: ٦ /٢٤٦(حكمة ٨٢) .

[٢] . ينظر: توضيح نهج البلاغة (السيد محمد الحسيني الشيرازي)، طهران ، دار تراث الشيعة: ١ / ٤٠٣ .

[٣] . أساس البلاغة: (أول) ١٢ ، المصباح المنير(أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي)، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، لبنان – ١٩٩٤ م: (أل) ١ / ٣٠ ، والمعجم الوسيط: (أول) ١ / ٣٢ .

[٤] . المصباح المنير: (أخر) ١ /٨ .

[٥] . شرح نهج البلاغة: ٦ / ٣٩٨ (خ ٩٠) .

[٦] . شرح نهج البلاغة: ٦ /٣٤٥ (خ ٨٤) .

[٧] . ينظر: الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (جار الله محمود الزمخشري)، نشر طهران: ٤ / ٦١ .

[٨] . في ظلال نهج البلاغة: ١ / ٣٣٠ .

وذكر أبو هلال العسكري في الفروق أنّ: " الأول الموجود قبل. والآخر الموجود بعد، ولا ترد اللفظة إلاّ في أسماء الله، وفي غيرها ترد بالإضافة، يُقال أوله كذا أو آخره "[1] .

لم يكن المراد من التقابل بين الأول والآخر الضدّية، لأنهما صفتان لذاته المقدسة، وإنما لبيان الإحاطة والشمول، واستغراق الزمن المطلق، فهو سبحانه أولٌ وآخر باعتبار تقدّمه زماناً وتأخّره زماناً، لكون الزمان متأخراً عنه تعالى، فهو الأول والآخر الآن، ومن قبل، ومن بعد، فلم يكن شيء قبله ولا بعده، لا من الزمانيات ولا من غيرها [2] .

وأمّا لفظتا (الأول) و(الآخر) المتعلقة بالخلق ، فقد وردت أيضاً بصيغة المفرد المذكر، إذ جاءت في قوله (عليه السلام): ((تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ))[3]، أي إنّما ينتظر الذين ماتوا في أول الدهر مجيء من يُخلقون ويموتون في آخره. وقال (عليه السلام) في سياق التعجّب: ((مَا لابْنِ آدَمَ وَالْفَخْرِ! أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ، وَآخِرُهُ جِيفَةٌ)) [4]، أي أول خلقه نطفة قذرة، وآخر حياته جيفةٌ نتنة. وقال في موضع آخر، واصفاً حال بني أميّة: ((أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لآخِرِهِمْ؛ وَآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ؛ يَتَنَافَسُونَ فِي دُنْيَا دَنِيَّةٍ)) [5]، فالإمام في هذا الموضع يورد لفظتين متقابلتين، ليدل بهما على أن الأول يهيئ المُلك لمن بعده، ويقتدي الآخر منهم في ذلك، ويسير اللاحق على سنّة السابق [6] .

ومما يتعلّق من التقابل بين (الأول) و(الآخر) بأحوال الدنيا، قول الإمام (عليه السلام):((لأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا)) [7]، أي أنه كما ترك الأمر في أيام

---

[1] . الفروق: ١١٣ .

[2] . ينظر: شرح نهج البلاغة (المصباح ، شرح الكبير)، (كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني)، مطبعة خدمات چاپي ٣٩٦ ، ط ٢، طهران – ١٤٠٤ هـ: ٢ / ١٦٩ .

[3] . شرح نهج البلاغة: ١ / ٣٠١ (خ ٢١) .

[4] . شرح نهج البلاغة: ٢٠ / ١٥٠ (حكمة ٤٦٢) .

[5] . شرح نهج البلاغة: ٩ / ١٣٧ (خ ١٥١) .

[6] . ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير) : ٣ / ٢٢٤ ، وفي ظلال نهج البلاغة: ٢ / ٢٦٤ .

[7] . شرح نهج البلاغة: ٦ / ٢٣٨(خ٨١) .

أبي بكر ترك الأمر بعد عثمان، أي كنت أترك الخلافة آخراً كما تركت أولاً [١]، وهذا الترك استوجب تقديم لفظة الآخر على لفظة الأول .

٣ . الليل × النهار :

جاء في معاجم اللغة " الليل: ضد النهار، ويبدأ من غروب الشمس إلى طلوع الفجر الصادق أو طلوع الشمس، والليل واحد بمعنى جمع، وواحدته ليلة، وقد جمع على ليالٍ، فزادوا فيها الياء على غير القياس " [٢] .

والنهار" ضياء ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ولا يجمع كما لا يجمع العذاب والسراب، فإن جمعت قلت في قليله: أنهر، وفي الكثير: نهُرُ " [٣]. والنهار اسم لكل يوم، والليل اسم لكلِّ ليلة، ولا يقال نهار ونهاران، وإنّما واحد النهار يوم، وتثنيته يومان، وجمعه أيّام، وضد اليوم ليلة [٤] .

والليل والنهار: لفظان زمنيان يمثلان جزئي اليوم، وهما من الألفاظ المحددة، وقد قابل بينهما الإمام (عليه السلام) في مواضع عدّة من نهج بلاغته، فقال (عليه السلام): ((أَلا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لَيْلاً وَنَهَاراً)) [٥]، فقد أفاد التقابل مع التنكير معنى العموم والشمول، للدلالة على استمرار دعوة الإمام أتباعه لقتال الأعداء وفي جميع الحالات [٦] .

وكذلك جاء التقابل بين (الليل) و (النهار) مفيداً معنى الشمول والاستغراق في الزمن، في قوله (عليه السلام): ((إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ))[٧] .

---

[١] . ينظر: اختيار مصباح السالكين (شرح نهج البلاغة الوسيط)،(ميثم بن علي البحراني)، ط ، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد – ١٣٦٦ هـ: ١ / ٩٧ .

[٢] . كتاب العين: (ليل) ٨ / ٣٦٣ ، وينظر: لسان العرب: (ليل) ١١ / ٦٠٨ ، وتاج العروس: (ليل) ٨ / ١٠٩ .

[٣] . لسان العرب: (نهر) ٥ / ٢٣٨

[٤] . ينظر:لسان العرب : (ليل) ١١ / ٦٠٨ ، و (نهر) ٥ / ٢٣٨ .

[٥] . شرح نهج البلاغة: ٢ / ٧٤ (خ٢٧) .

[٦] . ينظر: شرح نهج البلاغة (عباس علي الموسوي)، ط ١، دار الرسول ودار الخيمة البيضاء، بيروت – ١٤١٨ هـ: ١ / ٢٢٨ ، وفي ظلال نهج البلاغة: ١ / ١٨٨ .

[٧] . شرح نهج البلاغة: ١٠ / ٢٠٣ (خ ١٩٢) .

وقد يأتي التقابل بين (الليل) و(النهار) في نهج البلاغة لبيان معجزة من معجزات الله، ومن ذلك قوله في خلق الأرض: ((وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا، وَقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوَّةً مِنْ لَيْلِهَا))[١]، وصحب التقابل هنا فعل دال على حدث يتعلق بالليل والنهار، ويبين ما يطرأ عليهما وهو (جعل)، فإنّ اللام في (لنهارها) متعلقة بالفعل (جعل)، أي جعل لأجل النهار الشمس مبصرة، وجعل قمرها قد محي فيه النور من الطرف الأول والأخير من ليالي الشهر. وقد أفاد التقابل بين(الليل) و(النهار) معرفة الزمن، وليعلم المرء عدد السنين، فالشمس تعرفنا باليوم، والقمر بالشهر، ومتى عرفنا الشهر، عرفنا السنة [٢] .

وقال الإمام في بيان سرعة قدوم الموت ممثلاً له بسرعة (الليل) و(النهار) اللذين لا يقفان لحظة: ((وَإِنَّ غَائِباً يَحْدُوهُ الْجَدِيدَانِ، اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لَحَرِيٌّ بِسُرْعَةِ الأَوْبَةِ))[٣]، والمقصود بالغائب في هذا الموضع هو الموت [٤]، وقد أراد الإمام من المقابلة بين (الليل والنهار) في هذا الموضع، بيان تحكم ذينك الزمنين بمجيء الموت .

٤ . اليوم × الليل :

وقد عبّر الإمام (عليه السلام) عن النهار بلفظة (اليوم) وقابله بـ (الليل)، والنهار كما تمت الإشارة سابقاً، هو اسم لكل يوم، وضد اليوم، ليلة [٥]، وقد قابل الإمام بين ما يرادف النهار، وهو اليوم من جهة، وبين الليل من جهة أخرى، فاليوم في اللغة هو " اسم لمقدار من الأوقات يكون فيه السنا " [٦]، وجاء التقابل بين(اليوم) و(الليل) في نهج البلاغة، بصيغة الجمع تارةً، وبصيغة المفرد تارةً أخرى، ومما جاء على صيغة الجمع، قول الإمام (عليه السلام) في صفة الملائكة: ((وَلَمْ تَرْتَحِلْهُمْ عُقَبُ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ))[٧]، وقوله (عليه السلام) في موضع آخر في صفة الله تعالى: ((وَلا تُبْلِيهِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامُ، وَلا يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَالظَّلامُ))[٨]، ويستدل من التقابل في الموضعين السابقين، أنّ الإمام لم يقصد بيان الضدّية، وإنّما أراد إثبات حالة (الثبات)

---

(١) . شرح نهج البلاغة: ٦ / ٤١٩ (خ ٩٠) .

(٢) . ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٢ / ٥٦ – ٥٧ ، وفي ظلال نهج البلاغة: ٢ / ٩ – ١٥ .

(٣) . شرح نهج البلاغة: ٥ / ١٤٥(خ ٦٣) .

(٤) . ينظر: شرح نهج البلاغة: ٥ / ١٣٦ ، وفي ظلال نهج البلاغة: ١ / ٣٢٤ .

(٥) . ينظر: لسان العرب : (ليل) ١١ / ٦٠٨ .

(٦) . الفروق: ٢٦٦ .

(٧) . شرح نهج البلاغة: ٦ / ٤٢٣ (خ ٩٠) .

(٨) . شرح نهج البلاغة: ١٣ / ٨٠ (خ ٢٣٢) .

لموصوفين، هما الملائكة والله سبحانه وتعالى، أي أنّ تعاقب الليالي والأيام عليهما لا يغيّر من ذاتيهما شيئاً .

وقد قابل الإمام بين (اليوم) و(الليلة) بصيغة المفرد، وكان الغرض من إيراد التقابل بينهما، هو بيان الأوقات التي تشغلها الصلوات الخمس من زمن الإنسان المسلم، وذلك في قوله (عليه السلام): ((فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ))[1] .

٥ . اليوم × أمس ، اليوم × غداً :

نجدُ التقابل في نهج البلاغة ذات طابع متميز، فثمّة نصوص نجد فيها أن الإمام قد قابل بين (اليوم) و(الأمس)، ويمكن أن نسمّي ذلك النوع من التقابل بـ(التقابل السابق)، أي أنّ التقابل يُنظر إليه من زاوية ما يرجع إليه من الزمن السابق، وما يرجع إليه من الزمان بالنسبة لليوم هو الأمس.وفي الوقت نفسه، نجد في نهج البلاغة نصوصاً قابل فيها الإمام بين (اليوم) و(الغد)، ويمكن أن نطلق عليه اسم (التقابل اللاحق)، أي أنّ التقابل يُنظر إليه من زاوية الزمان اللاحق، والزمان اللاحق بالنسبة لليوم هو الغد .

وأمس هو "اليوم الذي قبل اليوم الحاضر، وقد يدل على الماضي مطلقاً "[2]، أما الغد، فهو "اليوم الذي بعد يومك ويأتي على إثره، ويُقال لليوم المترقّب البعيد "[3].

قابل الإمام (عليه السلام) بين (اليوم) و(أمس)، فقال: ((وَاللَّهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ، وَلَأُقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ؛ وَإِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ الْيَوْمَ))[4]. وقد قدّم أمس على اليوم مراعاةً للترتيب الزمني، ودلالة التقابل أنّه قاتلهم في زمن الرسول وهم كافرون، والآن يقاتلهم وهم مفتونون [5]، وهنا (أمس) تحمل دلالة الماضي القريب، ولا يعني اليوم السابق ليومه الحاضر .

أمّا التقابل بين لفظتي (اليوم) و (غد)، فقد جاءتا في قول الإمام معبراً بهما عن الدنيا والآخرة، فقال في سياق الحث على التزوُّد للآخرة: ((أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ وَغَداً

---

(١) . شرح نهج البلاغة: ١٠ / ٢٠٢ (خ ١٩٢) .

(٢) . المصباح المنير:(أمس) ٢٢/١، المعجم الوسيط: (أمس) ١ / ٢٦ .

(٣) . نفسه: (غدا) ٢ / ٤٤٣ ، المعجم الوسيط: (غدا) ٢ / ٦٥٢، وينظر: مجمع البحرين: ٤ / ٥٨٨ .

(٤) . شرح نهج البلاغة: ٢ / ١٨٥(خ ٢٣) .

(٥) . ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ١ / ٢٢٣ .

السِّبَاقَ)) [1]، إذ المراد باليوم في هذا الموضع هو: دنيا الإنسان، والمضمار: العمل، وغداً: يوم القيامة، الذي يعرف فيه الرابح من الخاسر [2] .

وثمّة نصوص في نهج البلاغة نجد فيها الإمام قد جمع بين نوعي التقابل (السابق) و (اللاحق)، فقال (عليه السلام): ((مَا فَاتَ الْيَوْمَ مِنَ الرِّزْقِ رُجِيَ غَداً زِيَادَتُهُ، وَمَا فَاتَ أَمْسِ مِنَ الْعُمُرِ لَمْ يُسْرَجِ الْيَوْمَ مَرْجِعَتُهُ)) [3]، فالدلالة التي تحملها الألفاظ (اليوم) و (غداً) و (أمس) تحتمل وجهين من المعنى، فقد تكون دلالتها حقيقية، أي أنّ معنى (اليوم) هو اليوم الحقيقي، ومعنى (غداً) هو اليوم اللاحق لليوم الحاضر، ومعنى (الأمس) هو اليوم السابق لليوم الحاضر، وقد تكون دلالتها مجازية، فيكون المراد من كل لفظة الزمان الذي تدل عليه بشكلٍ مطلق .

٦ . الغُدُوّ × الآصال :

الغُدُوّ هو" وقت ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وجمعها غدوات. أما الآصال، فهو جمعٌ للأصيل:وهو الوقت حين تصفّر الشمس لمغربها [4] .

وقد ورد التقابل بين (الغُدُوّ) و(الآصال) في نهج البلاغة، للتعبير عن طرفي النهار، وجاء التقابل في سياق عمل عبادي، وهو السجود، إذ قال الإمام (عليه السلام) في بيان عظمة الله تعالى: ((وَسَجَدَتْ لَهُ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ الأَشْجَارُ النَّاضِرَةُ))[5]. وقد ذكر الإمام (عليه السلام) التقابل بين الغُدُوّ وبين الآصال كنايةً عن سجود الأشجار لله في كلّ حين .

٧ . غدوة × عشيَّة :

والغَدوة في اللغة: الوقت من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، أمّا العشيّة: فهو الوقت من زوال الشمس إلى المغرب [6] .

قابل الإمام بين (غَدَوةٍ) و(عشيّة) مثلما قابل بين الغُدُو والآصال، وهما من الألفاظ الدالة على الزمان، والتي تتعلق بأجزاء النهار .

---

[1] . شرح نهج البلاغة: ٢ / ٩١ (خ ٢٨) .

[2] . ينظر: توضيح نهج البلاغة: ١ / ١٥٧ ، وفي ظلال نهج البلاغة: ١ / ١٩٦ .

[3] . شرح نهج البلاغة: ٧ / ٢٥١ (خ ١١٣) .

[4] . ينظر: المصباح المنير: (غدا) ٢ / ٤٤٣ ، (أصل) ١ / ١٦، ومجمع البحرين: ٣ / ٢٩٧ – ٩٨، المعجم الوسيط: (غدو) ١ / ٢٠ ، (أصل) ٢ / ٦٥٢ .

[5] . شرح نهج البلاغة: ٨ / ٢٧٢ (خ ١٣٣) .

[6] . ينظر: الفروق: ٢٦٥ ، المصباح المنير: (العشي) ٢ / ٤١٢، المعجم الوسيط: (عشي) ٢ /٦٠٩ .

وقد قدّم الإمام لفظة غدوة على لفظة العشيّة، كما قدّم الغدوة على الآصال مراعاةً للتسلسل الزمني، فقال (عليه السلام) مخاطباً نفراً من قومه: ((أُقَوِّمُكُمْ غُدْوَةً وَتَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً)) [1]، أي إنّ الإمام يسعى لأن يقوّم من يخاطبهم بالنصح والإرشاد صباحاً، وهم يقابلون ذلك بالرجوع منحنين كظهر القوس ليلاً [2].

ب : التقابل الدلالي بين ألفاظ المكان

ويُراد بـ (تقابل ألفاظ المكان) أن تأتي الألفاظ المتقابلة تحمل دلالات مكانية، وقد جاءت تلك الألفاظ المتقابلة في نهج البلاغة معبّرة عن طبيعة النظام الكوني ومعالم الطبيعة التي سنّها الله سبحانه وتعالى، فالكون قائم على نظام الثنائيات، فالسماء تقابل الأرض، والبحر يقابله البر، وجهة الشرق تقابل جهة الغرب. ومن التقابلات الواردة في نهج البلاغة، ما يأتي:

١ . السّماء × الأرْض :

السماء في اللغة هي من الفعل (سمو)، قال الخليل: "سما الشيء يسمو سمواً، أي ارتفع، والسماء: سقف كلّ شيء " [3]، والسماء: "كلّ ما علاك وأظلّك فهو سماء، وسماء البيت: سقفه، والسماء مؤنث وقد يذكر، وجمع السماء: سماوات، ويستعمل للواحد والجمع " [4].

وأما الأرض: " فهي اسم جنس مؤنث، ويعبّر بها عن أسفل الشيء، وجمع الأرض: أرضون " [5]. "والأرض هي الجرم المقابل للسماء " [6].

وقال الراغب الأصفهاني: " سماء كل شيء أعلاه، وكل سماء بالإضافة إلى ما دونها فسماء، وبالإضافة إلى ما فوقها فأرض إلاّ السماء العليا فإنها سماء بلا أرض " [7].

وورد التقابل بين(السماء) و(الأرض) في نهج البلاغة بصورة الجمع تارة، وبصورة المفرد تارةً أخرى. وقد جاء التقابل في سياقات ومقاصد متعددة، منها ما جاء في ذكر بعض صفات الخالق جلّ وعلا، إذ قال الإمام (عليه السلام): ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، وَالْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ، الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِماً دَائِماً؛ إِذْ لَا سَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ، وَلَا حُجُبٌ ذَاتُ إِرْتَاجٍ، وَلَا لَيْلٌ دَاجٍ، وَلَا بَحْرٌ

---

[1] . شرح نهج البلاغة: ٧ / ٧٠ (خ ٩٦) .

[2] . ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٢ / ٧٥ ، وتوضيح نهج البلاغة: ٢ / ١١٢ .

[3] . كتاب العين: (سمو) ٧ / ٣١٩ .

[4] . الصحاح: (سما) ٦ / ٢٣٨٠ ، وينظر: المفردات: ٢٤٣ ، ومجمع البيان: ١ / ١١٦ .

[5] . كتاب العين: (أرض) ٧ / ٥٥ ، وينظر: الصحاح: (أرض) ٣ / ١٠٦٤ .

[6] . ينظر: مجمع البحرين: ١ / ٦٤ .

[7] . المفردات: ٢٤٣ .

سَاجٍ، وَلا جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ، وَلا فَجٌّ ذُو اعْوِجَاجٍ، وَلا أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ))[1]، فقد أفاد التقابل بين السماء وما بها من أبراجٍ وحُجُبٍ، وبين الأرض وما فيها من ليلٍ مظلم وبحرٍ ساكن وجبال، تأكيد صفة السبق والأزل للباري عزّ وجل، قبل خلق السماء والأرض .

وسيق التقابل بين لفظتي (السماء) و (الأرض) في بيان وصف الملائكة، فقال (عليه السلام): ((وَمِنْهُمُ الثَّابِتَةُ فِي الأَرَضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ، وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ))[2]، فالإمام (عليه السلام)في هذا الموضع، يصف جنساً من الملائكة، أقدامهم ثابتة في طبقات الأرض السفلى، وأعناقهم خارجة من السماء العليا، وقيل: إنّ هذه الأوصاف هي أوصاف الملائكة الحاملين للعرش "[3].

وفي بيان مسكن الملائكة، قال (عليه السلام): ((مِنْ مَلائِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ، وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ))[4]، والمراد من مقابلة السماوات والأرض هو بيان تشريف الله عزّ وجل لجنسٍ من الملائكة الذين أسكنهم سماواته ورفع منزلتهم بأنه رفعهم عن الأرض .

وسيق التقابل بين (السماء) و(الأرض) في نهج البلاغة، لبيان شدة الضيق، وذلك في قول الإمام (عليه السلام) لأبي ذرّ الغفاري حينما أخرجه عثمان إلى الرَّبذة[5]: ((وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرَضِينَ كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتْقاً، ثُمَّ اتَّقَى اللَّهَ لَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجاً))[6] .

وورد التقابل في سياق إظهار عظمة سلطان الله عزّ وجل، وقد عبّر الإمام (عليه السلام) عن ذلك قائلاً في وصف السماوات والأرضيين: ((وَقَذَفَتْ إِلَيْهِ السَّمَاوَاتُ الأَرَضُونَ مَقَالِيدَهَا))[7]،

---

(١) . شرح نهج البلاغة: ٦ / ٣٩٢ (خ ٨٩) .

(٢) . شرح نهج البلاغة: ١ / ٩١ (خ ١) .

(٣) . ينظر: شرح نهج البلاغة (الوسيط) : ١ / ٦٩ ، وتوضيح نهج البلاغة: ١ / ٢٦ .

(٤) . شرح نهج البلاغة: ٧ / ٢٠٠ (خ ١٠٨) .

(٥) .الرّبذة: موضع على قرب المدينة المنورة، فيه قبر أبي ذّر الغفاري، ينظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي)، تح:مصطفى السقّا، ط٣، عالم الكتب، بيروت – ١٤٠٣ هـ: ٢ / ٦٣٣ .

(٦) . شرح نهج البلاغة: ٨ / ٢٥٢ (خ ١٣٠) .

(٧) .شرح نهج البلاغة: ٨ / ٢٧٢ (خ ١٣٣) .

فالتقابل ورد هنا كنايةً عن قدرة الله تعالى في تدبير أمر السماوات والأرض، وإمكانية التصرّف فيهما .

وجاء التقابل بين لفظتي (السماء) و (الأرض) لبيان أن التقديرات من الأرزاق والآجال تنزل من السماء إلى الأرض، وشبّه الإمام ذلك بنزول قطرات المطر، فقال: ((أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ، كَقَطْرِ الْمَطَرِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قُسِمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ)) [1]، وقد قصد الإمام بالسماء في هذا الموضع خزائن الجود الإلهي، وبالأرض أرزاق العباد، وعبّر الإمام عن تلك الأرزاق بالأرض لأنها هي مصدر الأرزاق .

٢ . البحر × البرّ :

البحر هو "خلاف البر وسمي بحراً لاستبحاره، لانبساطه وسعته " [2]، ويُقال: " البحر:سمي بحراً لعمقه واتساعه، والجمع أبحر وبحار وبحور " [3]. والبحر: " كل مكان واسع جامع للماء الكثير " [4] .

والبر: " خلاف البحر وتصور فيه التوسع فسميت به البرية: الصحراء، لاتساعها،والجمع براري " [5] .

وقد قابل الإمام (عليه السلام) بين (البحْرَ) و(البرّ)، وجاء التقابل بينهما في سياق التحذير من تعلم النجوم، وذلك في قوله (عليه السلام): ((إِيَّاكُمْ وَتَعَلُّمَ النُّجُومِ إِلاَّ مَا يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ، فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الْكَهَانَةِ)) [6]، فبعد أن نهى الإمام (عليه السلام) عن الأخذ بالنجوم، استثنى من ذلك ما يُهتدى به في برٍّ أو بحر في الأسفار وفي البلاد وفي معرفة القبلة، لأنّ النجوم دليل الإنسان في الليالي المظلمة [7] .

وجاء التقابل بين لفظتي (البر) و (البحر) في قول الإمام (عليه السلام) لمّا سأله معاوية أن يدفع إليه قتلة عثمان، فأجابه (عليه السلام):((لا يُكَلِّفُونَكَ طَلَبَهُمْ فِي بَرٍّ وَلا بَحْرٍ، وَلا جَبَلٍ

---

[1] . شرح نهج البلاغة: ١ / ٣١٢ (خ ٢٣) .
[2] . كتاب العين: (بحر) ٣ / ٢٢٠ .
[3] . الصحاح: (بحر) ٢ / ٢٨٥ .
[4] . المفردات: ٣٧ ، وينظر: مجمع البيان: ١ / ٢٠٦ .
[5] . كتاب العين: (بر) ٨ / ٢٥٩ ، وينظر: الصحاح: (بر) ٢ / ٥٨٨ .
[6] . شرح نهج البلاغة: ٦ / ١٩٩ (خ ٧٨) .
[7] . ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٥ / ٢٦١ ، توضيح نهج البلاغة: ١ / ٣٠١ .

وَلا سَهْلٍ))[1]، وقد أفاد التقابل هنا العموم والشمول، إذ أن من طلبهم آتون إليه دون أن يتكلّف معاوية بطلبهم في برٍّ أو بحرٍ أو غيرهما .

٣ . السهل × الجبل :

السهل: "نقيض الجبل، وهو كلُّ شيء يميل إلى اللين وقلّة الخشونة، والسهل من الأرض: خلاف الحَزْن، وهي أرض منبسطة لا تبلغ الهضبة، والجمع: سهول " [2]. و(الجبل): "ما علا من سطح الأرض واستطال وجاوز التل ارتفاعاً وجمعه: أجبُل وجِبَالُ وأجْبَال " [3] .

وقد أورد الإمام (عليه السلام) التقابل بين (السهل) و(الجبل) إلى جانب التقابل بين البر والبحر، وقد ذكر ذلك في الشاهد السابق، وكذلك أوردهما في سياق بيان منافع لمصلحة العباد، وذلك في عهد مالك بن الأشتر، إذ قال الإمام (عليه السلام): ((ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ؛ وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْراً، الْمُقِيمِ مِنْهُمْ وَالْمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ، وَالْمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ، فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ،وَأَسْبَابُ الْمَرَافِقِ،وَجُلاَّبَهَا مِنَ الْمَبَاعِدِ وَالْمَطَارِحِ، فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ، وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ، وَحَيْثُ لاَ يَلْتَئِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا))[4]، وقد أفاد التقابل أيضاً العموم والشمول، إذ أن البضائع تأتي إليهم من أماكن متعددة وبعيدة لمنفعة الناس. ومما يؤكد فائدة الشمول والعموم استخدام الإمام (عليه السلام) التقابل على المستويين الأفقي بين (البر) و (البحر)، والمستوى العمودي بين (الجبل) و (السهل)، أي من جميع الاتجاهات والنواحي .

ويلحظ أنّ الإمام (عليه السلام) يقدم (البر) على (البحر)، إذ وردا متقابلين، ويبدو أن ذلك يعود إلى تعدد مصادر الرزق في البر، بالإضافة إلى ما أشارت إليه باحثة معاصرة، من أن أكثر حياة الإنسان وتنقّله تكون في البر [5].

٤ . اليمين × الشمال ، الشمال × الجنوب :

---

[1] . شرح نهج البلاغة: ١٤ / ٤٧ – ٤٨ (كتاب ٩) .

[2] . أساس البلاغة: (سهل) ٢٢٣ ، وينظر: المفردات: ٢٤٥ ، ومجمع البحرين: ٢ / ٤٤٧ ، والمعجم الوسيط (سهل) ١ / ٤٦١ .

[3] . ينظر: أساس البلاغة: (جبل) ٥١ ، والمعجم الوسيط: (جبل) ١ / ١٠٥ .

[4] . شرح نهج البلاغة: ١٧ / ٨٣ (كتاب ٥٣) .

[5] . ينظر: التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ٤٧ .

اليمين: " الجارحة، وهي اليد، ثم انتقلت دلالتها إلى الناحية التي تليها. واليمنة بالفتح: خلاف اليسرة، ويقال قعد فلان يمنة، والأيمن والميمنة: خلاف الأيسر والميسرة. واليمين: القسم، والجمع أيمنٌ وأيمانٌ ويمائن " [١] .

والشمال: " المقابل لليمين، واليد الشمال: خلاف اليمين، والجمع أشمل لأنها مؤنثة، وكذلك شمائل وشُمل " [٢].

وجاء التقابل بين(اليمين) و(الشمال) في نهج البلاغة للدلالة على الانحراف عن الهدى إلى الضلالة، وعن النجاة إلى الهلاك، فقد سيق التقابل لبيان حالتي الإفراط والتفريط عن الحق، إذ قال الإمام (عليه السلام): ((الْيَمِينُ وَالشِّمَالُ مَضَلَّةٌ، وَالطَّرِيقُ الْوُسْطَى هِيَ الْجَادَّةُ))[٣]، أي أن الطريق المتوسط بين المتقابلين (اليمين) و (الشمال) هو الطريق المعتدل بين الاثنين، وذلك لأنّ الإمام قصد من الطريق في هذا الموضع الشريعة المتوسطة بين الإسراف والتقصير [٤] .

وقال الإمام (عليه السلام) في موضع آخر قاصداً المعنى نفسه: ((وَمَنْ أَخَذَ يَمِيناً وَشِمَالاً ذَمَّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ))[٥]، واليمين والشمال وإن كانت لهما دلالة على المكان حقيقة، غير أن الإمام لم يعن بهما تلك الدلالة، وإنما على الاستمرار في الزيغ عن جادة الصواب إلى سواها أنى كانت وجهتها، مما يؤكد ذلك ورود الفعل (أخذ) مع سياق التنكير [٦] .

وعلى تلك الشاكلة من التقابل جاءت المفردتان (اليمين) و (الشمال) لبيان وصف أهل الضلال، وذلك في قول الإمام (عليه السلام)واصفاً صنفاً من الناس: ((وَأَخَذُوا يَمِيناً وَشِمَالاً

---

[١] . لسان العرب: (يمن) ١٧ / ٣٥٠ ، والصحاح: (يمن) ٦ / ٢٢٢٢ ، والمفردات: ١٠٠ .

[٢] . ينظر: لسان العرب: (شمل) ١٣ / ٣٨٦ ، والصحاح: (شمل) ٥ / ١٧٣٨ ، ومجمع البحرين: ٢ / ٥٤٤.

[٣] . شرح نهج البلاغة: ١ / ٢٧٣ (خ ١٦) .

[٤] . ينظر: شرح نهج البلاغة(الكبير): ٤ / ٧٠ ، وتوضيح نهج البلاغة: ١ / ١٠٥ ، وفي ظلال نهج البلاغة: ١ / ١٣٨ .

[٥] . شرح نهج البلاغة: ١١ / ١٧٦ (خ ٢١٧) .

[٦] . ينظر: الفروق: ١٣١ . الأخذ : مصدر أخذت بيدي، والاتخاذ أخذ الشيء لأمر يستمر فيه .

طَعْناً فِي مَسَالِكِ الْغَيِّ))[1]، أي أخذوا طريق من ضلَّ من فرق الإسلام عن طريق الهدى التي عليها الكتاب والسُّنة [2] .

وقد يقابل الإمام بين (الشمال) و (الجنوب) في بعض المواضع، والجنوب جمع مفردة: الجَنْب، وهو ما تحت إبطه إلى كشحه. والجنبة: الناحية من كل شيء. والجنوب: الريح التي تقابل الشمال[3]. ومما ورد من التقابل بين (الشمال والجنوب) قوله (عليه السلام) في سياق التبرّم من سوء أفعال أصحابه ومخالفتهم لأوامره: ((فَلاأَطْلُبُكُمْ مَا اخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَشَمَالٌ))[4]، ورد التقابل بين الجنوب والشمال دلالة على عدم طلبه إياهم أبداً ما اختلف هبوب رياح الجهتين. ويستشف من عرض التقابل بين (اليمين) و (الشمال) و (الجنوب) في نهج البلاغة، أنّ ذلك التقابل جاء على صورتين ، فتارةً يكون التقابل أفقياً، وهو ما كان بين اليمين والشمال، ويكون تارةً أخرى عمودياً عندما يكون طرفاه الشمال والجنوب .

٥ . المشرق × المغرب :

الشرق " المشرق. والشرق: الشمس، يُقال طلع الشرق، والمشرقان: مشرقا الصيف والشتاء.وشرقت الشمس تشرق شروقاً وشرقاً أي طلعت، وأشرقت، أي أضاءت، والمشرق المصلّى: والتشريق الأخذ من ناحية المشرق " [5] .

والمغرب " الذي يأخذ من ناحية الغرب، والغرب بمعنى واحد. والمغرب: مكان غروب الشمس، والمغرب زمان غروبها، ووجهة غروبها " [6] .

وردت لفظتا (المشرق) و (المغرب) متقابلتين بصيغة المفرد، وكانتا معرّفتين بـ (أل)لتدلاّ على البعد والتباين، فقد شبّه الإمام (عليه السلام) الدنيا والآخرة بهما لاختلاف جهتيهما وتباينهما، فقال (عليه السلام): ((فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَتَوَلاَّهَا أَبْغَضَ الآخِرَةَ وَعَادَاهَا، وَهُمَا بِمَنْزِلَةِ

---

(١) . شرح نهج البلاغة: ٩ / ١٢٦ (خ ١٥٠) .

(٢) . ينظر: شرح نهج البلاغة(الكبير): ٣ / ٢١٤ .

(٣) . ينظر: كتاب العين: (جنب) ٦ / ١٤٨ ، والصحاح: (جنب) ١ / ١٠١ ، والمفردات: ١٠٠ ، ومجمع البحرين:١ / ٤٠٦ .

(٤) . شرح نهج البلاغة: ٧ / ٢٨٥ (خ ١١٨) .

(٥) . الصحاح: (شرق) ٤ / ١٥٠٠ ، ولسان العرب: (شرق) ١٧٥/١ ، وينظر: مجمع البحرين: ٢ / ٥٠٣ ، وينظر: المعجم الوسيط: (شرق) ١ / ٤٨٢ .

(٦) . الصحاح: (غرب)١ / ١٩١ ، ولسان العرب: (غرب) ٦٤١/١ ، وينظر: المعجم الوسيط: (غرب) ٢ / ٦٥٣ .

الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَاشٍ بَيْنَهُمَا، كُلَّمَا قَرُبَ مِنْ وَاحِدٍ بَعُدَ مِنَ الآخَرِ)) [1] ،أي أن المحبّ للأولى منها مبغض للأخرى، وقد أشار التقابل بين الاثنين عمل كلّ من الدارين، بأنه يكون مضاداً لعمل الدار الأخرى [2].

وسيق التقابل بين المشرق والمغرب بصيغة الجمع، وفي حالة التنكير للدلالة على جهتي شروق الشمس وغروبها، إذ قال (عليه السلام) في بيان حال نبي الله عيسى (عليه السلام):((وَظِلالُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا))[3] ، إذ أورد أحد شُرّاح النهج أن عيسى (عليه السلام) كان يذهب في الصباح نحو الشرق حتى تشرق عليه الشمس، وفي العصر نحو المغرب، حتى لا يُحرم من الشمس في الشتاء البارد [4] .

٦ . الغور × النجد :

الغور في اللغة " القعر من كل شيء " [5]، والنجد " ما ارتفع وأشرف من الأرض، والجمع نجاد ونجود وأنجد " [6].

قابل الإمام علي (عليه السلام) بين لفظتي (الغور) و (النجد) للدلالة على الباطن والظاهر، فقال (عليه السلام) في فضل أهل البيت: ((وَنَاظِرُ قَلْبِ اللَّبِيبِ بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ، وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ وَنَجْدَهُ))[7]، فقد جاء التقابل لبيان قدرة العاقل على التمييز والعمل بما يعلم، وأنه يعرف من باطن الشيء وظاهره، أي ما تخفيه السرائر، ولا يخدع بالمظاهر والكذب [8] .

ت :التقابل الدلالي بين ألفاظ الهداية و الضلال

---

[1] شرح نهج البلاغة: ١٨ / ٢٦٤ (حكمة ١٠٠) .

[2] . ينظر: شرح نهج البلاغة: ١٨ / ٢٦٤ ، شرح نهج البلاغة (الكبير): ٥ / ٢٩٢ – ٢٩٣ .

[3] . شرح نهج البلاغة: ٩ / ٢٢٩ (خ١٦١) .

[4] . توضيح نهج البلاغة: ٢ /٤٣١ .

[5] . الصحاح: (غور) ٢ / ٧٧٣ ، ولسان العرب: (غور) ٥/ ٣٣ ، والمصباح المنير: (الغور) /٤٥٦.

[6] . المصدر نفسه: ٢ / ٥٤٢ ،ولسان العرب: (نجد) ٤١٣/٣ ، والمصباح المنير: (نجدته) ٢ / ٥٩٣ .

[7] . شرح نهج البلاغة: ٩ / ١٦٤ (خ ١٥٤) .

[8] . ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٢ / ٣٨٧ – ٣٨٨ .

إن نهج البلاغة يُعد بحق ميزاناً يعرض عليه ما اختلف فيه من مسائل الشريعة والدين، ولا عجب، فهو الأثر العظيم والتركة الخالدة لأمير البلاغة وسيد نهجها بعد الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وجاءت ألفاظ العقيدة في النهج لتهدي إلى سبل الصلاح والاستقامة، ولتتمم عملية الفهم للقرآن والسنّة .

ومن الألفاظ التي وردت متقابلة في نهج البلاغة: الحق والباطل، الكفر والإيمان، العمى والهدى، الرشد والغي .

١ . الحق × الباطل :

الحق "حق الشيء يحق حقاً أي وجب وجوباً " [١]، والحق " خلاف الباطل، وأصله المطابقة والموافقة، ويأتي على وجوه متعددة يستعمل استعمال الواجب واللازم . وسمّي الحق حقاً لاستحقاقه أن يحمل عليه وأن ينتفع به " [٢] .

وأما الباطل، فهو من الفعل بطل، و بَطُل الشيء يبطل بطلاً وبطولاً وبطلاناً، أي ذهب باطلاً، والباطل ضد الحق، والجمع أباطيل على خلاف القياس " [٣]. والباطل: الشرك،والباطل هو الخارج عن حد الانتفاع [٤]. والباطل هو مالإثبات له عند الفحص [٥] . وقد يقابل الإمام في نهج بلاغته بين الحق وبين الباطل لبيان صفة خلق آدم(عليه السلام) وتزويد الله إيّاه بالقوة الاستعدادية للتفريق بين الحق والباطل، إذ قال الإمام (عليه السلام)ذاكراً ما زود الله به آدم من أعضاء: ((وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا، وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ))[٦] .

وفي موضع آخر سيق التقابل بين (الحق) و(الباطل) لمعرفة أهل الحق وأهل الباطل، وهل الغلبة تكون بكثرة العدد؟ فقال(عليه السلام): ((حَقٌّ وَبَاطِلٌ، وَلِكُلٍّ أَهْلٌ، فَلَئِنْ أَمِرَ الْبَاطِلُ لَقَدِيماً فَعَلَ، وَلَئِنْ قَلَّ الْحَقُّ فَلَرُبَّمَا وَلَعَلَّ))[٧]، فالباطل قائم مع الحق، والصراع بينهما مستمر، فتارةً الغلبة للحق، وتارة هو الغلوب عليه، ولكن المحصلة النهائية هو انتصار الحق

---

[١] . كتاب العين: (حق) ٣ / ٦ .

[٢] . الصحاح: (حق) ٤ / ١٤٩ ، وينظر: المفردات: ١٢٥ ، ومجمع البحرين:١ / ٥٤٧ .

[٣] . كتاب العين: (بطل) ٧ / ٤٣١ ، وينظر الصحاح: (بطل) ٤ / ١٦٣٤ .

[٤] . ينظر: مجمع البحرين: ١ / ٢١٢ – ٢١٣ .

[٥] . ينظر: المفردات: ٣٥ .

[٦] . ينظر:شرح نهج البلاغة: ١ / (خ ١) .

[٧] . شرح نهج البلاغة: ١ / ٢٧٢ (خ ١٦) .

مهما طال الزمن. وأشار الإمام إلى أن النصر ليس بكثرة العدد، فلربما غلبت قلة أهل الحق كثرة أهل الباطل، ولعل الحق يقهر الباطل ويمحقه [١].

وجاء التقابل بين لفظتي (الحق) و(الباطل) في سياق النهي عن قتل لخوارج، وذلك في قول الإمام (عليه السلام): ((لا تُقَاتِلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي؛ فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ)) [٢]، والمراد من التقابل بين الحق والباطل إشارة إلى الخوارج الذين طلبوا الحق، وأومأ إلى معاوية الذي طلب الباطل .

وأورد الإمام (عليه السلام)التقابل بين لفظتي (الحق) و(الباطل)، لبيان موقفه الذي هو موقف الحق، وبيان موقف خصمه الذي هو على الباطل، إذ قال : ((الْيَوْمَ تَوَاقَفْنَا عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ)) [٣] .

٢ . العمى × الهدى :

العمى هو " ذهاب البصر، ورجل عمِيّ القلب: أي جاهل، وقوم عَمُون، وفيهم عميتهم: أي جهلهم . وقولهم: ما أعماه، إنّما يُراد به، ما أعمى قلبه؛ لأن ذلك نعت ينسب إلى كثير الضلال. والعميّة: الضلالة " [٤]. والعمى من " عمي عمى فهو أعمى، والمرأة عمياء، والجمع عُميٌ وعميان، ويستعار للقلب كناية عن الضلالة والعلاقة. عدم الاهتداء " [٥].

وأما الهدى فهو " الرشاد والدلالة والبيان، يذكر ويؤنث. وهديته الطريق، أي عرَّفته " [٦].

---

[١] . ينظر: صفوة شروح نهج البلاغة (أركان التميمي)، ط ٢ ، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت، لبنان – ٢٠٠٤م: ٦٦ .

[٢] . شرح نهج البلاغة: ٥ / ٧٨ (خ ٦٠) .

[٣] . المصدر نفسه: ١ / ٢٠٧ (خ ٤) .

[٤] . كتاب العين : (عمي) ٢ / ٢٦٦ – ٢٦٧ ، وينظر: الصحاح: (عمي) ٦ / ٢٤٣٩ – ٢٤٤٠، ولسان العرب: (عمي) ١٥/٩٥.

[٥] . مجمع البحرين: ٣ / ٢٥٦ .

[٦] . الصحاح: (هدى) ٦ / ٢٥٣٣ ، ولسان العرب: (هدي) ١٥/٣٥٣ ، وينظر: مجمع البحرين: ٤ / ٤١٥ .

وقابل الإمام (عليه السلام) بين (العمى) و (الهدى) في سياق التفصيل، ولبيان موقف الإنسان من الشبهة، فقال (عليه السلام): ((فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا الْيَقِينُ، وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى. وَأَمَّا أَعْدَاءُ اللَّهِ فَدُعَاؤُهُمْ فِيهَا الضَّلَالُ وَدَلِيلُهُمُ الْعَمَى))[1]، المراد بسمت الهدى، طريق الحق، أما العمى فقد دلّ على الضلال المورد أهله إلى الهلاك .

وفي موضع آخر قابل الإمام (عليه السلام) بين لفظتي (العمى) و(الهدى)، وجاء التقابل لبيان مكانة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال: ((وَالْمُوَضَّحَةُ بِهِ أَشْرَاطُ الْهُدَى وَالْمَجْلُوُّ بِهِ غَرِيبُ الْعَمَى))[2]. أفاد التقابل – في هذا الموضع – بيان ما جاء به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من الكتاب والشريعة، وهداية الناس إلى الحق، بعدما كانت تعيش الأمة أشد أنواع العمى والضلال[3] .

٣ . الرشد × الغي :

الرشد هو " الرشاد:خلاف الغي، وقد رشد يرشد رشداً، ورشِدَ بالكسر يرشد رشداً، والمراشد: مقاصد الطريق "[4]، والرشد: " خلاف العمى والضلال، وفسّر بإصابة الحق، والرشد: الصلاح، وأرشده الله : هداه الله "[5] . أما الغي فهو " غوى: غياً إذا خاب وضلّ وغوى يغوي: انهمك في الجهل، والاسم: الغواية. والغي: الضلال والخيبة "[6] .

---

(١) . شرح نهج البلاغة: ٢ / ٢٩٨ (خ ٣٨) .

(٢) . شرح نهج البلاغة: ١٠ / ٥٨ (خ ١٧٩) .

(٣) . أشراط: علامات، ينظر: المصباح المنير: (شرط) ١ / ٣٠٩ . الغريب: الأسود الحالك، ينظر: لسان العرب: (غرب) ١ / ٦٤٧ ، ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٢ / ٦ – ٧ .

(١) . الصحاح: (رشد)٢/٤٧٤، ولسان العرب: (رشد)٣/١٧٥، وينظر: المفردات: ١٩٦ .

(٢).مجمع البحرين : ٢ / ١٨٠ .

(٣).الصحاح: (غوى) ٦ / ٢٤٥٠ ، وينظر: مجمع البحرين : ٣ / ٣٤١ .

(٤).شرح نهج البلاغة: ٩ / ١٢٦ (خ ١٥٠) .

وقد قابل الإمام (عليه السلام) بين (الرشد) و(الغي) في سياق وصف أهل الضلال.

وقد عبّر عن طريق الهدى بالرشد، وعن الضلال بالغي، فقال (عليه السلام): ((وَأَخَذُوا يَمِيناً وَشِمَالاً ظَعْناً فِي مَسَالِكِ الْغَيِّ، وَتَرْكاً لِمَذَاهِبِ الرُّشْدِ))[1]، أي ولوجاً في مسالك الضلال، وتركاً لطريق الرشد [2]، وما أورد الإمام ذلك النوع من التقابل إلاّ لبيان حال من يعتقد معتقداً فاسداً فيكون غوياً سالكاً مسلك الغواية، وتاركاً لطريق الصلاح والهداية، وفي ذلك إمعان من ذلك الغاوي في التمسك بذلك المسلك .

٤ . الإيمان × الكفر :

الإيمان في اللغة من "أَمِنَ –أمناً، وأمانة، وآمنة: أطمأن ولم يخف، فهو آمِن.

والإيمان: التصديق " [3]، والإيمان: هو الهدى، ويستعمل تارة للشريعة التي جاء بها محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .ويوصف به كل من دخل شريعته مُقرّاً بالله وبنبوّته، وتارة يستعمل على سبيل المدح ويُراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بحسب ذلك بالجوارح [4] .

والكُفرُ " ضد الإيمان. والكفرَ بالفتح: التغطية، وقد كفرت الشيء أكفر بالكسر كفراً: سترته. والكفر: جحود النعمة، وهو ضد الشكر. والكافر: الجاحد للخالق، وجمعه كُفار وكفرة وكافرون، والأنثى كافرة وكافرات وكوافر. والكافر: الليل المظلم؛ لأنه ستر كل شيء بظلمته. وكل شيء غطّى شيئاً فقد كفره، ومنه سمّي الكافر، لأنه يستر نِعم الله عليه. والكافر: البحر، والكافر: الزارع، لأنه يغطي البذر بالتراب " [5] .

ووردت لفظتا (الإيمان) و (الكفر) متقابلتين في سياق إخبار عن حالة الغيرة عند الرجل والمرأة، فقد دلّت لفظة الإيمان على الطاعة في مقابل الكفر الذي يدل على المعصية، إذ قال الإمام ((غَيْرَةُ الْمَرْأَةِ كُفْرٌ، وَغَيْرَةُ الرَّجُلِ إِيمَانٌ))[6]، فالكفر والإيمان وإن كانا متقابلين في حقيقتهما، غير أن الإمام لم يقصد بهما ذلك المقدار من الدلالة على المعتقد، وإنّما قصد بهما

---

[2]. ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٢ / ٣٥٩ .

[3] . الصحاح: (أمن) ٥ / ٢٠٧١ ، ولسان العرب: (أمن) ٢١/١٣، و المصباح المنير: (أمن) ١/ ٢٤، وينظر: المعجم الوسيط: (أمن)١ / ٢٧ – ٢٨ .

[4] . ينظر: المفردات: ٢٦ ، ومجمع البحرين: ٢ / ٤٠٨ .

[5] . كتاب العين: (كفر) ٥ / ٣٥٥ ، والصحاح: (كفر) ٢ / ٨٠٧ – ٨٠٨ ، وينظر: مجمع البحرين:٤ / ٥١ ، وينظر: المعجم الوسيط: (كفر) ٢ / ٧٩٧ .

[6] . شرح نهج البلاغة: ١٨ / ٣١٢ (حكمة ١١٩) .

الدلالة على المعتقد ولكن بمقدار أقل من دلالتهما الحقيقية، أي أنه (عليه السلام) قصد من الكفر أن تحل غيرة المرأة ما حرّم الله، وسمّاها (عليه السلام)كفراً لمشاركتها الكفر في القبح، فأجرى عليها اسمه. وغيرة الرجل قصد بها الإيمان وذلك لتحريمه ما حرّم الله [1]، وفي ذلك دلالة على المعتقد أيضاً ولكن بمرتبة دون مرتبة الكفر والإيمان الحقيقيين .

ث : التقابل الدلالي بين ألفاظ الغيب

يعرض الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة لعالم الغيب [2]، وهو ما لا يدرك بالحس ولا يعرف بالطرق الحسّية كالرؤية واللمس والسمع، وذلك ما يكون في العوالم الخارجة عن الحس والمشاهدة كعالم الموت والجنة والنار، فالإمام أراد توضيح مسائل الغيب وخصوصياتها لأنه كان يعيش في وسطٍ قد مضى على نزول الوحي فيه مدة وجيزة، لم تكفِ لقمع جذور الوثنية، فالفترة الزمنية التي عاشها رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت مليئة بالأحداث السياسية والاجتماعية، ولم تكتمل الصورة بشكلها الكامل لدى الذهنية العامة حول الله سبحانه وتعالى وعوالم الغيب، وإن الذهن البشري لم يستطع أن يتخلص أو يتحرر من التمثيل الحسّي المادي التجسيمي، ولعل ذلك يعود إلى النزعة المادية للإنسان، كون بدايته ماديّة جسمانية، فيحاول تشبيه كل شيء بالأشياء التي ألفها في وضعه المادي [3]، فكانت لكلمات الإمام (عليه السلام) الأثر الكبير في تثبيت الفكر البشري على مستوى رفيع من المعرفة بالخالق سبحانه، ومما جاء من ألفاظ الغيب المتقابلة في نهج البلاغة:

١ . الجنة × النار:

أصل المادة (جنن) في اللغة وهي " جنَّ – جنّاً: أُستتر أو جنَّه: ستره فاجتنّ. والجنّة: بالفتح، الحديقة ذات النخل والشجر وسميّت بذلك لتكاثف والتفاف أغصانها، والجنّة: دار النعيم في الآخرة وجمعها جنانٌ " [4] .

والنار هي " نور – نار وأنار واستنار، وهي عنصر طبيعي فعّال، يمثلها النور والحرارة المحرقة. والنور: الضياء، وهو خلاف الظلمة، والنار مؤنثة بدليل نويرة، والجمع

---

[1] . ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٤ / ٣٩٥ ، وصفوة شروح نهج البلاغة: ٧٨٣ .

[2] . المراد بالغيب، هو الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء إلاّ علم اللطيف الخبير: ينظر: الكشّاف: ١ / ٢٢ .

[3] . ينظر: التفسير الموضوعي لنهج البلاغة (محمود الهاشمي)، إصدار: مكتب السيد محمود الهاشمي، ط ١، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٤ م: ٣٢ .

[4] . أساس البلاغة: (جنن) ٦٦ ، ولسان العرب: (جنن) ٩٢/١٣، وينظر: مجمع البحرين:١ / ٤١٣، والمعجم الوسيط: (جنّ) ١ / ١٤١ .

نيران " [١]، والنار: هي" اسم العذاب يعذب الله به الكفار في الآخرة " [٢]، والنار هي الأعمال القبيحة التي هي سبب لحصول العقاب بالنار، فأطلق اسم النار عليها مجازاً من باب تسمية السبب باسم السبب [٣] .

ورد التقابل في نهج البلاغة بين (الجنة) و (النار) للدلالة على المكان، فالجنة هي المكان الذي أعده الله سبحانه وتعالى جزاءً لعباده المتقين في الآخرة، والنار هي للتعبير عن المكان الذي أعدّه الله لعذاب الكافرين، ومن التقابل بينهما قول الإمام (عليه السلام)في سياق الحث على التزوّد للآخرة: ((أَلا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ، وَغَداً السِّبَاقَ، وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ، وَالْغَايَةُ النَّارُ؛ أَفَلا تَائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ ؟))[٤]. وقد وقف الشريف الرضي عند هذه الخطبة، وأشار إلى دلالة لفظتي (السبقة) و (الغاية) فقال: " خالف بين اللفظتين لاختلاف المعنيين، ولم يقل السبقة النار كما قال السبقة الجنة؛ لأن الاستباق إنما يكون إلى أمرٍ محبوب، وغرضٍ مطلوب، وهذه صفة الجنة، وليس هذا المعنى موجوداً في النار، فلم يجز أن يقول والسبقة النار، بل قال: والغاية النار، لأن الغاية [٥] ينتهي إليها من لا يسره الانتهاء، ومن يسره ذلك فصلح أن يعبّر بها عن الأمرين معاً " [٦]، فالإمام – حسب رأي الرضي – قد مهّد لكل كلمة من الكلمتين المتقابلتين (الجنة) (النار)بما يناسبهما من الألفاظ، وقد أضفى ذلك التمهيد تعزيزاً دلالياً لمعنيي الفظتين (الجنة) و (النار)، فـ (السبقة) تؤول إلى (الجنة) و (الغاية) معناها (النار) .

وجاء التقابل بين لفظتي (الجنّة) و (النار) في بيان حال من كانت هاتان الداران أمامه، فهو في شغل عن أمور الدنيا، إذ قال (عليه السلام): ((شُغِلَ مَنِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ

---

[١] . أساس البلاغة: (نور) ٤٧٦، ولسان العرب: (نور) ٥ / ٢٤٠، وينظر: المعجم الوسيط:(نور) ٢ / ٩٧١ .

[٢] . الزينة في الكلمات الإسلامية (لإبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي)، عارضة وعلق عليه: حسين فيض الله الهمذاني، ط٢، الناشر دار الكتب العربي، بمصر – ١٩٥٧ م: ٢ / ٢٠٦ ، وينظر: ألفاظ العقيدة والشريعة في نهج البلاغة (فضيلة عبوسي محسن)، (رسالة ماجستير) كلية التربية / جامعة الكوفة – ١٩٩٨ م: ١٣٥ .

[٣] . ينظر: مجمع البحرين: ٤ / ٣٩٢ .

[٤] . شرح نهج البلاغة: ٢ / ٩١ (خ ٢٨) .

[٥] . الغاية: أصلها الراية. وسميت نهاية الشيء غايته، لأن كل قوم ينتهون إلى غايتهم في الحرب، أي رايتهم: الفروق : ٢٨٩ .

[٦] . ينظر: شرح نهج البلاغة: ٢ / ٩٢ ، وينظر: شرح نهج البلاغة (الوسيط): ١ / ١٣٢ .

أَمَامَهُ))[1]، أي من كان رشيداً فحريٌّ به أن تنفذ أوقاته جميعها في الإعداد للجنّة، والابتعاد عمّا يؤدي إلى النار [2] .

وسيق التقابل أيضاً بين اللفظتين (الجنّة) و (النار) للتنبيه على وجوب لزوم الأعمال الصالحة والحث عليها، فقال الإمام (عليه السلام): ((وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ إِلاَّ الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ)) [3] .

٢ . الحياة × الوفاة ، الحياة × الموت :

الحياة في اللغة " حيّ، حياةً وحيواناً: كان ذا نماء. يُقال: حيَّ يحيى، فهو حي. واستحييت أسيري: تركته حيّاً. والحياة: النمو والبقاء، والحياة حركة، كما أن الموت سكون، والحيوان مصدر حيّ وهو جنس للحي، والحيوان والحياة والحي: نقيض الميت " [4] .

وأما الوفاة فهي " الموت، وتوفاه الله: قبض روحه " [5] .

سيق التقابل بين لفظتي (الحياة) و (الوفاة)بأسلوب التعجب، إذ قال الإمام ذاكراً الخلافة والخلفاء: ((فَيَا عَجَباً! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ))[6]، فقد قابل الإمام في هذه الخطبة بين الحياة والوفاة لبيان تمسّك أبي بكر بالخلافة مدة حياته، وعند وفاته يعقدها لآخر بعده، وهو يشر بذلك إلى الخليفة عمر بن الخطاب [7] .

وجاء التقابل بين اللفظتين (الحياة) و (الوفاة) في بيان من ضلّ عن سبيل الصالحين من قبله وكان قدوة للمضلين من بعده، فقال الإمام (عليه السلام): ((مُضِلُّ لَمَنِ اقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ

---

(١) . شرح نهج البلاغة: ١ / ٢٧٣ (خ ١٦) .

(٢) . ينظر: صفوة شروح نهج البلاغة: ٦٧ .

(٣) . شرح نهج البلاغة: ٥ / ١٤٥ (خ ٦٣) .

(٤) . أساس البلاغة: (حيى) ١٠١ ، ولسان العرب: (حيا) ٢١١/١٤، وينظر: مجمع البحرين: ١ / ٦١٤– ٦١٥ ، والمعجم الوسيط: (حي) ١ / ٢١١ .

(٥) . أساس البلاغة: (وفى) ٥٠٥ ، ولسان العرب: (وفي) ١٥ / ٤٠٠ ، وينظر: مجمع البحرين: ٤ / ٥٢٩ .

(٦) . شرح نهج البلاغة: ١ / ١٦٢ (خ ٣) .

(٧) . ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير): ١ / ٢٥٧ .

وَفَاتِهِ))[1]، فـ(الحياة) و (الوفاة)متقابلان دلالياً في النص؛ لأنهما يمثلان مرحلتين زمنيتين من عمر من وصفه .

وقد قابل الإمام (عليه السلام) في بعض المواضع بين الحياة والموت. والموت هو " مات الحي – موتاً: فارقته الحياة، والجمع: موتى وأموات وميتون. وماتت النار: خمدت. وماتت الريح: سكنت. والموت ضد الحياة " [2] .

وجاء التقابل بين لفظة (الحياة) و (الموت) في سياق التحريض على القتال، إذ قال الإمام (عليه السلام): ((قَدِ اسْتَطْعَمُوكُمُ الْقِتَالَ، فَأَقِرُّوا عَلَى مَذَلَّةٍ، وَتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ، أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرْوَوْا مِنَ الْمَاءِ؛ فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ، وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ))[3]، المراد من التقابل بين لفظتي الحياة والموت في هذه الخطبة التنبيه على أن الحياة مع الذلّة موت في الحقيقة، والموت مع العزّة حياة في الحقيقة [4] .

ج : التقابل الدلالي بين الألفاظ النفسية

ويُراد به أن تتقابل ألفاظ ذات صفة نفسية تمثل الحالة الشعورية التي تنتاب الإنسان ويستشعر بها في موقفٍ ما. وقد تبين من البحث أن الإمام (عليه السلام) يخاطب النفس الإنسانية للهداية والصلاح، فأورد الإمام (عليه السلام) متقابلات عدّة، لأن النفس الإنسانية جبلت على خطوط متقابلة ومختلفة، كالخوف والأمن، والحب والكره، والالتزام والتحرر، وإن وظيفة تلك الصفات الإنسانية هي إقامة التوازن في حياة البشر، فالخطان المتقابلان يربطان الكيان النفسي من جانبين، فهو يقدم في مواطن الإقدام ويحجم في مواطن الإحجام، ويحب في مقام الحب ويكره في مقام الكره [5] . . ومما جاء من تلك الألفاظ في نهج البلاغة:

١ . الخير × الشر :

والخير " اسم تفضيل، وهو الحسن لذاته، ولما يحققه من لـذّةٍ، أو نفع، أو سعادة، والخير ما يرغب فيه الكل من عدل وفضل. والخير خلاف الشر. وجمعه خيور وخيار،

---

[1] . شرح نهج البلاغة: ١ / ٢٨٣ (خ ١٧) .

[2] . أساس البلاغة: (موت) ٤٣٩، وينظر: مجمع البحرين: ٤ / ٢٣٩، والمعجم الوسيط: (مات)٢ / ٨٩٨ .

[3] . شرح نهج البلاغة: ٣ / ٤٤ (خ ٥١) .

[3] . ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٤ / ٢٠٢ .

[5] . ينظر: دراسات في النفس الإنسانية (محمد قطب)، دار الشروق، بيروت، ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م: ٧١، وظاهرة التقابل في اللغة العربية: ١٤٣ .

ويقال: اخترت الشيء وتخيّرته واستخرته " [١]. وأما الشر فهو " شر فلان يشر شرارةً، وهو شرير. والشر: السوء والفساد والظّلم. وجمعه شرور. والشر: هو ما يرغب عنه الكل، والشّر بالضم خُصّ بالمكروه " [٢].

وورد التقابل في نهج البلاغة بين لفظتي (الخير) و (الشر) في بعض المواضع بصيغة الإنكار، وقد أفاد العموم، وذلك في سياق الشرط، إذ قال الإمام (عليه السلام) في النهي عن البِدعة: ((فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْراً فَأَعِينُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَرّاً فَاذْهَبُوا عَنْهُ)) [٣].

وجاء التقابل بين اللفظتين في سياق الدعاء على قومه، إذ قال: ((فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ، وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرّاً مِنِّي)) [٤]، والمراد: أبدلني بهم بصحبة الأنبياء والصلحاء في الآخرة، وأبدلهم بي، أي بعوضي شراً مني عقوبةً لأعمالهم [٥].

سيق التقابل بين (الخير) و (الشر) في بيان حال بعض الناس الذين استهويتهم الفتنة والضلال فتبعوها، فقال (عليه السلام): ((جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ فِي خَيْرِ دَارٍ وَشَرِّ جِيرَانٍ)) [٦]، ويلحظ من التقابل أنه قد دلّ على اختلاف الصفتين (الخير) و (الشر) واختلاف النوعين (الدار) و (الجار)، فأراد الإمام بـ (الدار) الدلالة المكانية، أي مكان تلك الدار وهي مكة، وقصد بالثاني وهو(الجار)، أي نوعية الجنس وهم أناس عبدة الأوثان.

وفي سياق التنبيه والتحذير، قابل الإمام بين (الخير) و(الشر) بصيغة الجمع، وجاءت كلتا اللفظتين نكرة لبيان العموم، إذ قال: ((فَاتَّقُوا شِرَارَ النِّسَاءِ، وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ)) [٧]، وقصد الإمام (عليه السلام) من ذلك التعريض بأم المؤمنين عائشة وذمّ من تبعها،

---

[١] . أساس البلاغة: (خير) ١٢٣ ، وينظر: المفردات: ١٦١ ، ولسان العرب: (خير) ٤ / ٢٦٤، ومجمع البحرين: ١ / ٧١٧ ، والمعجم الوسيط: (خير) ١ / ٢٦٣ .

[٢] . نفسه: (شرر) ٢٣٣ ، وينظر: المفردات: ٢٥٧، ولسان العرب: (شرر) ٤ / ٤٠٠ ، والمعجم الوسيط: (شرّ) ١ / ٤٨١ .

[٣] . شرح نهج البلاغة: ١٠ / ٣١ (خ ١٧٧) .

[٤] . نفسه: ١ / ٣٣٢ – ٣٣٣ (خ ٢٥) .

[٥] . ينظر: توضيح نهج البلاغة: ١ / ١٤٢ .

[٦] . شرح نهج البلاغة: ١ / ١٣٦ (خ ١) .

[٧] . نفسه: ٦ / ٢١٤ (خ ٧٩) .

وإرشاد الناس إلى ترك طاعة النساء، لكونهن ناقصات في أنفسهن ولا ينبغي للكامل إطاعة الناقص [١] .

٢ . السر × العلن :

أصل (السر) الفعل (سرر) وهو " أسرّ الحديث، واستسرّ الأمر: خُفي، وهو ما تكتمه في نفسك وتخفيه، وجمعه أسرار وسِرار " [٢] .

والعلن أصله علنَ وهو " علن علنا وعلانية واستعلن، وأمره عالن: ظاهر، وعلن الأمر علوناً: شاع وظهر، وهو خلاف خفي. والعلانية: خلاف السر " [٣] .

وقد قابل الإمام (عليه السلام) بين لفظتي (السر) و (العلن) في سياق التنبيه أيضاً، وذلك لبيان حال أهل الكوفة ودعوة الإمام (عليه السلام) لهم إلى قتال معاوية، فقال: ((أَلا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لَيْلاً وَنَهَاراً وَسِرّاً وَإِعْلاناً))[٤]، أورد الإمام التقابل بين (السر) و (العلن) دلالة على دعوته(عليه السلام) لقتال معاوية في كل حال في الجهر والسر، ومن ثم العطف بألفاظ الزمان إذ قابل بين (الليل) و (النهار) دلالة على دعوتهم في كل وقت، وقد وردت تلك الألفاظ المتقابلة بحالة التنكير، لتفيد معنى العموم والشمول، أي أن الإمام نبه أهل الكوفة، أنه دعاهم لقتال معاوية مرارا وتكرارا وفي كل حين وفي جميع الأحوال، سرا وأعلانا.

وفي موضع آخر، قابل الإمام بين اللفظتين (السر) و (العلن)، وجاءت اللفظتان معرفة، وذلك لتخصيص فائدة كل من صدقة السر وصدقة العلانية، فقال الإمام (عليه السلام): ((وَصَدَقَةُ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ، وَصَدَقَةُ الْعَلانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ))[٥] .

٣ . الرغبة × الرهبة :

---

[١] . ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٥ / ٣٠٧ .

[٢] . أساس البلاغة: (سرر) ٢٠٨ ، وينظر: المفردات: ٢٢٨ ، ولسان العرب: (سرر) ٤ / ٣٥٨، والمصباح المنير: (السر) ٢٧٣/١، ومجمع البحرين: ٢ / ٣٦٣ ، والمعجم الوسيط: (سرر) ١ / ٣٧٧ .

[٣] . أساس البلاغة: (علن) ٣١٢ ، ولسان العرب: (علن) ١٣ / ٢٨٨ ، والمعجم الوسيط: (علن) ٢ / ٦٣٠ – ٦٣١ .

[٤] . شرح نهج البلاغة: ٢ / ٧٤ (خ ٢٧) .

[٥] . شرح نهج البلاغة: ٧ / ٢٢١ (خ ١٠٩) .

الرغبة في الأصل من " رغب: أي رغبت في الشيء، إذا أردته، ورغبت عن الشيء، إذا لم ترده وزهدت فيه ، ورغب: رغباً، ورغبةً ورغبًة: حرص على الشيء وطمع فيه . والرغبة: مصدر هي السؤال والطمع " [١].

والرهبة هي الخوف، وأصلها من " رهِب:بالكسر، يرهب رهبة، ورهبة رهباً، ورهبًة ورُهباً: خافه " [٢]. وقال العسكري: " الرغبة: هي السلامة من المخاوف مع حصول الفائدة . ونقيضها الرهبة، وهي " طول الخوف واستمراره " [٣] .

وقابل الإمام بين المفردتين (رغبة) و (رهبة) في سياق الزهد في الدنيا، إذ قال (عليه السلام): ((وَتَاللَّهِ لَوِ انْمَاثَتْ قُلُوبُكُمُ انْمِيَاثاً، وَسَالَتْ عُيُونُكُمْ -مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ، أَوْ رَهْبَةٍ مِنْهُ- دَماً، ثُمَّ عُمِّرْتُمْ فِي الدُّنْيَا، مَا الدُّنْيَا بَاقِيَةٌ مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ))[٤].وورد التقابل أيضاً بين لفظتي (رغبة) و (رهبة) في سياق التنبيه على وجوب التسوية في العمل في الحالات الحسنة والحالات السيئة، فقال (عليه السلام): ((أَلا فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ))[٥] .

٤ . الضرّ × النفع ، الضرّاء × السرّاء :

الضرّ" هو خلاف النفع، وقد ضره وضاره بمعنى. والضر: الفاقة وسوء الحال أما في نفسه لقلة العلم والفضل، وأما في بدنه لنقص جارحة، وأما في حالة ظاهرة من قلّة مالٍ وجاه، والضرّاء: الشدة " [٦] .

وأما النفع فهو " الخير وما يتوصل به الإنسان إلى غاية مطلوبة، والمنفعة: كل ما ينتفع به، وجمعه منافع " [٧] .

وقد قابل الإمام بين (النفع) و (الضر)، وذلك في الرد على من يزعم التنبؤ بالمستقبل عن طريق تعلم النجوم، فقال (عليه السلام): ((لأَنَّكَ بِزَعْمِكَ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي يَنَالُ فِيهَا

---

[١] . الصحاح: (رغب) ١ / ١٣٧ ، ولسان العرب: (رغب) ١ / ٤٢٢ ، ينظر: مجمع البحرين: ٢ / ١٩٧، المعجم الوسيط: (رغب) ١ / ٣٥٧ .

[٢] . الصحاح: (رهب)١ / ١٤٠ ، وينظر: مجمع البحرين: ٢ / ٢٣١ ، والمعجم الوسيط: (رهب) ١ / ٣٧٧ .

[٣] . الفروق: ٢٣٦ – ٢٣٧ .

[٤] . شرح نهج البلاغة: ٣ / ٣٣٢ (خ ٥٢) .

[٥] شرح نهج البلاغة: ٢ / ٩١ (خ ٢٨) .

[٦] . الصحاح: (ضرر) ٢/ ٧١٩ ، وينظر: المفردات: ٢٩٤ ، والمعجم الوسيط: (ضرر) ١ / ٥٤٠ .

[٧] . أساس البلاغة: (نفع) ٤٦٨ ، وينظر: المفردات: ٥٠٢ ، والمعجم الوسيط: (نفع) ٢ / ٩٥٠ .

النَّفْعَ وَأَمِنَ الضُّرَّ))[1]. ومثلما قابل الإمام بين النفع والضر، قابل بين (الضرّاء) و (السرّاء). والسرّاء هي " النعمة والرخاء والمسرّة، وهي تقابل الضرّاء، وهما اسمان مؤنثان من غير تذكير " [2].

وردت السرّاء مقابلة الضرّاء في نهج البلاغة، وذلك في بيان التحذير من الدنيا والتنفير عنها، فقال الإمام (عليه السلام): ((لَمْ يَكُنِ امْرُؤٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ، إِلاَّ أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عَبْرَةً، وَلَمْ يَلْقَ فِي سَرَّائِهَا بَطْناً، إِلاَّ مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْراً)) [3]؛ أي لم يلقَ امرؤ من خيرها وفضلها بطناً لها إلاّ بذلته من مشقتها وشدّتها ظهراً لها، وهو كناية عن كون إقبالها ملازماً لإدبارها وكون خيرها معقباً لشرّها [4].

٥ . اليقين × الشّك، العزم × الوهن، الجذل × الوجل :

أورد الإمام ألفاظاً متقابلة عدّة، وذلك في بيان صفة آدم (عليه السلام)، فقابل الإمام (عليه السلام) بين (اليقين) و (الشّك)، و " اليقين من يقن الشيء –ييقن يقناً، ويقيناً: ثبت وتحقق ووضح. واليقين: العلم الذي لاشك معه " [5]، والشك هو " التردد بين حكمين لا يرجّح العقل أحدهما على الآخر، وشكّ عليه الأمر: التبس، واشتقاقه من شككت الشيء: أي خرقته " [6].

وأما العزم فهو " عقد القلب على إمضاء الأمر، ويقال: عزمت الأمر وعزمت عليه واعتزمت " [7]، والوهن" الضعف وذبول الحيوية " [8].

وأما الجذل فهو " الابتهاج والسرور الثابت، وأصله جذل، انتصبت كالجْذل وهو أصل الشجرة " [1]، والوجل هو " الخوف، ويقال رجلٌ وجلٌ، وقومٌ وجال، وقد وجل وجَلاً، وفي وجلٌ . أي إذا قلق ولم يطمئن " [2].

---

[1] . شرح نهج البلاغة: ٦ / ١٩٩ (خ ٧٨) .

[2] . الصحاح: (سرر) ٢ / ١٧١٩ ، وينظر: أساس البلاغة: (سرر) ٢٦٨ ، والمعجم الوسيط: (سرر) ١ / ٤٢٨ .

[3] . شرح نهج البلاغة: ٧ / ٢٢٦ (خ ١١٠) .

[4] . ينظر: شرح منهاج البراعة: ٨ / ١٩ .

[5] . أساس البلاغة: (يقن) ٥١٤ ، وينظر: المعجم الوسيط: (يقن) ٢ / ١٠٧٩ .

[6] . نفسيهما: (شكك)٢٤٠ ، (شكّ) ١ / ٤٩٣ .

[7] . أساس البلاغة: (عزم) ٣٠١ ، وينظر: المفردات: ٣٣٤ .

[8] . أساس البلاغة: (وهن) ٥١١ ، وينظر: المعجم الوسيط: (وهن) ٢ / ١٠٧٣ .

قال الإمام (عليه السلام) في خطبته التي وردت فيها تلك الألفاظ المتقابلة الدالة على الحالة النفسية التي كان فيها آدم، وما صار إليها بعد إغراء إبليس له: ((فَاغْتَرَّهُ عَدُوُّهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمُقَامِ، وَمُرَافَقَةِ الأَبْرَارِ، فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ، وَالْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ، وَاسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلاً))[٣]، فالإمام (عليه السلام) في هذا الموضع يقابل بين حالتين صار بينهما آدم (عليه السلام)، الحالة الأولى هي حالة الثبات والرسوخ، وهي حالة (اليقين والعزيمة والفرح)، والحالة الثانية هي حالة التردد وعدم الاستقرار، وهي حالة (الشك والوهن والوجل) .

ح : التقابل الدلالي بين ألفاظ العبادة

يُراد بـ (تقابل ألفاظ العبادة) أن تتقابل الألفاظ الدالة على سلوك ديني، وبما أن تلك الألفاظ تعبّر عن سلوك ديني، فهي أعمال صالحة حسنة، كالعبادات والمعاملات وما ينعكس من أفعال وأقوال الإنسان، وتقابلها في الطرف الآخر الأعمال الطالحة السيئة. ولمّا كان نهج البلاغة كتاباً تربوياً وأخلاقياً، يقوم على تنظيم علاقة الإنسان بخالقه عزّ وجل (العبادة) وعلاقته بأخيه الإنسان (المعاملات) وما يتصرّف به الإنسان من سلوك أخلاقي يومي، فقد أورد الإمام (عليه السلام) طائفة من الألفاظ المعبّرة عن كلا النوعين من الأعمال (الصالحة) و (الطالحة) على وفق أسلوب الترغيب للأعمال الصالحة وأسلوب النهي والتحذير والتنبيه عمّا ينفر من العمل الطالح .

١ . الحلال × الحرام :

الحلال أصله من "حلَّ الشيء حلالاً :صار مُباحاً، فهو حلٌّ وحلال، وهو ضد الحرام، وحللت العقدة فانحلت:فتحتها، وأحلّه الله وحلّله: ضد حرّمه، وحلّ الدين يحلُّ: وجب "[٤]. والحلال هو كل مُباح فيه خيرٌ وصلاح مثل الزينة والطيبات [٥] .

---

(١) . أساس البلاغة: (جذل) ٥٤ ، وينظر: الفروق : ٢٦١ .

(٢) . نفسيهما : (وجل) ٤٩٢ ، (وجل) ٢٣٨ ، والمعجم الوسيط: (وجل) ٢ / ١٠٢٥ .

(٣) . شرح نهج البلاغة: ١ / ١٠٢ (خ ١) .

(٤) . كتاب العين: (حل) ٣ / ٢٧ ، وينظر الصحاح: (حلل) ٤ / ١٦٧٥ ، وأساس البلاغة: (حلل) ٩٣، والمفردات: ١٢٨ ، والمعجم الوسيط: (حلل) ١ / ١٩٣ .

(٥) . ينظر: المعجم الوسيط: ١ / ١٩٣ ، وفي ظلال نهج البلاغة: ١ / ٦٤ .

والحرام هو " الممنوع من فعله، وحرم الشيء حرمةً: امتنع، والحرُم بالضم: الإحرام، ورجل حرام، أي محرم، والجمع حُرم والحرام ضد الحلال والتحريم: ضد التحليل " [١].
والحرام هو المحظور والممنوع من القول والفعل، وكل ما فيه شرٌّ وفساد فهو حرام [٢].

وقد قابل الإمام (عليه السلام) بين لفظتي (الحلال) و (الحرام) في سياق ذم الدنيا، فقال في وصفها: ((مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ، وَآخِرُهَا فَنَاءٌ! فِي حَلالِهَا حِسَابٌ، وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ)) [٣].

وفي السياق نفسه في ذم الدنيا والتحذير منها، قال (عليه السلام): ((دَارُهَا هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا فَخَلَطَ حَلالَهَا بِحَرَامِهَا، وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا، وَحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا، وَحُلْوَهَا بِمُرِّهَا)) [٤]؛ فالإمام قصد من وراء ذلك بيان حال الدنيا، لأن كل ما يُعد فيها خيراً مشوباً بشر يقابله، بخلاف الدار الآخرة، فإنها خيرٌ كلّها، إذن كان القصد من التقابل تفضيل الآخرة على الحاضرة [٥].

وجاء التقابل بين اللفظتين في حديث الإمام (عليه السلام) عن معاوية وقومه واستسهالهم الحرام، فقال عن ذلك (عليه السلام): ((قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ السِّدْرِ الْمَخْضُودِ، وَحَلالُهَا بَعِيداً غَيْرَ مَوْجُودٍ)) [٦]، فجاء التقابل في بيان ذكر رذيلة القوم فشبّه الإمام حرام الدنيا عند أولئك المشار إليهم بالسدر المخضود الذي قطع شوكه فصار ناعماً أملس، سهل المأكل لذيذ [٧].

٢ . الحسنة × والسيئة :

---

(١) . كتاب العين: (حرم) ٣ / ٢٢٣ ، وينظر الصحاح: (حرم) ٥ / ١٧٩١ ، والمعجم الوسيط: (حرم) ١ / ١٦٩ .
(٢) . ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير): ١ / ٢١٩ ، ومجمع البحرين: ١ / ٤٩٣ .
(٣) . شرح نهج البلاغة: ٦ / ٢٣٨ (خ ٨١) .
(٤) . نفسه: ٧ / ٢٤٦ (خ ١١٢) .
(٥) . ينظر: شرح نهج البلاغة: ٧ / ٣٤٧ .
(٦) . شرح نهج البلاغة: ٧ / ١١٧(خ ١٠٤) .
(٧) . ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير): ٣ / ٣٦ .

الحَسَن هو "نقيض القُبح، وحسنُ الشيء فهو حسنٌ، والجمع محاسن. وحسّنت الشيء تحسيناً: زيّنته. والحسنة: ضد السيئة من قول أو فعل. والحسنة: النعمة " [١]، والسيئة هي من: " ساءَ سَوءً وسَواءً: لحقه ما يُشينه ويقبِّحه. وساءَ فلاناً سُوءً مساءةً: فعل به ما يكره وجمعه سوءُ. والسّوء اسم جامع لكل آفة وداء . والسيئة: الخطيئة " [٢].

وقال الراغب الأصفهاني: " الحسنة هي من الحسن وهو عبارة عن كل مُبهج مرغوب فيه. والحسنة يعبّر بها عن كل ما يسرّ من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله، والسيئة تضادها، وهي من السواء: والسوء كل ما يغم الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية . والسيئة: الفعلة القبيحة " [٣].

ورد التقابل بين (الحسنة) و (السيئة) في نهج البلاغة، ليعبّر عن عمل الإنسان، إذ قال الإمام (عليه السلام) في سياق الوعظ: ((أَمَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَأْمُلُونَ بَعِيداً، وَيَبْنُونَ مَشِيداً وَيَجْمَعُونَ كَثِيراً، كَيْفَ أَصْبَحَتْ بُيُوتُهُمْ قُبُوراً، وَمَا جَمَعُوا بُوراً؛ وَصَارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ، وَأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ؛ لَا فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ، وَلَا مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتِبُونَ))[٤]، أي أن ابن آدم إذا مات انقطع عمله، إذ لا عمل بعد الموت يزيد الحسنات، ولا توبة تمحوا السيئات [٥].

وفي موضع آخر قدّم الإمام (عليه السلام) لفظة (السيئة) على لفظة (الحسنة)، لأن السياق يستدعي هذا التقديم، فقال في حكمته (عليه السلام): ((سَيِّئَةٌ تَسُوءُكَ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ حَسَنَةٍ تُعْجِبُكَ))[٦]، أي أن معصية تأتيها فتندم خير عند الله من حسنة تفرح بها، وذلك لأن الندم على السيئة موجب لمحوها، فلا إثم عليك من ورائها. وأما الحسنة المعجبة، فإنها تمحق بذاتها وتورث الإثم، لأن عجب الإنسان بعمله مُحرّم [٧].

---

[١] . كتاب العين: (حسن) ٣ / ٣٠ ، وينظر: الصحاح: (حسن) ٥ / ٢٠٩٩ ، وأساس البلاغة: (حسن) ٨٤ ، والمعجم الوسيط: (حسن)١ / ١٧٤ .

[٢] . الصحاح: (سوأ) ١ / ٥٥ ، وينظر: أساس البلاغة: (سوأ) ٢٢٣ ، والمعجم الوسيط: (ساء) ١ / ٤٦٢ .

[٣] . المفردات: ١١٨ ، ٢٥٣ .

[٤] . شرح نهج البلاغة: ٨ / ٢٦٩ (خ ١٣٢) .

[٥] . ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٢ / ٢٩٥ ، وفي ظلال نهج البلاغة: ٢ / ٢٧٦ .

[٦] . شرح نهج البلاغة: ١٨ / ١٧٤ (حكمة ٤٤) .

[٧] . ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٤ / ٢٨٣ .

وفي موضع آخر في نهج البلاغة، أورد الإمام (عليه السلام) طائفة من الألفاظ العبادية المتقابلة، وذلك في بيان ما تضمنه كتاب الله العزيز من الأحكام، فقال (عليه السلام): ((كِتَابَ رَبِّكُمْ: مُبَيِّناً حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ، وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ، وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ، وَرُخَصَهُ وَعَزَائِمَهُ، وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ، وَعِبَرَهُ وَأَمْثَالَهُ، وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ، وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ)) [1]، فقد أورد الإمام (عليه السلام) في سياق التقابل، الأحكام الشرعية التي تدخل الآن فيما يُعرف بمباحث العلوم الشرعية وأبوابها، فذكر الحلال وقابله بالحرام، والحلال هو المباح كما أشرنا، والحرام هو المحظور [2]. وأما الفرض فهو: الحز في الشيء لغةً، وهو " ما أوجبه الله تعالى، وسمي بذلك لأن له معالم وحدود " [3]. وأما الفضائل في اللغة فهي من : الفضل وهو الزيادة عن الاقتصار، ويقصد بها المستحبات [4] .

وأما الناسخ والمنسوخ فهما من الفعل نسخ وهو " نسخت الشمس الظل وانتسخته: أزالته [5]، والنسخ في الاصطلاح هو: رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر، فالحكم المرفوع يسمى (المنسوخ)، والدليل الرافع يسمى (الناسخ) ويسمى الرفع (النسخ) " [6]، إذن هو الإزالة أو الرفع أو التبديل[7] .

والرخص في اللغة هو: ضد الغلاء، والرخصة في الأمر: خلاف التشديد فيه، والرخصة شرعاً هي:الإذن للمكلف بفعل ما كان ممنوعاً عنه، والإذن له بذلك لسبب موجب، كالإذن للمضطر بالأكل من الميتة. وأما العزيمة فهي:لزوم القصد، وشرعاً هي الالتزام بإيجاب من الله سبحانه [8] .

و (خاصة) و (عامة)، الخاص:من خصّه بالشيء خصوصاً وخصوصية، والخاص: هو كل ما ليس بعام. والعام هو: عم الشيء يعم عموماً: شمل الجماعة، وهو اللفظ

---

(1) . شرح نهج البلاغة: ١ / ١١٧ (خ ١) .

(2) . ينظر: تقابل الألفاظ العبادة (الحلال) و (والحرام) .

(3) . ينظر: الصحاح: (فرض) ٣ / ١٠٩٧ .

(4) . ينظر: المفردات: ٣٨٢ ، وفي ظلال نهج البلاغة: ١ / ٦٤ .

(5) . أساس البلاغة: (نسخ) ٤٥٤ ، والمصباح المنير: (نسخت) ٢ / ٦٠٣ .

(6) . الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى (قتادة بن دعامة السدوسي)، تح: د . حاتم صالح الضامن، ط ٣، مؤسسة الرسالة، جامعة بغداد، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨ م: ٦ .

(7) . ينظر: ألفاظ العقيدة والشريعة : ١٠٩ .

(8) . ينظر: الصحاح: (رخص) ٣ / ١٠٤١ ، (عزم) ٥ / ١٩٨٥ ، وشرح نهج البلاغة (الكبير): ١ / ٢١٩ ، وفي ظلال نهج البلاغة: ١ / ٦٥ .

الدال على مسميّين فصاعداً مطلقاً معاً، والعام يشمل أفراد الموضوع بكاملها، والخاص لا يشمل إلاّ بعض الأفراد [١] .

أما (المرسل) و (المحدود)، فالمرسل من رسل: أي مسترسل ومعناه السهل، والمرسل هو غير المقيد، والمحدود: يقصد به الحكم المقيد [٢] .

و (المحكم) و (المتشابه) فالمحكم أصله من حكم: وحكم بينهم يحكم، أي قضى، وشوعاً هو ما ظهر معناه وانكشف كشفاً يزيل الأشكال، ويرفع الاحتمال، والمتشابه هو من: الشبة الالتباس. والمتشابهات: المتماثلات، وشرعاً هو المقابل للمحكم وهو ما تعارض فيه الاحتمال، وسمي متشابهاً، لاشتباه معناه على السامع [٣] .

خ : التقابل الدلالي بين ألفاظ الأجناس

ويُراد به التقابل الذي يكون بين لفظتين من جنس واحد، أو من جنسين مختلفين، تحمل كل من طرفيها دلالة مغايرة لدلالة اللفظة الأخرى، ويكون هذا التقابل فيما يعقل كتقابل (الذكر) و (الأنثى)، وقد يكون التقابل فيما لا يعقل مثل (الشمس) و (القمر) .

ولابد من الإشارة إلى أن هذا النوع من التقابل قد اصطلح عليه بـ (التقابل النوعي) عند إحدى الباحثات المعاصرات [٤]. والجدير به هو مصطلح (تقابل الأجناس)؛ لأن الجنس أعم من النوع، ولا يمكن أن تكون ألفاظ الخلق ضمن التقابل النوعي، وهذا ما ذهبت إليه الباحثة عندما قابلت بين الإنسان والجان ضمن هذا النوع من التقابل، الذي لم يرتضه صاحب الفروق، إذ قال: " الجنس أعم من النوع، لأن الجنس هو الجملة المتفقة سواء أكان مما يعقل أم من غير ما يعقل. والنوع هو الجملة المتفقة من جنس ما لا يعقل، ألا ترى أنه يُقال الفاكهة نوع كما يُقال جنس " [٥] .

وجاء تقابل الأجناس في نهج البلاغة يحمل دلالات متنوعة، منها:

---

[١] . ينظر: الصحاح: (خصص) ٣ / ١٠٣٧ ، (عمم) ٥ / ١٩٩٣ ، والأحكام في أصول الأحكام (علي بن محمد الآمدي)، تعليق: عبد الرزاق عفيفي، ط ٢ ، مؤسسة النور ، دمشق – ٤٠٢ هـ: ٢ / ٩٥ ، وفي ظلال نهج البلاغة: ١ / ٦٦ .

[٢] . ينظر: الصحاح: (رسل) ٤ / ١٧٠٨ ، والمصباح المنير: (رسل) ٢٢٦/١ ، وفي ظلال نهج البلاغة: ١ / ٦٦ .

[٣] . ينظر: الصحاح: (حكم) ٥ / ١٩٠١، (شبه) ٦ / ٢٢٣٦ ، والأحكام: ١ / ١٦٥ ، وفي ظلال نهج البلاغة: ١ / ٦٦ .

[٤] . ينظر: التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ٧٥ .

[٥] . الفروق: ١٥٧ ، والكليات (أبوالبقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي)، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، دار النشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – ١٩٨٩ م:١/ ٢١٩، وينظر: المصباح المنير: (الجنس) ١ / ١١١.

١ . الإنس × الجنّ ، الإنس × الجان :

الإنس في اللغة من أنس " أَنِسَ به وإليه – أنساً: سكن إليه وذهبت به وحشَته. والإنس: البشر، الواحد إنسي وأنسي، والجمع أناسي أو إنساناً وجمعه أناسي، والإنسان هو الكائن الحي المفكر، وسمي بذلك لأنه عهد إليه فنسى. والإنس: خلاف الجن " [١] .

والجن هو من " الاجتنان: الاستتار، والجن جمع واحدة جنّي، ويقال سميّت بذلك لأنها تُتقى ولا ترى " [٢]. والجان هو " أبو الجن والجمع جِنان " [٣] .

وقد قابل الإمام (عليه السلام) بين لفظتي (الإنس) و (الجن) في بيان قدرة الله عزّ وجل، وقد جاءت اللفظتان معرفة، وقد قدّم لفظة الجن على الإنس مراعاة لسياق الخلق، حيث خلق الإنسان بعد الجان، إذ قال (عليه السلام): **((وَهُوَ الَّذِي أَسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ، وَبَعَثَ إِلَى الْجِنِّ وَالإِنْسِ رُسُلَهُ))** [٤]وفي سياق قدرة الله أيضاً على توفي الأنفس، قال ضارباً مثلاً لذلك نبي الله سليمان (عليه السلام): **((فَلَوْ أَنَّ أَحَداً يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلَّماً، أَوْ لِدَفْعِ الْمَوْتِ سَبِيلاً، لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ (عليه السلام) الَّذِي سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ وَالإِنْسِ، مَعَ النُّبُوَّةِ وَعَظِيمِ الزُّلْفَةِ))** [٥]. وقابل الإمام بين لفظتي (الإنس) و (الجان) في سياق الحديث عن سبق الله تعالى وأزليته وأوليته، إذ قال (عليه السلام): **((وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيٌّ أَوْ عَرْشٌ أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسٌ))** [٦]، ويستدل من تقابل (الإنس) و(الجن) و(الجان) هو تقابل بين الذي يعقل وهو الإنسان، وبين ما هو غيبي وهو الجن. وهو تقابل(خلاف تغايري) بين جنسين مختلفين .

٢ . الرجل × المرأة :

---

[١] . الصحاح: (أنس) ٣ / ٩٠٦ ، وينظر: أساس البلاغة: (أنس) ١٠ ، والمعجم الوسيط: (أنس)١ / ٢٩ .

[٢] . الصحاح: (جنن) ٥ / ٢٠٩٤ – ٢٠٩٥ ، وينظر: المعجم الوسيط: (جنّ) ١ / ١٤١ .

[٣] . المصدر نفسه .

[٤] . شرح نهج البلاغة: ١٠ / ١١٣ (خ ١٨٤) .

[٥] . شرح نهج البلاغة: ١٠ / ٩٢ (خ ١٨٣) .

[٦] . نفسه: ١٠ / ٨٨ (خ ١٨٣) .

الرجل هو: الذكر البالغ من بني آدم وجمعه رجال [١]. والمرأة والمَرَة تأنيث المرء وهو: الرجل، يقال مَرُؤ الرجل يمرؤ مرؤة، فهو مرئ، والمروءة كمال الرجولية. وجمع المرأة نساء ونسوة [٢].

وقد قابل الإمام (عليه السلام) بين (الرجل) و (المرأة) في بيان ذم النساء، فقد ذكر أن النساء نواقص الإيمان والحظوظ والعقول، فبعد أن نبّه على نقصانهن، أشار إلى جهات النقص، إذ قال في نقص عقولهن: ((وَأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ))[٣].

وقد قدم الإمام لفظة المرأة على لفظة الرجل على خلاف تقديم لفظة الرجل على المرأة في القرآن الكريم، وقد وردت الآية في القرآن الكريم في سياق تشريعي وذلك في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ [البقرة /٢٨٢] .

٣ . الرجال × النساء :

النساء في اللغة من الفعل (نسا) وهو " نسا الشيء – نسوءً: تركه، والنساء جمع امرأة من غير لفظة، والنسوة: النساء " [٤].

وردت لفظتا (الرجال) و (النساء) في نهج البلاغة معرفة وعلى صيغة الجمع، وجاءت في سياق إخباري، إذ قال الإمام (عليه السلام): ((كَلاَّ وَاللَّهِ؛ إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلاَبِ الرِّجَالِ، وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ))[٥]. وقصد الإمام من تقابل أصلاب الرجال، وقرارات النساء، الردّ على من قال: هلك الخوارج بأجمعهم، فدلّ التقابل على أنهم يمتدون ويخرجون من آبائهم إلى الوجود، وأن النساء سوف يلدن الكثير من أمثالهم يمرقون في الدين [٦] .

وفي السياق نفسه قابل الإمام أيضاً بين اللفظتين (الرجال) و (النساء)، إذ قال: (عليه السلام): ((وَلَقَدْ شَهِدْنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا أَقْوَاماً فِي أَصْلاَبِ الرِّجَالِ، وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ))[٧]، ويستدل من مقابلة (الرجال) و (النساء) بيان الامتداد وتعاقب الأجيال، بالإضافة إلى بيان معنى الجنسين الحقيقي للفظ .

---

(١) . ينظر: أساس البلاغة: (رجل) ١٥٦ ، والمصباح المنير: (رجل) ١/٢٢٠.

(٢) . ينظر: لسان العرب: (مرأ) ١ / ١٥٧ ، والمعجم الوسيط: (مرأ) ٢ / ٨٦٧ .

(٣) . شرح نهج البلاغة: ٦ / ٢١٤ (خ ٧٩) .

(٤) . المصباح المنير: (النسوة) ٢ / ٦٠٤ ، وينظر: المعجم الوسيط: (نسا)٢ / ٩٢٨ .

(٥) . شرح نهج البلاغة: ٥ / ١٤ (خ ٥٩) .

(٦) . ينظر: توضيح نهج البلاغة: ١ / ٢٤٤ ، وفي ظلال نهج البلاغة: ١ / ٣١٦ .

(٧) . شرح نهج البلاغة: ١ / ٢٤٧ (خ ١٢) .

٤ . الشمس × القمر :

" الشمس مفرد جمعه: شموس، ويقال فرس شموس و به شماس ورجل شموس: صعب الخلق. والشمس هي: الكوكب الذي تدور حوله الأرض، وسائر المجموعة الشمسية " [١]. وأما القمر "فهو الذي يكون بعد ثلاث ليال إلى آخر الشهر، وسمّي قمراً لبياضه. والقمر: هو الكوكب السيّار الذي يستمد نوره من الشمس، ويدور حول الأرض ويضيؤها ليلاً، وجمعه أقمار " [٢].

وقد سيق التقابل في نهج البلاغة بين (الشمس) و (القمر) لبيان تمجيد الله عزّ وجل، فقال الإمام (عليه السلام): ((وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرْضَاتِهِ، يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ وَيُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ))[٣].

إذن من أعظم آيات ملك الله هو الشمس والقمر اللذان يجريان بأمر الله تعالى، مُطيعان له على وفق إرادته للخير [٤]. وقد نسب الإبلاء إليهما لكون حركاتهما من الأسباب لحدوث الحوادث في هذا العالم وتغيراته. وقد أورد الإمام اللفظتين بحالة التعريف، وذلك للتنويه والتنبيه إلى أعظم آيات الله، ألا وهي الشمس والقمر. وفي موضع آخر أورد الإمام اللفظتين أيضاً لبيان وجود الله تعالى، فقال (عليه السلام): ((وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا، وَقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوَّةً مِنْ لَيْلِهَا))[٥].

٥ . النار × الصلصال :

والنار هي عنصر طبيعي فعّال، يمثلها النور والحرارة المحرقة [٦]. وأما الصلصال فهو من "صلَّ الشيء صليلاً :صوّتَ صوتاً منه ترجيع، ويقال وصل اللّحم: تغيّر وانتن. والصلصال من الصلة: وهي الأرض اليابسة، وهو الطين الحر خلط بالرمل فصار يتصلصل إذا جف " [٧].

وقد قابل الإمام (عليه السلام) بين جنسين مختلفين وهما (النار) و (الصلصال) كناية عن تقابل آدم وإبليس؛ لأن آدم خُلق من أديم الأرض، ولأن إبليس هو مخلوق من لهب النار [١].

---

[١] . الصحاح: (شمس) ٣ / ٩٤٠ ، وأساس البلاغة: (شمس) ٢٤١ ، والمعجم الوسيط: (شمس)١ / ٤٩٦ .

[٢] . نفسه: (قمر) ٢ / ٧٩٨ ، وأساس البلاغة: (قمر) ٣٧٧ ،والمعجم الوسيط: (قمر) ٢ / ٧٦٤ .

[٣] . شرح نهج البلاغة: ٦ / ٣٩٢ (خ ٨٩) .

[٤] . ينظر: تفسير القمي (لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي)، المصحح: طيب الجزائري، ط ٣، مؤسسة دار الكتاب، قم–١٤٠٤هـ: ٢ / ٣٤٣ ، وشرح نهج البلاغة (الكبير): ٢ / ٣١٦ .

[٥] . شرح نهج البلاغة: ٦ / ٤١٩ (خ ٩٠) .

[٦] . ينظر: تقابل ألفاظ الغيب : (الجنة) و (النار) .

[٧] . الصحاح: (صلل) ٥ / ١٧٤٢ ، والمعجم الوسيط: (صلّ) ١ / ٢٥٣ .

وجاء التقابل بين (النار) و (الصلصال) في سياق الحديث عن ماهيّة المادة التي خلق منها آدم وإبليس، مقدماً فيها لفظة النار على الصلصال لبيان الحميّة التي غلبت على إبليس الذي كان يفتخر بخلقة النار، فقال : ((اعْتَرَتْهُ الْحَمِيَّةُ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ الشِّقْوَةُ، وَتَعَزَّزَ بِخِلْقَةِ النَّارِ، وَاسْتَوْهَنَ خَلْقَ الصَّلْصَالِ))[٢]، وفي ذلك إشارة إلى ما جاء في كتاب الله على تقديم لفظة النار على الطين، والقول لإبليس، قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف/ ١٢] .

٦ . آدم × إبليس :

آدم " جمع الأديم، وأديم كل شيء ظاهره. وسمّي وجه الأرض أديماً، والأدمة بالضم: السمرة. وآدم (عليه السلام) أبو البشر، وسمي بذلك لكون جسده من أديم الأرض، وقيل لسمرة في لونه " [٣]. وأما إبليس فهو من " بلس، أبلس من رحمة الله، أي يئس. والإبلاس: الانكسار والحزن، ويقال أبلس فلان: إذا سكت غمّاً. وجمع إبليس: أباليس وأبالسة " [٤]. وقد صرّح الإمام باللفظ الحقيقي لآدم وإبليس عندما قابل بينهما في سياق الحديث عن عداوة إبليس لآدم (عليه السلام)، فقال : ((ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ دَاراً أَمْرَغَدَ فِيهَا عَيْشَهُ، وَآمَنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ، وَحَذَّرَهُ إِبْلِيسَ وَعَدَاوَتَهُ)) [٥]، وقد دلّ التقابل بين (آدم) و (إبليس) على معناهما الحقيقي، وهو بيان جنسيهما .

٧ . ذكر × أنثى :

ذكر " والذكر: خلاف الأنثى، ويقال: رجلٌ ذكرٌ: قوي شجاع، ومطر ذكر: وابل شديد. والجمع: ذكَورةٌ، وذِكار، وذكارَةٌ، وذكور، ذكران " [٦]، وأما الأنثى فهي: "أُنثَ:أُنوثَة وأناثَة: لانَ . والأنثى: خلاف الذكر من كل شيء، وجمعه إناث " [٧] .

---

[١] . ينظر: التبيان في تفسير القرآن الكريم: ٩ / ٤٦٩ .

[٢] . شرح نهج البلاغة: ١ / ٩٧ (خ ١) .

[٣] . الصحاح: (أدم) ٥ / ١٨٥٨ ، وينظر: المفردات: ١٤ ، والمعجم الوسيط: (أدم) ١ / ١٠ .

[٤] . الصحاح: (بلس) ٣ / ٩٠٩ ، والمعجم الوسيط: (أبلس) ١ / ٣ .

[٥] . شرح نهج البلاغة: ١ / ١٠٢ (خ ١) .

[٦] . الصحاح: (ذكر) ٢ / ٦٦٤ ، والمعجم الوسيط: (ذكر) ١ / ٣١٣ .

[٧] . نفسه : (أنث) ١ / ٢٧٢ ، وينظر: أساس البلاغة: (أنث) ١٠ ، المعجم الوسيط: (أنث) ١ / ٢٩

وأورد الإمام التقابل بين لفظتي (الذكر) و (الأنثى) في بيان علم الغيب الذي لا يعلمه أحد إلاّ الله، فقال (عليه السلام): ((فَيَعْلَمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ، مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى))[1]، ووردت اللفظتان نكرة وعلى صيغة الإفراد، ليدلا على معناهما الحقيقي في معرفة الله تعالى وحده بجنس ما في الأرحام من ذكرٍ أو أنثى، وقد قدّم الذكر على الأنثى، مراعاة لسبق الخلق .

ثانياً : التقابل الدلالي في الألفاظ غير المتجانسة (المعنوي).

وهو التقابل الذي يكون بين لفظتين تحمل إحداهما دلالة صريحة على معنى معين، على حين تحمل الأخرى دلالة تلميحية على معنى يضاد أو يناقض أو يخالف دلالة اللفظة الأولى، فهذا النوع من التقابل لا يكون بين لفظتين لهما دلالتان متقابلتان بشكل مباشر، وإنما التقابل في هذا النوع يكون بين لفظتين تحمل الأولى دلالة صريحة، وتقابلها في الطرف الآخر لفظة

---

[1] . شرح نهج البلاغة: ٨ / ٢١٥ (خ ١٢٨) .

ينضوي تحت معناها عدّة دلالات، تكون إحدى تلك الدلالات مقابلة لمعنى الدلالة الأولى، ومما جاء في (التقابل غير المتجانس) في نهج البلاغة:

١ . الكبت × النصر :

الكبت في اللغة – كما جاء في صحاح الجوهري – هو: " الصرف والإذلال. يُقال: كبت الله العدو، أي ردّه وأذلّه. وكبته لوجهه، أي صرعة " [١]، فـ(الكبت) بحسب المعنى اللغوي يكون من الله تعالى، وعلى العدو. أما النصر فمعناه عند الخليل " عون المظلوم " [٢]، فالأصل في (النصر) أن يكون للمظلوم .

وجاءت اللفظتان (الكبت) و (النصر)متقابلتين تقابلاً غير متجانس في نهج البلاغة، وذلك لأن (الكبت) لا يقابل (النصر)، وإنما الذي يقابل (الكبت) هو (الإعزاز)، والذي يقابل (النصر) هو (الهزيمة). وقد جاء التقابل في قول الإمام (عليه السلام): ((فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْكَبْتَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ))[٣]، فالإمام في هذا الموضع يعقد تقابلاً بين (الكبت – والنصر)، ويلحظ على هذا التقابل أن طرفيه مصدرهما الله تعالى، أي كبت العدو كان من الله تعالى، وكذلك النصر – وهو عون المظلوم – كان منه تعالى، وقد أرجع الإمام (عليه السلام) المصدرين إلى الله تعالى ليدل على أن الجود الإلهي لا بخل فيه ولا منع من جهته، وإنما هو عام الفيض على كل قابل استعد لرحمته [٤] .

٢ . الرّحمة × والسطوة :

(الرحمة) في اللغة معناها " الرقّة والتعطف " [٥]، أما (السطوة) فهي في اللغة تعني " القهر بالبطش " [٦]، فاللفظتان (الرحمة – والسطوة)متقابلتان دلالياً في معناهما، أي أن ما يقابل (الرحمة) هي (النقمة)، غير أن ما يتضمّنه معنى (السطوة) من قهر وبطش يجعله متضمناً الدلالة على معنى (النقمة)، ومن ثمّ، يجعل لفظة (السطوة) من جهتها صالحة على أن تتقابل من حيث الدلالة مع لفظة (الرحمة) .

---

[١] . الصحاح: (كبت) ١ / ٢٦٢ ، المصباح المنير: (كبت) ٢ / ٥٢٣ .

[٢] . كتاب العين: (نصر) ٧ / ١٠٨ .

[٣] . شرح نهج البلاغة: ٤ / ٣٣ (خ ١٥٥) .

[٤] . ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير): ٢ / ١٤٧ .

[٥] . الصحاح:(رحم) ٥ / ١٩٢٩ ، لسان العرب: (رحم) ١٢ / ٢٣٠ .

[٦] . الصحاح: (سطو) ٦ / ٢٣٧٦ ، لسان العرب: (سطو) ١٤ / ٣٨٣ .

وقد قابل الإمام (عليه السلام) بين (الرحمة) و (السطوة) في موضع واحد في نهج البلاغة، وذلك في معرض الحديث على صفات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ قال:((نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلاَئِكَةِ، وَمَعَادِنُ الْعِلْمِ، وَيَنَابِيعُ الْحُكْمِ، نَاصِرُنَا وَمُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ، وَعَدُوُّنَا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ))[1]، وقد حمل أحد شرّاح النهج معنى كلمة (السطوة) على معنى العذاب[2]، وهو يتضمّن أيضاً معنى (النقمة) .

٣ . العاجلة × والآخرة :

أصل (العاجلة) الفعل (عجل). جاء في لسان العرب " عجل: العجل والعجلة: السرعة خلاف البطء ... والعاجلة: الدنيا، والآجلة الآخرة " [3]، وفي العُرف اللغوي (العاجلة) تقابل (الآجلة)، وهما صفتان من صفات الحياتين، أي الحياة الدنيا والحياة الآخرة .

ولم يرد التقابل بين (العاجلة) و (الآخرة) إلا في موضع واحد فقط من نهج البلاغة، وجاءت اللفظتان في حالة التعريف وفي سياق القَسَم، وذلك في قول الإمام (عليه السلام): ((وَايْمُ اللَّهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ الْعَاجِلَةِ لاَ تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ الآخِرَةِ))[4]، ويبدو أن ما تحمله كلمة (العاجلة) من دلالة على معنى هو خلاف البطء (السرعة) هو الذي جعل الإمام يورده في سياق النص، إذ إنّ في تلك الكلمة شيئاً من الانسجام مع كلمة (فررتم) الواردة في السياق السابق، وذلك لما في تلك الكلمة (فررتهم) من دلالة على حركة غير بطيئة أيضاً، ومن جهة أخرى، فإن للتناسب الصوتي بين نهايتي الكلمتين محلاً في هذا الموضع، وذلك لأن التقابل بين (العاجلة) و (والآخرة) آنس للآذان من التقابل بين (الدنيا) و (الآخرة) .

٤ . الخميص × السليم :

قال ابن منظور في لسان العرب: " والخمص:خماصة البطن، وهو دقّة خلقته. ورجل خمصان وخميص الحشا، أي ضامر البطن.وقد خمص بطنه ويخمص، وخمص خمصاً

---

[1] . شرح نهج البلاغة: ٧ / ٢١٨ (خ ١٠٨) .

[2] . توضيح نهج البلاغة: ٢/ ١٩٢.

[3] . لسان العرب: (عجل) ١١ / ٤٢٥ – ٤٢٦ .

[4] . شرح نهج البلاغة: ٨ / ٥ (خ ١٢٤) .

وخماصة. والخميص كالخمصان، والأُنثى خميصة " [1]، و (الخمص) في اللغة يعني ضمور البطن. أما (السليم) فاصله (سلم)، و (السلم) كما في العين هو " لدغ الحية. والملدوغ يقال له: مسلوم، وسليم. وسمّي به تطيّراً من اللديغ، لأنه يقال: سلّمه الله، ورجل سليم، أي: سالم " [2]، فالكلمة (سليم) من كلمات الأضداد، لأنها تحمل في نفسها المعنى وضدّه، والذي دعا إلى ضديتها – كما صرّح بعض مصنّفي الأضداد – هو التفوّل[3]. فـ (لسليم) معنيان يقابل أو يُضاد أحدهما الآخر، وبالإمكان أن يُعد أحد المعنيين حقيقياً، والآخر مجازياً، فإذا كان معنى (سليم) حقيقياً – وهو معنى (سالم) – فإن ما يقابله هو كلمة (سقيم) التي لها دلالة تضاد معنى كلمة (سليم)، غير أنّ ما ورد في نهج البلاغة يخالف هذا المعهود .

فعلى الرغم من إيراد الإمام (عليه السلام) لكلمة (سليم) بمعناها الحقيقي في أحد طرفي التقابل، فإنه (عليه السلام) في الطرف الآخر من التقابل قد أورد كلمة (خميص) التي تحمل شيئاً من دلالتها كلمة (سقيم)، أو هي الحالة التي يكون عليها السقيم من ضمور البطن دلالة على أثر السّقم، ويبدو أن الإمام عدل عن لفظة (سقيم) لأنها لا تتلاءم مع شخص من يصف، لأن من يصفه ﷺ النبي (صلى الله عليه وآله) ، وذلك في قول الإمام (عليه السلام): ((فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ مُحَمَّداً (صلى الله عليه وآله) عَلَماً لِلسَّاعَةِ، وَمُبَشِّراً بِالْجَنَّةِ، وَمُنْذِراً بِالْعُقُوبَةِ، خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصاً، وَوَرَدَ الْآخِرَةَ سَلِيماً)) [4]، أي خرج (ﷺ) من الدنيا خميصاً، خالي البطن، أما حقيقة، أو كناية عن عدم تمتعه باللذات. وورد الآخرة سليماً عن الآثام والأدران [5]، فمن الممكن أن يحمل معنى (خميص) على الدلالتين – الحقيقية والمجازية – وذلك لأنّ كلتا الدلالتين تصحّان في هذا السياق، وتنطبقان على الموصوف (النبي)، وفي كلتا الحالين أمكن لـ (خميص) – بدلالتها – أن تقابل كلمة (سليم) ويكون ذلك النوع من التقابل تقابلاً غير متجانس .

٥ . السرور × الأسف :

جاء في معجم (تاج العروس من جواهر القاموس) عن الجوهري: " السرور خلاف الحزن ، قال بعضهم: حقيقة السرور التلذاذ وانشراح يحصل في القلب فقط من غير حصول

---

[1] . لسان العرب : (خمص) ٧ / ٢٩ .

[2] . كتاب العين : (سليم) ٧ / ٢٦٥ .

[3] . ينظر : ثلاثة كتب في الأضداد : ١١٤ ، وكتاب الأضداد (أبو محمد عبد الله بن محمد التوزي) (بحث) : دراسة وتحقيق واستدراك محمد حسين آل ياسين ، مجلة المورد ، مج ٨ ، ع ٣ ، ٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م ، دار الحرية للطباعة ، بغداد : ١٨٦ .

[4] . شرح نهج البلاغة : ٩ / ٢٣٣ (خ ١٦١) .

[5] . ينظر : توضيح نهج البلاغة : ٢ / ٤٣٨ .

أثره في الظاهر " [1]، فـ (السرور) شعور باطني وإحساس داخلي لا يبدو له أثر على ظاهر الإنسان. أما (الأسف) فقد جاء في معناه في معجم (العين) بأنه: " الحزن في حال . والغضب في حال ، فإذا جاء أمر ممن هو دونك فأنت آسف ، أي غضبان ، وإذا جاءك فمن فوقك ، أو من مثلك فأنت آسف ، أي : حزين ... والأسيف : السريع البكاء والحزن " [2]، فـ (الأسف) ينظر إليه من زاويتين من حيث مصدره، فهو قد يكون صادراً ممن هو أدنى رتبةً ، فيكون حينئذٍ غضباً ، أو قد يكون صادراً ممن هو أعلى رتبةً ، أو ممن هو في المرتبة نفسها، فيكون حينئذٍ حزناً. ومهما كان مصدر (الأسف) فإنه يعني ذلك الشعور الذي يجعل صاحبه على غير ما يرام. والمعروف أن ما يقابل (السرور) هو (الحزن) لا (الأسف) الذي له – كما مرّ – مصدران، غير أن ما ورد في نهج البلاغة قد خالف ذلك المعهود ، وأتى التقابل فيه بين (السرور) و (الأسف) .

فقد قابل الإمام (عليه السلام) بين (السرور) و (الأسف) في قوله:((وَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا قَدَّمْتَ، وَأَسَفُكَ عَلَى مَا خَلَّفْتَ))[3]. والذي يترجّح من التقابل في هذا الموضع أن لفظة (أَسفك) ليس لها إلاّ معنى واحد ، وهو (الحزن)، ومن ثمّ فإن ليس لها إلاّ مصدر واحد، وهو الذي يكون أعلى رتبة أو بالمرتبة نفسها ، ودليل إرادة ذلك المعنى هو مقابلة كلمة (اسفك) لكلمة (سرورك)، بمعنى آخر أن (الأسف) في نص الإمام قد تقابل بمعناه (وهو الحزن) مع (السرور)، أي أن اللفظتين (السرور) و (الأسف) لم تتقابلا وجهاً لوجه، وإنّما تقابلا بصرف دلالة إحدى اللفظتين إلى ما يرادفها، وإذا جاز لوصف هذا النوع من التقابل بوصف آخر، فيمكن تسميته بـ (تقابل الألفاظ بالترادف) .

الفصل الثاني

---

[1] . تاج العروس : (السر) ٣ / ٢٦٣ .

[2] . كتاب العين : (أسف) ٧ / ٣١١ .

[3] . شرح نهج البلاغة : ١٨ / ٢٨ (كتاب ٦٦) .

التقابل الدلالي في المشتقات و الأسماء والأفعال

أولاً: التقابل بين المشتقات

إنّ من أنواع التقابل الدلالي في نهج البلاغة وصيغه التقابل بين المشتقات، ويمكن أن يقال عن هذا النوع من التقابل بأنه التقابل الذي يكون طرفاه لفظين وصفيين.

إنّ المتتبع للفظة (الاشتقاق)في المعاجم العربية زمنياً، يرى أنها بمعنى واحد عند اللغويين، فالاشتقاق"هو أخذ شق الشيء والآخذ في الكلام وفي الخصومة، يميناً وشمالاً مع ترك القصد " [١]، أما معنى الاشتقاق في الاصطلاح فهو" كون إحدى الكلمتين مأخوذة من الأخرى، أو كونهما مأخوذين من أصل واحد " [٢]، وقد عُرّف حديثاً بأنه" أخذ كلمة أو أكثر من أخرى، لمناسبة بين المأخوذ والمأخوذ منه في الأصل اللفظي والمعنوي ليدل بالثانية على المعنى الأصلي مع زيادة مفيدة لأجلها اختلفت بعض حروفها أو حركاتها أو هما معاً " [٣] .

أما تحديد المشتقات فقد اختلف العلماء في تحديدها، فالمشتقات عند اللغويين تأخذ نطاقاً واسعاً، فهي تضم تقليب الكلمة المتمثل بطريقة الاشتقاق الكبير، وتشمل - المشتقات – بعض أسماء الأعيان، بالإضافة على قولهم في بعض الجوامد إنها مشتقة أيضاً، كالخيل من الخيلاء " [٤] .

أما النحويون فالمشتقات عندهم تنحصر في الصفات الخمسة، وهي (اسم الفاعل، اسم المفعول، وأبنية المبالغة، والصفة المشبهة، واسم التفضيل)[٥]. وقد واكبت الرسالة هذا التصنيف.

وأما الصرفيون فقد صنفوا المشتقات إلى (اسم الفاعل، واسم المفعول، وأبنية المبالغة، والصفة المشبهة، واسم التفضيل، واسما الزمان والمكان) [١] .

---

[١] . الصحاح:(شقق) ٤ / ١٥٠٣ ، وينظر: أساس البلاغة:(شقق) ٣٣٤ ، ولسان العرب: (شقق) ٢ / ٣٣٤ ، الكليات: ١ / ٨٩ .

[٢] . شرح الشافية (للرضي): ٢ / ٣٣٤

[٣] . أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٢٤٦ .

[٤] . ينظر: الخصائص (أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ))، تح: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان – د . ت: ٢ / ١٣٦، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٤٦ ، التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ٨٤ ، وأبنية المشتقات في نهج البلاغة (ميثاق علي عبد الزهرة الحيمري)، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب / جامعة البصرة – ٢٠٠٣ م: ١١ .

[١] ينظر:شرحابن عقيل (بهاء الدين عبد الله المصري الهمداني)، تح: محمد محيى الدين عبد الحميد، دارالفكر، ط٢، بيروت –١٩٨٥ م: ١ / ٢٠٦ ، وأبنية المشتقات: ٩ .

وقد جاءت الألفاظ الوصفية المتقابلة في أثناء نهج البلاغة بكثرة، معبرة عن قيم ومفاهيم وعقائد متعددة، أوردها الإمام (ع)ترغيباً وترهيباً للمسلم ليأخذ بها في حياته. وتتجلى تلك الألفاظ في النصوص الواردة في الأوصاف الآتية:

١ : الصفة المشَبّهَة

أ . صغير × كبير :

الصغير في اللغة من " صَغُرَ الشَّيءُ بالضَّمّ صغرا فهو صغيرُ، وجمعه صِغَارُ والصغيرة صفة جمعها صَغَارُ " [٢]. وصَغِرَ صغراً : ذلَّ وهان، فهو صاغر [٣]. أما الكبير فهو من تقدم في السن [٤]. وقيل: "كَبُرَ الصبيُّ وغيره يكبرُ مُكبّراً وكِبَر فهو كبيرُ، وجمعه كِبارُ والأنثى كبيرة، والكِبر بالكسر: العظمة، والكبرياء: اسم للتكبر " [٥] .

ورد التقابل بين لفظتي (صغير) و(كبير) على زنة فعيل، وتكون دلالة هذا البناء على الثبوت في الأوصاف الخلقية أو المكتسبة [٦]. وقد وردت اللفظتان معرفتين بـ (الألف واللام) تارة، ومجردتين منهما تارة أخرى، وقد قابل الإمام (عليه السلام) بين (صغير) و(كبير)، للتعبير عن سنِّ الإنسان، فقال في خطبته الشقشقية :((أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا . . . أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ)) [٧]، الطخية: الظلمة، وعمياء تأكيد لظلام الحال. والمراد بذلك الهضم والظلم الذي صدر منهم بحق الإمام وبحق الإسلام [٨]. والمراد من مقابلة (الكبير) و (الصغير) هو بيان شدة المصائب التي عانى منها الإمام، فتلك المصائب تسبب هرم الإنسان ذلك لما يرد على النفس من الآلام والمكاره، ومنها يشيب أيضاً الصغير القليل السن [٩]. وقد قدم الإمام لفظة (الكبير) على (الصغير)، وذلك لأن الكبير ذو حلم وصبر وقد هرم من شدة المصائب فكيف بالصغير الذي لا طاقة له لتحمل الألم والشدائد .

---

[١] . ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٢٤٧ ، وأبنية المشتقات: ١١ .

[٢] . الصحاح: (صغر) ٢ / ٧١٣ ، ولسان العرب: (صغر) ٤/ ٤٥٨ ، والمصباح المنير: (صغر) ١ /٣٤٦ .

[٣] . ينظر: مجمع البحرين: ٢ / ٦١٢ .

[٤] . ينظر: كتاب العين: (كبر) ٥ / ٣٦٢ .

[٥] . الصحاح:(كبر) ٢ / ٨٠١ ،ولسان العرب: (كبر) ١٢٥/٥، المصباح المنير: (كبر) ٥٢٣/٢ .

[٦] . ينظر: شرح الشافية: ١ / ١٤٨ ، ومعاني الأبنية في العربية (د. فاضل صالح السامرائي)، ط١، الكويت – ١٩٨١ م: ٩٤ ، وأبنية المشتقات: ٤٣ .

[٧] . شرح نهج البلاغة: ١ / ١٥١ (خ ٣) .

[٨] . ينظر: صفوة الشروح : ٤٣ .

[٩] . ينظر: توضيح نهج البلاغة: ١ / ٦١ .

وقد عبر الإمام (عليه السلام) في موضع آخر عن (الصغير) و(الكبير)، عن الذنوب . فأشار إلى أن الذنوب منها الكبار ، ومنها الصغار ، فقال (عليه السلام): ((كِتَابَ رَبِّكُمْ: مُبَيِّناً حَلاَلَهُ وَحَرَامَهُ، . . . وَمُبَايِّنٌ بَيْنَ مَحَارِمِهِ مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ، أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ))[1] ، قال الشيخ محمد عبده : " الكتاب خالف بن المحارم التي حظرها ، فمنها كبير أوعد عليه نيرانه كالزنا وقتل النفس ، ومنها صغير أرصد له غفرانه كالنظرة بشهوة ونحوها " [2] . وقد قدم (عليه السلام) صفة الكبير على صفة الصغير ، وذلك لبيان ما أوعد عليه نيرانه لأصحاب الذنوب الكبيرة ، ومن ثم غفرانه عز وجل لصغائر الذنوب و لأن النفس الإنسانية لا تردع إلا بالترهيب فجاء التهديد بنيران جهنّم لكبائر الذنوب أولاً ومن ثم عفوه لمقترفي الصغير من الذنوب .

وفي سياق الحث على التّألُف، وإرشاد الناس والتمسك بالحق، قال (عليه السلام): ((لِيَتَأَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ)) [3]، والمعنى: أمر الإمام (عليه السلام) صغيرهم بالتأسي كبيرهم، لأن الكبير أكثر تجربة وعلماً وأكيس، فكان بالقدوة أولى، وقد بدأ الإمام بأمر الصغير لأنه أحوج إلى التأديب. والمراد من ذلك التقابل هو انتظام أمورهم وتيسيرها في مرافق الحياة [4] .

ب .عَزيز × ذليل :

جاءت لفظة عزيز بالمعاجم بمعنى: الغالب، أي " عزَّ – يعزُّ عزة فهو عزيز، وملك أعز، أي عزيز، والمعازة: المغالبة في العز " [5]، وهو بمعنى: أشتد وقوي فقال الفيومي: " عَزَّ عليّ أن لا تفعل كذا: أي أشتدَّ، وعَزَّ الرَّجل عِزّاً بالكسر وعزازة بالفتح: قويّ، وعَزَّ يَعَزُّ، فهو عَزيزٌ، وجمعه أعزّة والاسم العِزَّةُ " [6]. أما لفظة ذليل فهي تعني المُستَهان [7] "

---

[1] . شرح نهج البلاغة: ١ / ١٥١ (خ ٣) .

[2] . نهج البلاغة:تح: محمد عبده، دار المعرفة، بيروت– د .ت: ١ / ٧٩ ، وينظر: في ظلال نهج البلاغة: ١ / ٦٨ .

[3]. شرح نهج البلاغة: ٩ / ٢٨٢ (خ ١٦٧) .

[4]. ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير): ٣ / ٣١٥ .

[5]. كتاب العين: (عزّ) ١ / ٧٦ – ٧٧ ، ولسان العرب: (عزز) ٥ / ٢٧٧ .

[6]. المصباح المنير: (عزّ)٢ / ٤٠٧ ، وينظر: مجمع البحرين: ٣ / ١٧٣ .

[7] . أساس البلاغة: (ذلل) ٢٠٧ .

والذلُّ:ضد العز، وهو مشتق من ذلَّ يذِلُّ فهو ذليل، أي ضَعُفَ وهان، وجمعه أَذِلة وأَذلاء " [1]. فالتذلل هو إظهار العجز عن المقاومة من يتذلل له [2] .

وقد جاءت اللفظتان (عزيز) و (ذليل) في نهج البلاغة مفردتين ومنكرتين وذلك في بيان عزة الله سبحانه وتعالى ومقابلتها بعزة العبد المخلوق من قِبَل الخالق جلّ جلاله، فقال (عليه السلام): ((كُلُّ مُسَمًّى بِالْوَحْدَةِ غَيْرُهُ قَلِيلٌ، وَكُلُّ عَزِيزٍ غَيْرُهُ ذَلِيلٌ)) [3]، والمراد بـ(عزيز) هو الغالب غير المغلوب، والعزيز هو الذي لا يعجزه شيء ولا يمتنع عليه شيء، فهو قاهر الأشياء وهي الصفة التي تطلق للباري عز وجل. وإذا وصف بها غيره فالمراد به الغالب بالنسبة إلى من دونه وإن كان مغلوباً بالنسبة إلى من فوقه، وذليلاً بالقياس إليه [4]. ويستفاد من تقابل لفظتي (عزيز) و (ذليل) هو بيان عزة الله الخالق عز وجل، لأنها عزة ذاتية، والعزة في غيره مستمدة منه، ويسلبه إياها متى شاء، لذلك وصف الإمام (عليه السلام) عزة العبد بالذلة، لأنه مهما كان عزيزاً فهو في قبضة القضاء والقدر [5]، وجاء التقابل على زنة فعيل ليمنح الصفتين دلالة الثبوت [6] .

وقابل الإمام بين لفظتي (عزيز) و (ذليل)، في سياق الحثّ على التقوى، فقال في وصف التقوى، ووصف الفجور: ((اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ، وَالْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ)) [7]، فالإمام عبّر عن التقوى بدار حصن عزيز، فاستعار الإمام الدار الحصينة لبيان فضل التقوى، فهي تعز من خُصَّ بها، وذلك لأن التقوى تحصَّن النفس من الرذائل الموبقة الموجبة لكثير من الهلاك الدنيوي في الدنيا، وتحصن صاحبها من العذاب الأليم في الآخرة. وأما الفجور فإن داره تكون على نقيض دار التقوى [8]. فكان في تقابل الصفتين (عزيز) و (ذليل) بيان صفتي التقوى والفجور اللتين وصفهما الإمام على أنهما داران، الأولى تعزُّ من فيها والثانية ذليلة تذل من دخل فيها .

---

[1]. أساس البلاغة: (ذلل) ٢٠٧ ، ولسان العرب: (ذلل) ١١ / ٢٥٦ ، والمصباح المنير: (ذلّ) ١ / ٢١٠ ، وينظر: مجمع البحرين: ٢ / ١٠٢ .

[2]. ينظر: الفروق: ٢٧٢ .

[3]. شرح نهج البلاغة: ٥ / ١٤٥ (خ ٦٤) .

[4]. ينظر: منهاج البراعة (خوئي): ٥ / ٨ ، و حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة (لأبي محمد بن الحسين بن الحسن البيهقي (ت ٥٧٦هـ))، قطب الدين الكيذري، ط ١، مؤسسة نهج البلاغة ونشر عطارد، قم – ١٣٧٥ هـ: ١ / ٣٤٤ .

[5]. ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ١ / ٣٣٠ ، وصفوة الشروح: ١٤١ .

[6]. ينظر: شرح الشافية: ١ / ١٤٨، وشرح ابن عقيل: ٣ / ١٣٥ ، ومعاني الأبنية في العربية: ٧٥ .

[7]. شرح نهج البلاغة: ٩ / ٢٠٩ (خ ١٨٥) .

[8]. ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير): ٣ / ٢٦٩ – ٢٧٠ .

وجاء التقابل بين (عزيز) و (ذليل)، في بيان عدالة الإمام (عليه السلام) إذ قال: ((الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ)) [1]، والمعنى: أنني أنصر الذليل فيعزُّ بنصري حتى آخذ حقه ويرجع إلى ما كان عليه قبل الانتصار بي [2] .

ت . شَقي × سَعيد :

الشَقِيُّ ضد السعيد، وأصله " شَقِيَ يَشْقى شَقَاءً ضِدَّ سَعِدَ فَهُوَ شَقي " [3]، ويقال: " الشقاوة خلاف السعادة، وقد شَقِيَ يَشْقَى شَقْوَةً وشَقاوةً وشقاء " [4]، والشقاء هو التعب [5]. أما السعيد في اللغة فقال عنه الخليل: "سعد فلان يسعد سعداً وسعادة فهو سعيد ويجمع: سعداء، نقيض أشقياء، وإذا كان اسماً لا نعتاً جمعه: سعيدون لا سعداء " [6]. و "سَعِدَ فلان يسعَدُ سعداً في دين أو دنيا " [7]. وقال الأصفهاني: " السعْدُ والسّعادَةُ : معادلة الأمور الإلهية للإنسان على نيل الخير " [8]. ومعنى سعيد وشقي عند سيبويه: " فأحدهما مرفوع والآخر موضوع "[9]، وقصد بذلك مكانة كل منهما.

وقد ورد التقابل بين صفتي (شقِيٍّ) و(سَعيد)، بصيغة المفرد وجاءت الصفتان في حالة التنكير تارة، وفي حالة التعريف تارة أخرى .

فقال الإمام (عليه السلام) في سياق الوعظ: ((وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ وَالشَّقِيُّ مَنِ انْخَدَعَ لِهَوَاهُ وَغُرُورِهِ)) [10]، وجرى هذا القول في معنى المثل، أي السعيد في الآخرة من اعتبر بحال غيره من الأشقياء والتعساء الذين أصيبوا بالنكبات، فخاف عاقبتهم واجتنب ما حصل بهم واعتبر.

---

[1]. شرح نهج البلاغة: ٢ / ٢٨٤ (خ ٣٧) .
[2]. ينظر: شرح نهج البلاغة: ٢ / ٢٨٥ .
[3]. المصباح المنير: (شَقِى) ٣١٩/١ ، ومجمع البحرين: ٢ / ٥٣٣ .
[4]. المفردات: ٢٦٥ .
[5]. الكليات: ١ / ٢٦٧ .
[6]. كتاب العين: (سعد) ١ / ٣٢٢ .
[7]. المصباح المنير: (سعد) ٢٧٩ .
[8]. المفردات: ٢٣٢ .
[9]. كتاب سيبويه: ٤ / ٣٤ .
[10]. شرح نهج البلاغة: ٦ / ٣٥٣ (خ ٨٥) .

وأما الشقي فهو الذي أطاع هواه فإلى جهنم أرداه وأستسلم لغروره فإلى النار حضوره. وهل هناك أشقى من إنسان مصيره إلى النار؟ [١] .

وقد أفاد التقابل بين لفظتي (السَّعيد – والشَّقيِّ)، بيان الحالة الشعورية التي يكون عليها كلٌّ منهما، فالسعادة لمن فاز بنعيم الجنة، والشقاء هو العذاب لمن آل إلى جهنم .

وجاءت صفة (سعيد) مقابلة لصفة (شَقِيَّ) في سياق الدعاء لتعظيم النبي محمد (ﷺ)، إذ قال الإمام (عليه السلام): ((**اللَّهُمَّ دَاحِيَ الْمَدْحُوَّاتِ وَدَاعِمَ الْمَسْمُوكَاتِ وَجَابِلَ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا: شَقِيِّهَا وَسَعِيدِهَا**)) [٢]، والمراد بـ (جُبِلَ) أي خُلِقَ. والفطرة: هي كيفية الخلقة التي يسير المخلوق عليها، أي سواء القلوب شقية أو سعيدة [٣]. وقيل المراد بالفطرة استعداد الإنسان لأن يكون خيّراً أو شريراً، فقال تعالى ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا(٧)فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨)قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا(٩)وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا(١٠)**﴾[الشمس / ٧ – ١٠]، أي أن الله بين لها الخير والشر أي أرشدها إلى الفجور والتقوى وترك الخيار لصاحبها، فمن زكى نفسه بطاعة الله وترك الأخلاق الدنيئة والرذائل، هو السعيد الذي آثر الخير على الشر وحلال الله على حرامه، ومن خاب بخذلانه إياها عن الهدى حتى ركب المعاصي، ذلك هو الشقي الذي آثر الشَّر على الخير والحرام على الحلال [٤]. وقد أفاد التقابل بيان حال الإنسان في الدار الآخرة فأما أن يكون سعيداً وأما أن يكون شقياً، لذا ورد التقابل على زنة فعيل، الدالة على السجايا الخلقية والثابتة الملازمة لصاحبها .

ث.قوي × ضعِيف :

القوة خلاف الضعف، واصلها " الطاقة من الحبل، وقَوِيَ قوةً ازداد طاقة للعمل، ويقال رجل شديد القوى: أي شديد أسر الخلق، وجمع القوة: قِوى " [٥]. أما الضعيف فهو في اللغة من

---

[١]. ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير): ٢ / ٢٨٥ ، وشرح نهج البلاغة (موسوي): ٢ / ١٥ .

[٢]. شرح نهج البلاغة: ٦ / ١٣٨ (خ ٧١) .

[٣]. ينظر: المصباح المنير: (الجبل) ١/٩٠ و (فطر) ٤٧٧/٢ ، شرح نهج البلاغة: ٦ / ١٤٠ .

[٤]. ينظر: تفسير القرآن العظيم (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي)، قدم له: د . يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة ، بيروت – ١٩٩٢ م: ٤ / ٥٥١ – ٥٥٢ ، والميزان في تفسير القرآن: ٢٠ / ٢٩٦ .

[٥]. الصحاح: (قوا) ٦ / ٢٤٦٩ ، ولسان العرب: (قوا) ١٥ / ٢٠٧ ، المصباح المنير: (قوى) ٢ / ٥٢١ .

" ضَعُفَ عن الشيء، أي عجز من احتماله فهو ضعيف، ويقال: ضعف ضَعفاً هَزُلَ، أو مَرض، وذهبت قوته أو صحته " [١] .

أورد الإمام (عليه السلام) التقابل بين لفظتي (قَويٌّ) و (ضَعِيف) مصاحبة للتقابل بين (عزيز) و (ذليل)، فقال في صفة قوة الباري عزّ وجل ومقابلتها بقوة العبد التي نعتها بالضعف: ((وَكُلُّ عَزِيزٍ غَيْرَهُ ذَلِيلٌ وَكُلُّ قَوِيٍّ غَيْرَهُ ضَعِيفٌ)) [٢]، والمعنى إن قوة الله تعالى هي قوة ذاتية، وقوة غيره مستعدة منه، لذا كل قوي في المخلوقات يلحقه العجز والضعف.

وورد التقابل بين الصفتين (قوي) و (ضَعِيف) في بيان فضائل الإمام، فتحدث عن الإنصاف قائلاً : ((وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ)) [٣].

ج . قريب × بعيد :

القريب نقيض البعيد، والاقتراب معناه الدّنو [٤]. أما البعيد فأصله"بَعُدَ الشيءُ بعداً فهو بعيد " [٥].ويستعمل البعُد والقُرْبُ في المكان وفي الزمان وفي النسب وفي الحظوة وفي القدرة، فيقال: قربت منه أقرب، وقربته أقربه [٦].

وقابل الإمام (عليه السلام) بين لفظتي (قريب) و(بعيد) في سياق ذمِّ أهل البصرة، إذ قال: ((أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَاءِ، بَعِيدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ)) [٧]، وأراد الإمام دلالة الحظوة، فهي قريبة من العذاب أي سوف ينزل عليها العذاب [٨]. وهي بعيدة عن الرحمة، وذلك إشارة إلى أن أهلها بعيدون عن نزول الرحمة، وقريب منهم عذاب الله. وقد يكون المراد من قول الإمام الدلالة

---

[١]. :الصحاح: (ضعف) ٤ / ١٣٩٠ ولسان العرب: (ضعف) ٩ / ٢٠٣ وينظر: مجمع البحرين: ٣ / ٢٢ والمعجم الوسيط: (ضعف) ١ / ٥٤٢ .

[٢]. شرح نهج البلاغة: ٥ / ١٤٥ (خ ٦٤) .

[٣]. شرح نهج البلاغة: ٢ / ٢٨٤ (خ ٣٧) .

[٤]. كتاب العين: (قرب) ١٣٥/٥ ، وينظر: المفردات: (قرب) ٣٩٨ .

[٥]. كتاب العين: (بعد) ٥٣/٢ .

[٦] . ينظر: المفردات: (بعد) ٥٣ و(قرب) ٣٩٨ .

[٧]. شرح نهج البلاغة: ١ / ٢٦٧ . (خ ١٤) .

[٨]. ينظر: توضيح نهج البلاغة: ١ / ٩٨ ، ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (خوئي): ٣ / ٢١٢.

المكانية، وذلك لأنها في موضع هابط من الأرض فهي بعيدة من السماء، ولأنها منخفض قريب من البحر، فتكون قريبة من الغرق بالماء. وذكر الخوئي في شرحه أن الأرصاد والآلات النجومية ذكرت أن أبعد موضع في المعمورة هو الأبلة وهي قصبة البصرة [١] .

وقد أورد الإمام التقابل بين لفظتي (قريب) و(بعيد)، في ذكر صفات الباري عز وجل وتنزيهه من الصفات المادية فقال: (عليه السلام): ((قَرِيبٌ مِنَ الأَشْيَاءِ غَيْرَ مُلَامِسٍ، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرَ مُبَايِنٍ))

[٢]، نزه الإمام (عليه السلام) الباري عز وجل من مفهوم القرب لأنه ليس بجسم فيلمس، وكونه عز وجل بعيداً من الأشياء، ولما كان البعد يستلزم المباينة فقد نزّهه الإمام عن صفة البعد، فكان بعده عنها إشارة إلى مباينته بذاته الكاملة عن مشابهة شيء منها[٣].

ويستفاد من ذلك أن المراد من مقابلة صفتي (القرب) و(البعد) هو ليس القرب والبعد الزمنيين وليس هو القرب والبعد المكانيين، وإنما جاء للتعبير عن القرب والبعد المعنويين وذلك أن الله سبحانه وتعالى قريب من الأشياء، لأنها في قبضته وعلمه وتدبيره وهو بعيد عن الأشياء بذاته وصفاته وآثاره، أي بمعنى بعيداً عن عدم المجانسة والمشاهدة [٤].

ح . بشير × نذير :

البشير هو " المبشر الذي يبشر القوم بأمر خير أو شر " [٥]، واصله في اللغة من " البشرة التي تعني ظاهر الجلد، والبشر: هو الخلق يقع على الأنثى والذكر الواحد والاثنين والجمع ولا يثنى ولا يجمع فيقال: هي بشر وهو بشر وهما بشر ... " [٦]. والبشرى والبشارة، إخبار بما يسرُّ، وقد سميت بشارة لأنها تتبين في بشرة من يبشر بها، وذلك لأن بشرة الإنسان تنبسط عند السرور [٧] .

وأما النذير فهو " المنذر. والنذير:الإنذار، والإِنذار: هو الإبلاغ، ولا يكون إلا في التخويف. والنذر:ما ينذر الإنسان فيجعله على نفسه نحباً واجباً، وجمعه نذور، ونذر بالشيء وبالعدو، نذرا:علّمه فحذره وأنذره بالأمر " [٨] .

---

[١] . شرح نهج البلاغة (الكبير): ١ / ٢٩٤ ، ومنهاج البراعة (خوئي): ٣ / ٢١٢ .

[٢]. شرح نهج البلاغة: ١٠ / ٦٤ (خ ١٨٠) .

[٣] . ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير): ٣ / ٣٧٤ ، وتوضيح نهج البلاغة: ٣ / ٨١ – ٨٢ .

[٤]. ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٣ / ١٢ .

[٥]. لسان العرب: (بشر) ٤ / ٦٢ – ٦٣ .

[٦]. نفسه .

[٧] . نفسه : (بشر) ٤ / ٦٣ ، ومجمع البحرين: ١ / ٢٠٢ – ٢٠٣ .

[٨]. كتاب العين:(نذر) ٨ / ١٨٠ ، والصحاح:(نذر) ٢ / ٢٨٥ ، ولسان العرب: (نذر) ٥ / ٢٠٠ .

وورد التقابل بين صفتي (بشير) و(نذير) في نهج البلاغة في حالة التنكير، وذلك في ذكر صفات الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي سياق الوعظ، فقال (عليه السلام):((حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّداً (صلى الله عليه وآله) شَهِيداً وَبَشِيراً وَنَذِيراً)) [1]، أي كانت الأحوال مظلمة حتى بعث الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) شهيداً يشهد على الناس بما عملوا، وبشيراً يبشر من آمن وأطاع بالثواب، ونذيراً ينذر من خالف بالعقاب [2] .

وقد تقدمت لفظة البشير على لفظة النذير،ويعزى ذلك إلى كون رسالة الأنبياء أولاً التبشير ثم الإنذار لأنهم بعثوا لصلاح البشرية في الدنيا والآخرة .

٢ : اسم الفاعل

أ . الظَّاهِر × والبَاطِن :

الظهر: من كل شيء خلاف البطن وأصلهما من ظهر وبطنَ و (الظَّهْرُ – والبَطْن) عضوان ثم أطلقت اللفظتان بعد ذلك على ما ظهر وما خفي من كل شيء، فيقال لما يدرك بالحواس:ظاهراً، ولما يخفى عنها ويغمض: باطناً. والظهر من الأرض: ما غلظ وارتفع، والبطن ما رق منها واطمأن. ويقال للمدبّر للأمر:قلبت الأمر ظهراً لبطن، والبطن من كل شيء: جوفه [3] .

ورد التقابل بين لفظتي (الظاهر) و(الباطن) في نهج البلاغة، في حالتي التنكير والتذكير، ليعبّر بهما الإمام عن صفتين من صفات الباري جل وعلا، وذلك في قوله : ((وَيَكُونَ ظَاهِراً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بَاطِناً)) [4]،وهو أشارة إلى قوله : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد /٣]، وقد تنوعت معاني الصفتين، فقيل إن (الظاهر) تعني الظاهر بآياته التي أظهرها من شواهد قدرته وآثار حكمته وبينات حجته، والمعنى الآخر، أنه ظاهر: أي الغالب القادر على كل شيء. وأما (الباطن) فمعناه أنه قد بطن عن الأوهام، وحارت عنه الأبصار فلم تدركه، بطن الذات وظهر بالآيات، فهو باطن بلا حجاب، والظاهر بلا اقتراب، وله معنى ثانٍ – باطن – إنه باطن كل شيء، أي عالم خبير بصير بما يسرون وما يعلنون، وقيل الظاهر بإحسانه وتوفيقه إذا أطعته، والباطن بستره إذا

---

[1]. شرح نهج البلاغة: ٧ / ١١٧ (خ ١٠٤) .

[2]. ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير): ٣ / ٢٥ ، وتوضيح نهج البلاغة: ٢ / ٤٦ .

[3]. ينظر: كتاب العين: (ظهر) ٤ / ٣٧ – ٣٨ و(بطن) ٧ / ٤٤٠ – ٤٤١، والمفردات: ٥١ ، ولسان العرب: (ظهر) ٤ / ٥٠٢ و (بطن) ١٣ / ٥٢ – ٥٥ ، ومجمع البحرين: ٢ / ٤٢٦ .

[4]. شرح نهج البلاغة: ٥ / ١٥٣ (خ ٦٤) .

عصيته [١]. وقد أفاد التقابل بين (الظاهر – الباطن)، إثبات الوصف للباري على وجه الدوام، لأنه سبحانه وتعالى ظاهرٌ معروف لدى العقول بالأدلة والآيات الظاهرة التي يراها الإنسان، وهو باطن أي مخفي الكنه لا تصل العقول إلى كنه معرفته .

وقد قابل الإمام (عليه السلام) بين المفردتين (ظاهره – وباطنه) المعرفتين بالإضافة، وذلك لبيان ما ظهر وما بطن من أمر أصحاب معاوية، فقال مخاطباً الخوارج مبيناً لهم دلالة رفع أهل الشام المصاحف: ((فَقُلْتُ لَكُمْ: هَذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيمَانٌ، وَبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ)) [٢]، أي أن رفع المصاحف أمرٌ ظاهره تسليمهم ورجوعهم إلى كتاب الله والعمل بما فيه من أحكام، و(باطنه) أي ما خفي وكان القصد منه – الأمر – هو وقف القتال ثم الاستعداد له وذلك ليستعيدوا نشاطهم ويستمروا بعدوانهم [٣]، فكان في ذلك التقابل بيان أهل الشام وظلمهم وخديعتهم .

وقد سيق التقابل بين الوصفين (ظاهر) و(باطن) في بيان التذكير بفضل الإسلام والحث على التمسك بعروته، فقال (عليه السلام) : ((اصْطَفَى اللَّهُ تَعَالَى مَنْهَجَهُ، وَبَيَّنَ حُجَجَهُ، مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ، وَبَاطِنِ حُكْمٍ)) [٤]. والمعنى، إن الله أصطفى الإسلام، فهو نعمة كبرى من الله تعالى على كل من اهتدى بهديه، وقد أبان الأدلة على حلاله وحرامه، وذلك من ظاهر العلم، وهو ما نطق به الكتاب والسنة. وباطن حكم، أي ما دلَّ عليه العقل [٥]. يتبين في مقابلة الوصفين (ظاهره – وباطنه) إشارة إلى القرآن الكريم، وإن لم يصرح به إلا أنه كان القصد بيان ما ظهر فيه من العلم وما خفي من الحِكم .

وجاء التقابل بين (ظاهره) و (باطنه)، وذلك في سياق ذَمِّ اختلاف العلماء في الفُتيا، فقال (عليه السلام) : ((وَإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ، وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ)) [٦]، أي ظاهره حسن بأنواع البيان و أصنافه وكذلك حسنه في ائتلاف النظم واتساقه. والمراد بـ (باطنه عميق)، أي لا ينتهي إلى جواهر أسراره إلا أولو الألباب، وذلك لاشتماله على أنواع الحكم من أمر بحسن ونهي عن قبيح وخبر عن مخبر صدق وحثّ على الخير والزهد، وكذلك اشتماله على تبيان ما كان وما

---

[١] . ينظر: الكشاف: ٤ / ٦١ ، ومجمع البيان: ٩ / ٢٣٠ ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (خوئي): ٥ / ٤ – ٥ .

[٢] . شرح نهج البلاغة: ٧ / ٢٩٧ (خ ١٢١) .

[٣] . ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٢ / ٤٩ ، ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (خوئي): ٨ / ١٢٤.

[٤] . شرح نهج البلاغة: ٩ / ١٥٢ (خ ١٥٢) .

[٥] . ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٢ / ٣٧٦ .

[٦] . شرح نهج البلاغة: ١ / ٢٢٨ (خ ١٨) .

يكون وما هو كائن [١]. وقد قدم الإمام لفظة الظاهر على الباطن وذلك مراعاة للترتيب بين المدركات، فالحواس تدرك الظاهر الجلي، قبل إدراكها الباطن الخفي .

ب . مُقبِل ×مُدْبِر :

قابل الإمام (عليه السلام) بين (مقبل) و (مُدبر)، وهما من أبنية اسم الفاعل وعلى زنة (مُفعِل)، ومشتقان من الفعل الثلاثي المزيد (أقبل) و (أدبر)، "القُبَل والقبل: نقيض الدُّبر والدَّبر، ويقال من أين قبلتك، أي من أين جهتك، وأقبل: قدم "[٢] " والدبر: من دبر الشيء: ذهب به، والدبر: خلاف القبل"[٣] .

وقد ورد اسم الفاعل (مقبل)مقابلاً لأسم الفاعل (مدبر)، في الحضِّ على التمسك بالحق وملازمة أهله بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم (عليه السلام): فقال (عليه السلام): ((وَخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ . . . دَلِيلُهَا مَكِيثُ الْكَلَامِ، بَطِيءُ الْقِيَامِ، سَرِيعٌ إِذَا قَامَ . فَإِذَا أَتَيْتُمْ لَهُ رِقَابَكُمْ، وَأَشَرْتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ، جَاءَهُ الْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ، فَلَبِثْتُمْ بَعْدَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ، حَتَّى يُطْلِعَ اللَّهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ وَيَضُمُّ نَشْرَكُمْ، فَلَا تَطْمَعُوا فِي غَيْرِ مُقْبِلٍ، وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ مُدْبِرٍ))[٤].يتضح من التقابل الوارد في النص أن للحق مناراً يهتدى به، ولا يضير ذلك الحق أن أدبر من يحمله، لأن في ذلك الإدبار إقبال من يحمل لواءه، وقد ذكر صاحب الظلال في شرحه هذا المقطع من نهج البلاغة ما نصّه " لا تطمعوا أن يحكم بعدي من هو مثلي، فإنّ هذا بعيد المنال، ولا تيأسوا من هدايتنا نحن أهل البيت، فإذا لم تجدوا بعدي من آل الرسول من يملك الحكم والأمر سياسياً فإنكم واجدون منهم أئمّة يهدون بالحق وبه يعدلون " [٥] .

وقد جاء التقابل بين لفظتي (مقبل) و(مدبر)، في سياق مخاطبة بعض من أصحابه الصالحين، إذا قال الإمام (عليه السلام): ((أَنْتُمُ الْأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ، وَالْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ، وَالْجُنَنُ يَوْمَ الْبَأْسِ، وَالْبِطَانَةُ دُونَ النَّاسِ، بِكُمْ أَضْرِبُ الْمُدْبِرَ، وَأَرْجُو طَاعَةَ الْمُقْبِلِ))[٦]، فاللفظتان (المقبل) و(

---

[١] . ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير): ١ / ٣٢٢ ، و معارج نهج البلاغة: ١ / ١٠٣ ، ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (خوئي): ٣ / ٢٧٧ .

[٢] .الصحاح: (قبل) ٥ / ١٧٩٥ ، وينظر: أساس البلاغة:(قبل) ٣٥٣ .

[٣] . الصحاح: (دبر) ٢ / ٦٥٣ ، وينظر: المعجم الوسيط: (دبر) : ١/ ٢٦٩ .

[٤] . شرح نهج البلاغة: ٧ / ٨٤ (خ ٩٩) .

[٥]. في ظلال نهج البلاغة: ٢ / ٩١ .

[٦] . شرح نهج البلاغة: ٧ / ٢٨٤ (خ ١١٧) .

المدبر) وردتا معرفتين ليفيدا الاختصاص [١]، أي أن ليس كل مدبر سيقوم الإمام بضربه، وليس كل مقبل يرجو الإمام طاعته، وإنما هناك أناس خصهم الإمام بقوله، فالمدبر إشارة إلى من يقاتله في ساحة الحرب، والمقبل هو المخالف، فإنه إذا رأى ما عليه شيعته وبطانته من الأخلاق الحميدة، إطاعة بقلبه، بعد أن كان انضوى إليه ظاهراً [٢] .

وجاء التقابل بين الوصفين المعرفين (المقبل) و(المدبر)، في قول الإمام (عليه السلام):

((وَاللَّهِ لَا أَكُونُ كَالضَّبُعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ، حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا، وَيَخْتِلَهَا رَاصِدُهَا، وَلَكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرَ عَنْهُ)) [٣]. يشير النص إلى أن ديدن الإمام هو إحقاق الحق فيضرب بالمقبل إلى الحق وجه المدبر عنه، أي يقابل بمن أطاع من عصى [٤]. وقد أفاد ورود التقابل على صيغة (مُفْعِل)، ثبوت الحدث واستمراره، لأن ذلك هو شأن الإمام دائماً ومما يؤكد ذلك إتمام النص إذ قال (عليه السلام): ((وَبِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِيَ الْمُرِيبَ أَبَداً، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي)) [٥] .

ت . عالم × جاهل :

أصل عالم في اللغة هو "عَلِمَ يَعلَمُ عِلماً، وعلمت الشيء أعلمه علماً: عرفته، والعلم: نقيض الجهل، والعلامة والعلم: الجبل، والعلم أيضاً: الراية " [٦]. أما لفظة جاهل ن فهو اسم فاعل مشتق من الفعل الثلاثي (جهل) وهو نقيض الفعل الثلاثي (عَلِمَ). قال الخليل: " الجهالة أن تفعل فعلاً بغير علم " [٧].وقد جهل فلان جهلاً وجهالة. وأستجهله:عده جاهلاً [٨] .

قابل الإمام (عليه السلام) بين أسمي الفاعل (عالم) و (جاهل) المعرفين بالإضافة، في سياق إخبار عن حال الناس عند نشر الدعوة الإسلامية، فقال (عليه السلام) بعد انصرافه من

---

[١] . ينظر: التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل (د . محمود أحمد نحله) مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ١٩٩٩ م: ١٣٣ .

[٢] . ينظر: شرح نهج البلاغة: ٧ / ٢٨٤ .

[٣] . شرح نهج البلاغة: ١ / ٢٢٣ (خ ٦) .

[٤] . ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير): ١ / ٢٨١ ، توضيح نهج البلاغة: ١ / ٨٦ .

[٥] . شرح نهج البلاغة: ١ / ٢٢٣ (خ ٦) .

[٦] . كتاب العين: (علم) ٢ / ١٥٢ ، والصحاح:(علم) ٥ / ٩٩٠ ، ولسان العرب:(علم) ١٢ / ٤١٦، وينظر: المصباح المنير: (العلم) ٤٢٧/٢ .

[٧] . كتاب العين: (جهل) ٣ / ٣٩٠ ، و ينظر: لسان العرب:(جهل) ١٢٩/١١ و المصباح المنير: (جهلت) ١ / ١١٣ .

[٨] . ينظر: الصحاح: (جهل) ٤ / ١٦٦٣ .

صفين : ((وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ، وَالْعَلَمِ الْمَأْثُورِ، وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالضِّيَاءِ اللامِعِ، وَالأَمْرِ الصَّادِعِ، إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ، وَاحْتِجَاجاً بِالْبَيِّنَاتِ، وَتَحْذِيراً بِالآيَاتِ، وَتَخْوِيفاً بِالْمَثُلاتِ، وَالنَّاسُ فِي فِتَنٍ انْجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ . . . أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ . . . نَوْمُهُمْ سُهُودٌ وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ بِأَرْضٍ عَالِمُهَا مُلْجَمٌ وَجَاهِلُهَا مُكْرَمٌ)) [1]، أي أن العالم الذي عَرَف صدق محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) وآمن به، قد ألجم وسدّ لسانه بلجامفلا ينطق بالحق، وذلك خوفاً وتقيّة. أما جاهل تلك الأرض، وهو الذي جحد نبوة محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) وكذبه فهو في عزٍّ ومنعة يكرمه الناس لأنه على شاكلة العامة، مشايع لهم في أهوائهم أو لجهله يكرمه الناس اتقاء شره وخبثه [2]. ويستدل من مقابلة (العالم) و (الجاهل)، هو بيان من أقر بنبوة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يعلن عنها تقية، ومن جحد نبوته(صلى الله عليه وآله وسلم) .

ووردت اللفظتان (العالم) و (الجاهل) متقابلتين في قول الإمام (عليه السلام)ردا على قول الخوارج ((لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ أَجَلاً فِي التَّحْكِيمِ . فأجابهم الإمام قائلاً: فَإِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِيَتَبَيَّنَ الْجَاهِلُ، وَيَتَثَبَّتَ الْعَالِمُ)) [3]، فرد الإمام يعني بأن القصد من الأجل، أن يسأل الجاهل ويبحث ليظهر له الحق من المبطل، وأن يزداد العالم يقيناً وثباتاً على علمه [4] .

وجاء الوصفان (العالم) و (الجاهل) متقابلين، وذلك في قول الإمام : ((وَأَلَّبَ عَالِمُكُمْ جَاهِلَكُمْ، وَقَائِمُكُمْ قَاعِدَكُمْ)) [5]، يشير الإمام في النص إلى العلماء والخطباء الذين باعوا دينهم لمعاوية وقاموا بتحريض الجهلاء، أو كان القصد هو أن العالم منكم عالم

---

[1] . شرح نهج البلاغة: ١ / ١٣٦ (خ٢) .

[2] . ينظر: شرح نهج البلاغة: ١ / ١٣٨ ، وتوضيح نهج البلاغة: ١ / ٥٥ .

[3] . شرح نهج البلاغة: ٧ / ٢٩٧ (خ١٢٥) .

[4] . ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير): ٣ / ١٢٩ ، وفي ظلال نهج البلاغة: ٢ / ٢٣٦ .

[5] . شرح نهج البلاغة: ١٧ / ١٣٥ (كتاب ٥٥) .

بحالي وفضلي وسابقتي، قام بتحريض الجاهل الذي لا يعرفني [١]. وفي النص تقابل آخر بين وصفين هما (قائم) و (قاعد) .

ث . قائم × قاعد :

أصل الـ (قائم) من الفعل (قَوَمَ) فتقول : "قمت قياماً ومقاماً، وأقمت بالمكان إقامة ومقاماً، والمقام: موضع القدمين، والمقام والمقامة: الموضع الذي تقيم فيه. والقائم في الملك: الحافظ. وكل من كان على الحق فهو القائم الممسك به " [٢]، والـ(قاعد) أسم فاعل مشتق من الفعل الثلاثي (قَعَدَ)، فيقال: " قعد يقعد قعوداً: جلس، وهو خلاف قام، وقعد عن الأمر: إذا لم يهتم به، وقعد به الضعف: أي جعله قاعداً لا يقدر على النهوض "[٣] . وقد ورد الاسمين (قائم) و (قاعد) في قول الإمام: ((وَأَلَبَ عَالِمُكُمْ جَاهِلَكُمْ، وَقَائِمُكُمْ قَاعِدَكُمْ)) [٤]. أي أن القائم المطالب بدم عثمان حرضّ القاعد الذي لم يكن له داع في المطالبة [٥]. ويتضح من مقابلة الأسماء (عالم) و (جاهل) و (قائم) و (قاعد) بيان تأجيج الفتنة والتحريض للمطالبة بدم عثمان .

ج . محسِن × مسيء :

المُحْسِن اسم فاعل اشتق من الفعل الثلاثي المزيد (أحسن)، على زنة (مُفْعِل)، وجاء في كتاب العين " المحسن هو الموضع الحسن في البدن " [٦]، وبما أن المحسن هو الموضع الحسن كما ذكره الخليل لذا يمكن أن يعد المحسن هو موضع الحسن والإحسان. وسمي به كل من قدّم إلى نفسه أو إلى غيره من قول أو فعل كل ما يسر ويفرح به فقد أحسن في ذلك .

أما المُسِيء فهو على النقيض من المحسن، وهو المرء الذي يصدر منه السوء من فعلٍ أو قول إلى نفسه أو إلى غيره، والسوء هو كل ما يَغُمُّ الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية[٧]. وقد اشتق اسم الفاعل (المسيء) من الفعل الثلاثي المزيد (أساء)، على زنة (مُفعِل) أيضاً. وقد ورد الاسمان في نهج البلاغة متقابلين عندما جِيءَ بهما في سياق الردع والتأنيب بأن الرسول أوصى إلى الأنصار، فقال(عليه السلام): ((فَهَلَا احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ، وَيُتَجَاوَزَ عَنْ

---

[١] . ينظر: منهج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٣ / ٢١٤ ، وفي ظلال نهج البلاغة: ٢ / ٢٣٦ .

[٢] . كتاب العين: (قوم) ٥ / ٢٣٢ – ٢٣٣ ، والصحاح: (قوم) ٢٠١٦/٥ .

[٣] . كتاب العين: (قعد) ١ / ١٤٢ ، والصحاح: (قعد) ٢ / ٥٢٥ .

[٤]. شرح نهج البلاغة: ١٧ / ١٣٥ (كتاب ٥٥) .

[٥] . ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٤ / ٢٠٥ .

[٦] . كتاب العين: (حسن) ٣ / ١٤٣ ، وينظر: ألفاظ العبادة .

[٧] . ينظر: الصحاح: (سوأ) ١ / ٥٥ ، والمفردات: ٢٥٣ ، والتقابل الدلالي بين ألفاظ العبادة .

مُسِيئِهِمْ !)) [1]، فجاء التقابل بين الاسمين، لبيان مكانة الأنصار وأن يستوصوا بهم خيراً وذلك بأن يحسنوا إلى محسنهم، ويتجاوزا عن مسيئهم. ويشير نص الإمام إلى أن الإمارة ليست فيهم. فلو كانت فيهم لكان من اللازم أن يوصيهم الرسول بأن يعطفوا على الناس لا أن يوصي الرسول بأن يعطف عليهم [2] .

وقابل الإمام بين الاسمين (المحسن) و (المسيء) في عهده الذي كتبه لابن الأشتر فقال فيه: ((وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيداً لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ ، وَتَدْرِيباً لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ)) [3]، والمراد هو أن يكون للمحسن ما يرفعه، وللمسيء ما يضعه، لأن أكثر فعل الإحسان إنما يكون طلباً للمجازاة ولاسيما من الولاة وطلباً لزيادة رتبة على الغير وزيادة الذكر الجميل مع أنواع الكلفة في ذلك، فإذا رأى المحسن مساواة منزلته لمنزلة المسيء كان ذلك صارفاً عن الإحسان وداعياً إلى الراحة من التكلفة، وإذا رأى المسيء مساواة مرتبته مع مرتبة المحسنين كان التقصير به أولى [4] .

وذكر الإمام التقابل بين (محسناً) و(مسيئاً) في كتابه المرسل إلى أهل الكوفة لغرض استنفارهم. وقد ورد التقابل في سياق التقسيم، فقال(عليه السلام): ((وَإِنِّي أُذَكِّرُ اللَّهَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا لَمَّا نَفَرَ إِلَيَّ فَإِنْ كُنْتُ مُحْسِناً أَعَانَنِي، وَإِنْ كُنْتُ مُسِيئاً اسْتَعْتَبَنِي)) [5]، يلحظ أن التقابل بين (المحسن) و(المسيء) أفاد استمالة القلوب التي كانت الغرض من قول الإمام، وأورد الإساءة الإمام إلى نفسه وحاشا لله أن يكون أي جزء منه فيه إساءة، فكان ذلك تواضعاً منه في ذكره الإحسن والإساءة والطلب من القوم العون في حالة كونه مصيباً للحق، وفي حالة الإساءة بالنصح والإرشاد .

وقال ابن أبي الحديد في شرحه لهذا النص من قوله (عليه السلام): " فلينفر الناس إليَّ فإن وجدوني مظلوماً أعانوني، وإن وجدوني ظالماً نهوني عن ظلمي لأعتب وأنيب إلى الحق " [6] وقد قدّم الإمام المحسن على المسيء وذلك لأن الإنسان خلق سوياً صالحاً محسناً قبل أن يغويه الشيطان فيكون مسيئاً، ولأن المحسن أفضل من المسيء قدم عليه لأن الأفضل مقدماً في العرف .

---

[1] . شرح نهج البلاغة: ٦ / ٣ (خ ٦٦) .
[2] . ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير): ٢ / ١٠٦ ، توضيح نهج البلاغة: ١ / ٢٦٥ .
[3] . شرح نهج البلاغة: ١٧ / ٤٤ (كتاب ٥٣) .
[4] . ينظر: شرح نهج البلاغة: ١٧ / ٤٦ ، وشرح نهج البلاغة (الكبير): ٥ / ١٤٨ .
[5] . شرح نهج البلاغة: ١٧ / ١٤٠ (كتاب ٥٧) .
[6] . شرح نهج البلاغة: ١٧ / ١٤٠.

ح .المؤمن × الكافر ، المؤمن × المنافق :

المؤمن هو النعت الذي يطلق على المرء المسلم بعد التصديق بالله وبصفاته ورسله والكتب المنزلة على أنبياءه وبالبعث والجنة والنار، والمؤمن هو الخاضع لله تعالى والمتبع لما أمر به والتارك لما نهى عنه [١]. والكافر هو نقيض المؤمن، وهو الذي لم يصدق فكفر بالإيمان والمعتقد، ويقال لجاحد النعم: كافر [٢] .

وورد التقابل بين ألفاظ العقيدة (المؤمن) و(الكافر)، في حالة التعريف وبصيغة المفرد المذكر، وذلك في قول الإمام (عليه السلام)عند مخاطبته الخوارج مبيناً لهم بطلان زعمهم أنه لا أمرة إلا لله: ((كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ! نَعَمْ إِنَّهُ لاَ حُكْمَ إِلاَّ لِلَّهِ، وَلَكِنَّ هَؤُلاَءِ يَقُولُونَ: لاَ إِمْرَةَ إِلاَّ لِلَّهِ، وَإِنَّهُ لاَ بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ، وَيُبَلِّغُ اللَّهُ فِيهَا الأَجَلَ)) [٣]، ومعناه، أي لا بد للناس من أمير برّ أو فاجر، حتى تستقيم أمورهم، ويحفظ لهم المجتمع من الانهيار والفوضى [٤]. وولاية الفاجر لا تمنع المؤمن من عمله لإحراز دينه ودنياه. والكافر في أمرة الأمير –أياً كان – يستمتع بما قدر له من أنواع الاستمتاعات في الدنيا حتى يوافيه الأجل [٥]. وقد قدم الإمام (المؤمن) على (الكافر)، مراعاة لترتيب النص حيث قدم الأمير البرُّ على الأمير الفاجر، والتقابل بين لفظتي العقيدة (المؤمن – الكافر)لم يكن تقابلاً بين من دخل في شريعة محمد (ص) ومن لم يدخل ولم يصدق بها؛ ولكن كان التقابل بين الأعمال التي يقوم بها المؤمن من صلاة وصوم وأمر بالمعروف ونهيٌ عن المنكر وما يقوم به المرء الذي نعت بالكافر لجحوده النعم بتركه أعمال العبادة والاستمتاع بالمنكرات .

وقابل الإمام (عليه السلام) بين اسمي الفاعل (مؤمننا) و (كافرنا) في حالة التعريف بالإضافة، لبيان موقف العشيرة من الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) عند نشر الدعوة الإسلامية، فقال في ذلك:((مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذَلِكَ الأَجْرَ، وَكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الأَصْلِ))[٦]، أي الذي آمن بالرسول يبغي من دفاعه الأجر والثواب، ومن كان حينئذ على كفره كالحمزة والعباس وأبي طالب، فإنهم كانوا يمنعون عن رسول الله مراعاة لأصلهم [٧]. وقد قدم الإمام هنا لفظة (المؤمن) على (الكافر)وذلك لأن المؤمن هو أولى بالدفاع عن رسوله ومعتقده، وتشير المقابلة بينهما

---

[١] . ينظر:الفصل الأول (تقابل ألفاظ العقيدة) .

[٢] . ينظر: الفصل الأول (تقابل ألفاظ العقيدة) .

[٣] . شرح نهج البلاغة: ٢ /٣٠٧ (خ ٤٠) .

[٤] . ينظر: نهج البلاغة (محمد عبده): ١ / ١٠٠ .

[٥] . ينظر: توضيح نهج البلاغة: ١ / ٢٠٠ .

[٦] . شرح نهج البلاغة: ١٤ / ٤٧ (كتاب ٩) .

[٧] . ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير) ٤ / ٣٦٦ ، وتوضيح نهج البلاغة: ٣ / ٤٤٠ .

إلى قصد الإمام المعنى الشرعي للفظتين، أي المؤمن من آمن بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وما انزل عليه، والكافر هو من لم يصدق بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وما أنزل عليه .

وقابل الإمام في نهج البلاغة بين (المؤمن) و (المنافق)، والمنافق في أصل اللغة هو من " نَفَقَ الشيء نفقاً: نَفِدَ، ونافق فلانٌ: أظهر خلاف ما يُبْطِن، والنفاق الخلاف والكفر، والنفاق بالكسر: فعل المنافق " [1]، والمنافق هو النعت الذي يطلق على من أخفى الكفر وأظهر الإيمان [2] .

وجيء بالوصفين متقابلين في سياق الحثّ على الأخذ بالحكمة، إذ (عليه السلام) : ((خُذِ الْحِكْمَةَ أَنَّى كَانَتْ فَإِنَّ الْحِكْمَةَ تَكُونُ فِي صَدْرِ الْمُنَافِقِ فَتَلَجْلَجُ فِي صَدْرِهِ حَتَّى تَخْرُجَ فَتَسْكُنَ إِلَى صَوَاحِبِهَا فِي صَدْرِ الْمُؤْمِنِ)) [3]، والمراد خذ الحكمة أنى كانت سواء عند المؤمن، أو المنافق، والحكمة تكون في صدر المنافق والكافر لا يعمل بها فتتحرك وينطق بها من حيث يريد أو لا يريد، فعلى المؤمن أن يأخذها وينتفع بها في سلوكه [4]. وقد تقدمت لفظة المنافق على لفظة المؤمن، وذلك التقديم هو ما استدعاه السياق وتطلبه المعنى .

٣ : اسم المفعول

أ . المعروف × المنكر :

أصل المعروف في اللغة هو " عرف –وعرفت الشيء معرفة وعرفاناً، وأمر عارف: معروف والعرف: المعروف " [5]، والمعروف اسم لكل فِعل يعرف حسنه بالشرع والعقل من غير أن ينازع فيه الشرع. أي هو الاسم الجامع لكل ما عرف من طاعة الله، والتقرب إليه والإحسان إلى الناس [6]. وضد المعروف المنكر، والنكر: الدهاء. والنكر: نعت للأمر الشديد، والنكر: المنكر والإنكار: الجحود. والتناكر: التجاهل، ويقال:نكرت الرجل بالكسر نكراً ونكوراً،

---

[1] . كتاب العين: (نفق) ٥ / ١٧٧ ، وينظر: المصباح المنير:(نفقت) ٢ / ٦١٨ ، مجمع البحرين: ٤ / ٣٥٣ ، والمعجم الوسيط:(نفق) ٢ / ٩٥ .

[2] . ينظر: الفروق: ٢٢٣ .

[3] . شرح نهج البلاغة: ١٨ / ٢٢٩ (حكمة ٧٧) .

[4] . ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٤ / ٢٩٥ ، وفي ظلال نهج البلاغة: ٤ / ٣٦٣ .

[5] . كتاب العين: (عرف) ٢ / ١٢١ ، والصحاح: (عرف) ٤ / ١٤٠٠ .

[6] . ينظر: المفردات: ٣٣١ ، ومجمع البحرين: ٣ / ١٥٩ .

وأنكرته واستنكرته كلها بمعنى واحد [١]. والمنكر هو " الشيء القبيح، وفي الحديث المنكر هو ضد المعروف وهو كل ما قبحه الشارعوحرمه " [٢] .

وقد ورد التقابل بين (المعروف) و (المنكر) في عدة مواضع من نهج البلاغة، وقد جاءا في جميع النهج معرفتين، ومما جاء في حالة التعريف بـ (أل)، ليدل في ذلك المعروف على كل ما وافق الكتاب والسنة، ويدل المنكر على كل ما خالفهما، فقال الإمام (عليه السلام) في سياق النهي: ((فَاتَّقُوا شِرَارَ النِّسَاءِ، وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ، وَلا تُطِيعُوهُنَّ فِي الْمَعْرُوفِ حَتَّى لا يَطْمَعْنَ فِي الْمُنْكَرِ)) [٣]، وقد أشار الإمام إلى أن المعروف من أعمالكم يجب أن يكون صادراً من أنفسكم وحسن المعروف الذاتي وليس صادراً عن إطاعتهن، وذلك لأن الإنسان إذا رأى نفسه مطلعاً تدرج من الأمر الحسن إلى الأمر القبيح [٤]. وعلى الرغم من أن أسم المفعول يدل على التجدد والحدوث [٥]، فقد أورد الإمام التقابل بين اسمي المفعول (المعروف) و (المنكر) مع الفعل المضارع ليؤكد على عدم إطاعة النساء في المعروف على وجه الاستمرار، حتى لا يكون ذلك انزلاقاً في المنكر .

وقابل الإمام بين اسمي المفعول (المعروف) و (المنكر)، وذلك في سياق توبيخ الأمة على اختلاف دينهم وتشتيت آرائهم في الأحكام والمذاهب، إذ قال (عليه السلام): ((فَيَا عَجَباً ! وَمَا لِي لا أَعْجَبُ مِنْ خَطَإِ هَذِهِ الْفِرَقِ عَلَى اخْتِلافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا ، لا يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ وَلا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ . . . الْمَعْرُوفُ فِيهِمْ مَا عَرَفُوا، وَالْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا)) [٦]، فللمعروف ميزان شرعي وعُرفي يُعرف به، وللمنكر كذلك، فما أمر به الشرع كان معروفاً شرعياً وما نهى عنه الشرع فهو مُنكر شرعاً، ولكن هؤلاء القوم خالفوا الميزان فأضحى المعروف عندهم ما رأوه بنظرهم وما ذهبوا إليه بحسب مصالحهم، وليس ما عليه الدين والشرع.والمنكر عندهم ما رأوه منكراً بحسب قياسهم، فالمعروف والمنكر محصوران فيما عرفوه وأنكروه، وإن كان ما تصوروه جهلاً وما أنكروه هو الحق [٧] .

---

[١] . ينظر: كتاب العين: (نكر) ٥ / ٣٥٥ ، الصحاح: ٤ / ١٤٠٠ ،(نكر) ٢ / ٨٢٦ .

[٢] . مجمع البحرين: ٤ / ٣٧ .

[٣] . شرح نهج البلاغة: ٦ / ٢١٤ (خ ٧٩) .

[٤] . ينظر: توضيح نهج البلاغة: ١ / ٤٠٣

[٥] . ينظر: شرح الكافية: ٢ / ٢٠٣ ، وأبنية المشتقات في نهج البلاغة: ٥٢ .

[٦] . شرح نهج البلاغة: ٦ / ٣٨٤ (خ ٨٧) .

[٧] . ينظر: شرح نهج البلاغة (شرح الوسيط): ١ / ٢١٢ ، وشرح نهج البلاغة (موسوي): ٢ / ٤١ .

قال (عليه السلام) في بيان صفة من يتصدّى للحُكم وليس لذلك بأهل: ((إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَّالاً، وَيَمُوتُونَ ضُلاَّلاً، لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلاوَتِهِ، وَلاَ سِلْعَةٌ أَنْفَقُ بَيْعاً وَلاَ أَغْلَى ثَمَناً مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلاَ عِنْدَهُمْ أَنْكَرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلاَ أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ)) [1]. فجاء التقابل بين المعروف والمنكر في سياق الشكوى، لأن أولئك القوم طرحوا المعروف لما خالف أغراضهم ومقاصدهم حتى صار منكراً بينهم، والمنكر لما وافق دواعيهم ولاءم طباعهم لزموه حتى صار معروفاً عندهم [2].

ولمّا كان نهج البلاغة كتاباً تربوياً يؤكد على السلوك الاجتماعي، فقد منح الإمام (عليه السلام) تلك المفردتين (المعروف والمنكر) قيمة دلالية عالية، وذلك لأن طاعة الله تعالى، هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن عمل بذلك تقرّب إلى الله ونال إحسان الغير، وهذا هو الأساس في بناء المجتمع وصلاحه .

ب . معروف × مجهول :

وقد قابل الإمام (عليه السلام) بين (المعروف) و (المجهول)، والمجهول هو اسم مفعول يُصاغ من الفعل الثلاثي (جَهِلَ) للدلالة على من وقع عليه الحدث. وجاء في العين " الجهل نقيض العلم، تقول: جَهِلَ فلان حقّه، وجهل علي، وجهل بهذا الأمر، والجهالة: أن تفعل فعلاً بغير علم " [3]، وذكر الطريحي " أن الجاهل البسيط هو الذي لا يعرف العلم ولا يدّعيه. والجاهل المركب هو الذي لا يعلم ويدّعي " [4] .

وجيء بالتقابل بين اسمي المفعول (معروف) و (مجهول) بصيغة جمع المذكر السالم، وذلك في سياق الإخبار على ما سيقع بعد الإمام (عليه السلام) من الفتن((يُجَاهِدُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَوْمٌ أَذِلَّةٌ عِنْدَ الْمُتَكَبِّرِينَ، فِي الأَرْضِ مَجْهُولُونَ، وَفِي السَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ))[5]. منح التقابل بين (مجهولون ومعروفون)دلالة مكانية معنوية، إذ وصف الإمام المقاتلين في سبيل الله أنهم أذلّة عند المتكبرين، ومجهولون في الأرض، أي ليسوا من أبناء الدنيا المشهورين بنعيمها، وكونهم

---

[1] . شرح نهج البلاغة: ١ / ٢٨٤ (خ ١٧) .

[2] . ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (خوئي): ٣ / ٢٦٠ – ٢٦١ .

[3] . كتاب العين: (جهل) ٣ / ٣٩٠ .

[4] . مجمع البحرين: ١ / ٤٢١ .

[5] . شرح نهج البلاغة: ١٠٣/٧ (خ ١٠١) .

معروفين في السماء هو إشارة إلى أنهم من أهل العلم والإيمان يعرفهم ربّهم بطاعتهم وتعرفهم ملائكته بعبادتهم [١] .

وفي ذكر أبناء الملاحم الآتية من الزمن الآتي، قال الإمام: ((أَلا بِأَبِي وَأُمِّي هُمْ مِنْ عِدَّةٍ! أَسْمَاؤُهُمْ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ، وَفِي الأَرْضِ مَجْهُولَةٌ))[٢]، أي أن التقابل بين اللفظتين (معروفة) و(مجهولة) أفاد بيان صفة العدّة، وهم الأئمة الأحد عشر من ولده(عليه السلام)، وقيل هم أولياء الله، وإنْ كان القصد الأئمة أو أولياء الله من أهل الحق، فقد أشار التقابل إلى دلالة علو درجتهم في الملأ الأعلى وإثبات أسمائهم وصفاتهم الفاضلة في ديوان الصدّيقين في السماء وأنهم في الأرض مجهولون بين أهل الدنيا لأنهم معرضين عن الدنيا، ويستلزم ذلك الإعراض قلّة مخالطة أهلها وعدم معرفتهم لهم [٣] .

ت . مُستخلف × مُستصحب :

اللفظتان من أبنية اسم المفعول على زنة (مُستفعل)، ومُشتقتان من الفعلين المزيدين (استخلف) و (استصحب)، ووردتا عند أصحاب المعاجم بمعنى " الخلف: نقيض قدام، والخلف: القرن بعد القرن، والخلف بالتحريك والسكون: من يجيء بعد من مضى" [٤] و " صحب: يُقال في الدعاء، اللهم أنت الصاحب في السفر (أراد بمصاحبة الله إيّاه بالعناية والحفظ)، وذلك أن الإنسان أكثر ما يبغي الصحبة في السفر للاستئناس والاستظهار والدفاع لما ينوبه من النوائب، فنبّه بهذا القول على حُسن الاعتماد عليه وكمال الاكتفاء به عن كل صاحب سواه . والصاحب للشيء: المُلازم له . واستصحب الشيء: لازمه " [٥] .

ورد التقابل بين (المستخلف) و (المستصحب) في سياق الدعاء ، إذ قال الإمام (عليه السلام) عند عزمه المسير إلى الشّام : ((اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ، وَلا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ؛ لأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لا يَكُونُ مُسْتَصْحَباً، وَالْمُسْتَصْحَبَ لا يَكُونُ مُسْتَخْلَفاً)) [٦]. والمعنى أن من من استصحب لا يكون مستخلفاً، أي لا يجمع الصحبةوالخلافة، وذلك كون الشيء الواحد لا يكون في مكانين مقيماً وسائراً، فجاء التقابل في سياق الدعاء لتنزيه الباري عزّ وجل عن

---

[١] . ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير): ٣ / ١٤ – ١٥ .

[٢] . شرح نهج البلاغة: ١٣ / ٩٥ (خ ٢٣٣) .

[٣] . ينظر: شرح نهج البلاغة: ١٣ / ٩٦ ، وشرح نهج البلاغة (الكبير): ٤ / ١٨٤ ، ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (خوئي): ١١ / ١٤٣ ، و نهج البلاغة (عبده): ١ / ٣٨٣ .

[٤] . الصحاح: (خلف) ٤ / ١٣٥٦ ، ومجمع البحرين: ١ / ٦٨٦ .

[٥] . مجمع البحرين: ٢ / ٥٨٣ – ٥٨٤ .

[٦] . شرح نهج البلاغة: ٣ / ١٦٥ (خ ٤٦) .

الجسمية والتي لا يكون فيها الجسم في جهتين في آنٍواحد، أما الباري فإنه في كل مكان [١]، فالتقابل أفاد بيان علمه وإحاطته سبحانه وتعالى، وفي ذلك إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِوَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَبَصِيرٌ**﴾ [الحديد / ٤] .

ث . ميسور × معسور :

قابل الإمام بين المفردتين (ميسور) و (معسور)، وهما من أبنية اسم المفعول، وعلى زنة (مفعول)، ومُشتقتان من الفعلين (يسر) و (عسر)، وهما في المعاجم بمعنى " يسر: لين الانقياد، واليسر: السهولة، واليسر: اليسار، أي الغنى والسعة " [٢]، و " العسر:قلّة ذات اليد. والعسر نقيض اليسر، وأعسر الرجل: أضاق، والمعسور: المضيق عليه. ويقال استعسر الأمر وتعسر، أي التوى " [٣] .

وجاءت لفظة (ميسور) مقابلة للفظة (معسور) في خطبة الأشباح، إذ أبان الإمام تقسيم الله عزّ وجل لأرزاق الخلائق من سعة وضيق، وما تبتغيه حكمته في ذلك، إذ قال (عليه السلام): ((**وَقَدَّرَ الْأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَقَلَّلَهَا، وَقَسَّمَهَا عَلَى الضِّيقِ وَالسَّعَةِ، فَعَدَلَ فِيهَا لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا وَمَعْسُورِهَا**)) [٤]، أي يمتحن من أراد امتحانه بميسورها ومعسورها، فهل يصبر المعسور له وهل يشكر الميسور لأجله [٥] .

٤ : اسم التفضل

أ . أقرب × أبعد :

ورد اسم التفضل كثيراً في نهج البلاغة، فمن ذلك قول الإمام (عليه السلام) في ذم البصرة وأهلها ((**بِلَادُكُمْ أَنْتَنُ بِلَادِ اللَّهِ تُرْبَةً، أَقْرَبُهَا مِنَ الْمَاءِ، وَأَبْعَدُهَا مِنَ السَّمَاءِ**)) [٦]. فقد منح التقابل

---

[١] . ينظر: شرح نهج البلاغة: ٣ / ١٦٦ ، ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٤ / ٢٥٥ ، وفي ظلال نهج البلاغة: ١ / ٢٧٢ .

[٢] . كتاب العين: (يسر) ٧ / ٢٩٥ ، وينظر: مجمع البحرين: ٤ / ٥٧٧ .

[٣] . كتاب العين: (عسر) ١ / ٣٢٦ .

[٤] . شرح نهج البلاغة: ٧ / ٢١ (خ ٩٠) .

[٥] . ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير): ٢ / ٣٨٢، وتوضيح نهج البلاغة: ٢ / ٨١ .

[٦] . شرح نهج البلاغة: ١ / ٢٥١ (خ ١٣) .

بين (اقرب وابعد) دلالة معنوية إلى قرب أهل البصرة من نزول العذاب الإلهي بدلالة قربهم مكانياً من الماء الذي يكون مصدر سخط كما يكون مصدر نماء للإنسان، ودلالة المكان التي أشار إليها الإمام بالبعد عن السماء تعطي دلالة معنوية وهي الابتعاد عن الرحمة الإلهية .

وجاء التقابل بين أسمي التفضيل (الأقرب) و (الأبعد) في حالة التعريف، وذلك لبيان من يغدر بقومه، فقال (عليه السلام): ((وَإِنَّ امْرَأً دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفَ وَسَاقَ إِلَيْهِمُ الْحَتْفَ، لَحَرِيٌّ أَنْ يَمْقُتَهُ الْأَقْرَبُ، وَلَا يَأْمَنَهُ الْأَبْعَدُ)) [1]، الكلام كان للأشعث بن قيس والمُكنّى بـ (عرف الناس) للدلالة على الغدر، وقد أشار الإمام إلى القرب والبعد المعنويين وليس الدلالة المكانية، فأورد الإمام التقابل في سياق التوبيخ للأشعث الذي ترك بقية قومه للسيف والموت، فكان جديراً بقومه أن يبغضوه، لأنه أقرب الناس إليهم بصلة الرحم والنسب، فغدر بهم، فكيف بعد ذلك يأمن غدره الأبعد، أي الذي ليس من أقاربه .

وورد التقابل بين المفردتين (أقرب) و (أبعد) في بيان وصف الدنيا، إذ قال (عليه السلام): ((أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، وَأَبْعَدُهَا مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ فَغُضُّوا عَنْكُمْ - عِبَادَ اللَّهِ - غُمُومَهَا وَأَشْغَالَهَا)) [2]، إذ دلّ التقابل على المكانة المعنوية في القرب من الله والبعد عنه، أي أن الدنيا محفوفة بالشهوات الموجبة لسخط الله، وأكثر أهلها محبون لها، راغبون فيها، تابعون للهوى، لذا وصفها الإمام بأنها قريبة من سخط الله، ولأنّ الطالب فيها لتحصيل رضوان الله قليل، فنعتها الإمام بالبُعد عن رضوان الله [3] .

ب . الأكبر × الأصغر[4]:

قابل الإمام بين اسمي التفضيل (الأكبر) و (الأصغر)، في سياق التفصيل والاستفهام، إذ قال(عليه السلام): ((أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ (صلى الله عليه وآله) إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ، وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ، فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ، وَاعْذِرُوا مَنْ

---

[1] . شرح نهج البلاغة: ١ / ٢٩١ (خ ١٩) .

[2] . شرح نهج البلاغة: ٩ / ٢٣٨ (خ ١٦٢) .

[3] . ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (خوئي): ٩ / ٤١١ .

[4] . ينظر: تقابل الصفة المشبهة .

لا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ - وَهُوَ أَنَا - أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الأَكْبَرِ! وَأَتْرُكْ فِيكُمُ الثَّقَلَ الأَصْغَرَ؟))[1].

والمراد بـ (الثقل الأكبر) كتاب الله، وأشار الإمام إلى أنه أكبر لأنه الأصل المُتّبع والمقتدى به، أما المراد بالثقل الأصغر، هم الأئمة من ولده (عليهم السلام) [2]. وقد دلّ التقابل بين الثقلين الأكبر والأصغر بيان أسلوبي التقريع والتبكيت اللذين خاطب بهما الإمام القوم من أجل الوعظ والزجر .

ثانياً: تقابل المصادر (التقابل الاسمي)[3]

المصادر جمع مصدر، والمصدر في اللغة كما قال الخليل: " أعلى مُقدّم كل شيء، وصدر القناة أعلاها، وصدر الأمر أوله " [4]، وقد استفاد الخليل من هذا الأصل اللغوي لمعنى الجذر (ص د ر) فأجراه على المفردات، فقال: " والمصدر أصل الكلمة الذي تصدر عنه الأفعال. وتفسيره أن المصادر كانت أول الكلام، كقولك: الذهاب والسمع والحفظ، وإنما صدر

---

[1] . شرح نهج البلاغة: ٦ / ٣٧٣ (خ ٨٦) .

[2] . ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير): ٢ / ٣٠٣ .

[3] . ينظر: كتاب سيبويه: ٤ /٢١٨ .

[4] . كتاب العين: (صدر) ٧ / ٩٤ .

الأفعال عنها، فيقال:ذهب ذهاباً، وسمع سمعاً وسماعاً وحفظ حفظاً " [1]. فالمصدر عند الخليل هو الأصل الذي انبثقت منه الكلمات .

وقد حُدَّ المصدر حديثاً بأنه "الاسم الذي يدل على الحدث مجرداً من الزمن والشخص والمكان " [2]؛ ويتجلىّ من هذا التعريف أنه لم ينظر إلى المصدر من حيث كونه أصلاً أو غير ذي أصل، وإنّما نظر إليه من حيث احتواؤه على عوامل أخرى تصرف معناه إلى مُسمّى آخر. وتقسم المصادر إلى أقسام مختلفة، فمنها ما يكون سماعياً، ومنها ما يكون قياسياً، ومن المصادر ما يكون دالاً على ما يدل عليه فعله، أو دالاً عل معنى تستجلبه صيغته الصرفية [3]، غير أن ما يهم هذه الرسالة المصادر المتقابلة دلالياً بغضّ النظر عن القسم الذي تنضوي تحته.

١ . الإدبار × الإقبال :

قد مضى بيان معنى فعلي المصدرين (إدبار) و (إقبال) [4]، وقد قابل الإمام(عليه السلام)بين هذين المصدرين في مواضع عدّة من نهج البلاغة، ومن تلك المواضع قوله مخاطباً العباد: ((وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنٍ لَا يَزْدَادُ الْخَيْرُ فِيهِ إِلَّا إِدْبَاراً، وَلَا الشَّرُّ فِيهِ إِلَّا إِقْبَالاً))[5]، فالإمام في هذا الموضع يكنى عن انحسار الخير وقلّته في زمنه بالمصدر(إدبار)، وذلك لأن الناس قد توجهوا إلى الدنيا، فهم خلف من يعطي الأموال(معاوية) [6]. ويستدل من قول الإمام إلى أن الخير لم ينحسر دفعة واحدة، وإنما كان انحساره متدرجاً بشكل مستمر، وهذا مما يجعل لفظة (إدبار) مجانسة في تصوير ذلك التدرج المستمر. وجاءت لفظة (إقبالاً) معبرة عن تسرب الشر، إلى المجتمع في زمن الإمام، غير أن ذلك التسرب كان شيئاً فشيئاً، وهذا التسرب أدى بدوره إلى انحسار الخير، فالتقابل بين المصدرين أفاد بيان ذهاب وانحسار الخير بشكل متدرج وظهور ويشاع الشر المخالف له محله وبشكل متدرج أيضاً .

وقد جيء بالمصدرين (إقبال) و(إدبار) متقابلين في بيان آيات الله من اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما، إذ قال (عليه السلام): ((وَتَقَلُّبِ الْأَزْمِنَةِ وَالدُّهُورِ، مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ وَإِدْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ

---

[1] . نفسه: ٧ / ٩٧ .

[2] . أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٢٠٨ .

[3] . ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٢٠٨ – ٢٠٩ ، وأبنية المصدر في الشعر الجاهلي (د. وسمية عبد الرحمن المنصور)، جامعة الكويت، مطبوعات الجامعة، ط ١، ١٩٨٤م : ٢٨ – ٣٥ ، والأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٨١ .

[4] . ينظر: التقابل الدلالي في المشتقات (اسم الفاعل) .

[5] . شرح نهج البلاغة: ٨ / ٢٤٤ (خ ١٢٩) .

[6] . ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٢ / ٢٨١ .

)) [١]، أي أن تعاقب الليل والنهار هو آية ودليل على وجود الخالق، وحكمة تعاقبهما بذهاب الليل وقدوم النهار، ومن ثم اختلافهما هو لمعرفة الوقت وحساب الأيام الشهور [٢].

وسيق التقابل بين المصدرين (إقبال) و (إدبار) لبيان حال عمر الإنسان في الدنيا، فقال الإمام متعجباً من سرعة الملتقى: ((إِذَا كُنْتَ فِي إِدْبَارٍ وَالْمَوْتُ فِي إِقْبَالٍ، فَمَا أَسْرَعَ الْمُلْتَقَى)) [٣].

يُشير التقابل إلى معنى سرعة الموت، فقال البحراني: " الإدبار والإقبال أمران اعتباريان، لأن الإنسان باعتبار أجزاء مدته وقتاً فوقتاً في إدبار، وبحسب ذلك يكون اعتبار فنائه في إقباله إليه، وبحسبهما يكون سرعة التقائهما " [٤].

٢ . الزيادة × النقصان :

(الزيادة) و (النقصان) مصدران للفعلين (زاد) و (نقص)، "والزيادة: زاد يزيد زيداً وزيادة: نما وكثر، والزيادة: ما زاد على الشيء" [٥]، وقال الخليل: " النقص هو الخسران في الحظ"[٦]، والنقص هو "نقص الشيء نقصاناً: خسّ وقلّ"[٧] .

قابل المصدر (زيادة) المصدر (نقصان) في نهج البلاغة، وذلك في بيان تقسيم الأرزاق بين الناس، فقال الإمام (عليه السلام): ((أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ كَقَطَرَ الْمَطَرِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قُسِمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ))[٨]، يشبّه الإمام أرزاق الخلائق بقطر المطر ونزوله من سماء الجود الإلهي، وهو تشبيه المعقول بالمحسوس، إذ أن حصول الرزق والذريّة لكل نفس مقسم على زيادة أو نقصان كما أن قطر المطر بالقياس إلى كل واحدة من البقاع [٩]، أي أن (الزيادة) و (النقصان) أمران مصدرهما الخالق عزّ وجل، سواء أكانا في الأمور المادية أم الأمور المعنوية، فقد أبان الإمام من عقد التقابل أن أمور الخلائق بأحوالها المختلفة مُقسّمة بتقدير إلهي .

---

[١] . شرح نهج البلاغة: ٩ / ٢٥٢ (خ ١٦٤) .

[٢] . ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٢ / ٤٥٣ ، وشرح نهج البلاغة (موسوي): ٣ / ٦٦ .

[٣] . شرح نهج البلاغة: ١٨ / ١٤٠ (حكمة ٢٩) .

[٤] . شرح نهج البلاغة (الكبير): ٥ / ٢٥٢ .

[٥] . الصحاح: (زاد) ٢/ ٢٨٢ ، والمصباح المنير: (زاد) ١ / ٢٦١ .

[٦] .كتاب العين (نقص) ٥ / ٦٥ .

[٧] . الصحاح: (نقص) ٣ / ١٠٥٩ .

[٨] . شرح نهج البلاغة: ١ / ٣١٢ (خ ٢٣) .

[٩] . ينظر: شرح نهج البلاغة: (الكبير): ٢ / ٥ .

وجاء التقابل بين المصدرين (زيادة) و (نقصان) لبيان فضل القرآن الكريم، فقال (عليه السلام): ((وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلاَّ قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ، زِيَادَةٍ فِي هُدًى أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمًى)) [١]، المراد بمجالسة القرآن هو تذكره وفهمه، ومن قرأ القرآن زاد على الإتيان بالأعمال الصالحة، وترك الأعمال القبيحة [٢]. يُلحظ على هذا التقابل أن له منحى واحد على الرغم من تباين طرفيه، أي أن طرفي التقابل لا يصب تباينهما في مصبمتعاكس، وإنّما يصب تباينهما في مجرى يعزز بعضه بعضاً، أي أن (الزيادة)في الهدى تستدعي حتماً (النقصان) في العمى، وكذلك الحال بالنسبة إلى (النقصان) في العمى يقتضي (زيادة) في الهدى .

٣ . النعمة × النقمة :

النعمة مصدر للفعل (نَعِمَ)، و " نَعِمَ الشيء نَعَماً ونعمةً ونعيماً: لان ملمسه، ونعم عيشه وباله: هدأ واستراح. والنعمة: اليد الصالحة. والإنعام: العطاء، والنعم: الخفض والدعة. والنعمة:ما أُنعم به من رزق ومال وغيره، والنعمة: المسرّة " [٣]. فالنعمة هي: الحالة الحسنة التي يكون عليها الإنسان من لين عيش وخصب، وتكون من العطايا أي أن ينعم عليه مكافأةً له [٤] .

والنقمة مصدر الفعل (نقم)، ومعناه في اللغة " نقم منه نقماً ونُقوماً: عاقبه. ونقم الشيء: أنكره وعابه. وانتقمت منه: كافأته عقوبةً بما صنع. والنقمة: العقوبة وجمعها نقِمُ. والمنتقم: اسم للباري، وهو البالغ في العقوبة لمن شاء، وهو مفتعل من نقم ينقم إذا بلغت به الكراهة حد السخط " [٥]، فالنقمة هي وقوع العقوبة جزاءً، وذلك بسلب النعمة بالعذاب، فيكون الانتقام نقيض الإنعام [٦] .

وقد جاء التقابل بين المصدرين (النعمة) و (النقمة) في نهج البلاغة في خطبة الاستسقاء، إذ قال الإمام (عليه السلام) في سياق الدعاء: ((اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الأَسْتَارِ وَالأَكْنَانِ، وَبَعْدَ عَجِيجِ الْبَهَائِمِ وَالْوِلْدَانِ، رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ، وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ، وَخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ))

---

[١] . شرح نهج البلاغة: ١٠ / ١٨ (خ ١٧٧) .

[٢] . ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٣ / ٦٠ .

[٣] . كتاب العين: (نعم) ٢ / ١٦١ – ١٦٢ ، ولسان العرب: (نعم) ١٢ / ٢٧٩ ، والمعجم الوسيط: (نعم) ٢ / ٩٤٤ .

[٤] . ينظر: الفروق: ١٩١ ، والمفردات: ٣١٣ .

[٥] . كتاب العين: (نقم) ٥ / ١٨١ ، وينظر: الصحاح: (نقم) ٥ / ٢٠٤٥ ، ولسان العرب: (نقم) ١٢ / ٥٩٠ ، والقاموس المحيط:(نقم) ٤ / ١٨٣ ، والمعجم الوسيط: (نقم) ٢ / ٩٥٨ .

[٦] . ينظر: الفروق: ٢٣٥ .

[1]، وقد ورد في تفسير قول الإمام في هذا الموضع أنه(عليه السلام) عنى بـ (راجين فضل نعمتك) أن تتفضّل علينا بنعمتك من إنزال المطر ودر الخير [2]. فالتقابل بين النعمة والنقمة يصوّر لنا حال الإنسان الداعي إلى خالقه عزّ وجل، فهو دائماً راجي الرحمة والفضل منه، وخائف من عذابه ونقمته .

٤ . الاجتماع × التفرّق :

الاجتماع في اللغة هو " جمع: الجمع مصدر جمعت الشيء، وجمعت الشيء المتفرق فاجتمع، والرجل المجتمع: الذي بلغ أشده. والجمع: اسم لجماعة الناس، أي اجتمعوا من هنا وهنا، والمجمع حيث يجمع الناس. والتجمع ضد التفريق " [3]. وذكر الجوهري تحت مادة الأصل (فرق) "فرقت بين الشيئين أفرق فرقاً وفرقاناً.وفرقت الشيء تفرقاً وتفرقة، فانفرق وافترق وتفرق. والفرق: الفرقان والفرقة: الاسم من فارقته مفارقة وفراقاً، ومفرق الطريق: الموضع الذي يتشعّب منه طريق آخر " [4] .

ورد التقابل بين المصدرين (اجتماع) و (تفرق) في نهج البلاغة لبيان صفة الغوغاء، فقال (عليه السلام): ((هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا ضَرُّوا، وَإِذَا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا))[5].إن الاجتماع غالباً ما ما يكون لفعل الخير، إلاّ اجتماع أولئك الأوباش يكون لفعل الشر، لذا قال الإمام (إذا اجتمعوا ضرّوا)، والمراد بقوله (إذا تفرّقوا نفعوا)، أي يعود أصحاب المهن إلى العمل والكسب فينتفع الناس [6] .

وقد قابل الإمام (عليه السلام) بين المفردتين (اجتماع) و (تفرّق) وفي حالة الجمع أيضاً، إذ قال في سياق القسم: ((وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَظُنُّ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ سَيُدَالُونَ مِنْكُمْ بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ)) [7]. أراد الإمام في هذا النص، بيان ما آلت إليه الأمور بين قومه وخصومه، ولذلك عقد الإمام ذلك التقابل ليصوّر تلك الأمور التي عكست سلوك قوم الإمام وخصومه، إذ أن الإمام " رتّب كل أمر عقيب ضده ليظهر لهم المناسبة بين أفعالهم وأفعال خصومهم ... فالأول من أفعال الخصم الاجتماع والتوازر وإن كانوا على الباطل وهو التصرف

---

[1] . شرح نهج البلاغة: ٩ / ٧٦ (خ ١٤٣) .

[2] . ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٢ / ٣٢٨ ، ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٩ / ١٤٣ .

[3] . كتاب العين: (جمع) ١ / ٢٤٠ ، والصحاح: (جمع) ٣ / ١٢٠٠ ، المصباح المنير: (جمعت) ١ / ١٠٩ .

[4] . الصحاح: (فرق) ٤ / ٥٤٠ ، المصباح المنير: (فرقت) ٢ / ٤٧٠ .

[5] . شرح نهج البلاغة: ١٩ / ١٨ (حكمة ١٩٥) .

[6] . ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٤ / ٣٥٧ .

[7] . شرح نهج البلاغة: ١ / ٣٣٢ (خ ٢٥) .

غير الحق في البلاد، والأول من أفعالهم ما يضاد ذلك، وهو تفرقهم عن حقهم أي تصرفهم المستحق لهم بإذن ولي الأمر " [١]. يُلحظ أن الإمام (عليه السلام) لم يقابل بين صيغتين من وزن صرفي واحد، وإنما اختار الوزن (افتعال) ليقابل به الوزن (تفعُّل)، ليضيف إلى البُعد الدلالي (المعجمي) لصيغة (تفعُّل)بُعداً دلالياً آخر، وذلك البُعد الآخر دلالة الصيغة الصرفية، لأن ما يدل عليه الوزن (تفعُّل)صرفياً هو الدلالة على (التفرّق) [٢]، أي أن كلمة (تفرّق)في نص الإمام تدل معنىً وصرفاً على ذلك المعنى، وهذا ما يجعلها أكثر تعبيراً عن المراد .

٥ . طوعاً × كرهاً :

جاء في كتاب العين في مادة (طوع) "طاع يطوع طوعاً فهو طائع. والطوع: نقيض الكره، وتقول:لتفعلنه طوعاً أو كرهاً،خائفاً أو كارهاً، وطاع له: إذا انقاد له. وإذ مضى في أمرك فقد أطاعك، وإذ وافقك فقد أطاعك. والطاعة: الانقياد " (٣). وقال الخليل عن الكره: " يقال:فعلته على كره، وفعلته كرهاً، والكره: المكروه. ويقال امرأة مستكرهة: غصبت نفسها فأكرهت على ذلك. وأكرهته: حملته على أمرٍ وهو كاره " (٤). وقال العسكري عن الطاعة: " هو الفعل الواقع على حسب ما أراده المريد متى كان المريد أعلى رتبة ممن يفعل ذلك وتكون للخالق والمخلوق " (٥) .

ورد المصدران (طوعاً) و (كرهاً) متقابلين في خطبة الإمام (عليه السلام) التي يمجّد بها الله تعالى، إذ قال: ((فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً)) [٦]، يُشير التقابل إلى دلالة خضوع الأشياء وانقيادها لأمر الله، فدلالة (طوعاً وكرهاً) كناية عن قطعيّة السجود، لا لبيان أن بعض الأشياء تسجد كُرهاً [٧] .

وقد جيء بالمصدرين (طوعاً) و (كرهاً) في حديث الإمام عن فضل النبوّة، إذ قال في بيان فضله بالنبوة على معاوية: ((وَفِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ الَّتِي أَذْلَلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ، وَبَعَشْنَا بِهَا الذَّلِيلَ وَلَمَّا

---

[١] . شرح نهج البلاغة: (الكبير): ٢ / ٢٠ .

[٢] . ينظر: خطب نهج البلاغة – بحث في الدلالة (أحمد هادي زيدان)، (رسالة ماجستير)، كلية التربية / جامعة بابل، ٢٠٠٦ م: ١٢٣ .

[٣] . كتاب العين: (طوع) ٢ / ٢٠٩ .

[٤] . نفسه: (كره) ٣ / ٣٧٦ .

[٥] . الفروق: ٢١٥ .

[٦] . شرح نهج البلاغة: ١٣ / ٦٦ (خ ٢٣١) .

[٧] . ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٣ / ١٢٧ ، وفي ظلال نهج البلاغة: ٣ / ٦٢ .

أَدْخَلَ اللَّهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجاً ، وَأَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ طَوْعاً وَكَرْهاً)) [١]، أي بعضهم عن رغبة نفس وبعضهم عن خوف ورهبة. أفاد التقابل بين (طوعاً) و (كرهاً) التلويح إلى دخول معاوية إلى الإسلام وإن لم يصرّح الإمام، إلاّ أن من المعروف دخول معاوية إلى الإسلام لم يكن عند بدء الدعوة الإسلامية وإنما تأخّر إسلامه، فكان قصد الإمام الإشارة إلى فضل سبقه بالدعوة الإسلامية، ودخول معاوية إلى الإسلام كان فيما بعد إمّا رغبة أو خوفاً كحال الكثير ممن دخل الإسلام .

٦ . العلو × الدّنو :

قالالجوهري في صحاحه تحت مادة (علا): " علا في المكان يعلو علواً، وعلا الشيء علوّاً: ارتفع فهو عالٍ، وأعليته رفعته. وعلا في الأرض: تكبر، وعلو الدار وعلوها: نقيض سفلها " [٢]. وقال في مادة (دنا): "دنوت منه دنواً، وأدنيت غيري. والدني: القريب " [٣] .

.

لم يقابل الإمام (عليه السلام)دلالياً بين المصدرين (العلو) و (الدنو)إلاّ في موضع واحد من نهج البلاغة، وفي حالة التعريف بـ (أل)، وذلك في بيان صفات الله سبحانه وتعالى، إذ قال(عليه السلام): ((سَبَقَ فِي الْعُلُوِّ فَلا شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ ،وَقَرُبَ فِي الدُّنُوِّ فَلا شَيْءَ أَقْرَبُ مِنْهُ)) [٤]. جاء في شرح ابن ميثم البحراني، أن الإمام (عليه السلام) أعطى المصدر الأول (العلو) ثلاثة مصاديق هي العلو الحسي المكاني، والعلو التخيلي، والعلو العقلي، ولكن ما اختاره من تلك المصاديق هو المصداق الثالث، فقال: " فبقي أن يكون علوه علواً عقلياً مطلقاً، بمعنى أنه لا رتبة فوق رتبته، بل جميع المراتب العقلية منحطّة عنه " [٥]، أما المصدر الآخر وهو (الدنو)فقد اختار له الشارح نفسه ثلاثة مصاديق أيضاً، وهي المصاديق التي ذكرت للمصدر الأول، غير أنه (الشارح)لم يختر أيّاً من المصاديق الثلاثة، وإنما ذهب إلى القول: "يُقال فلان أدنى إلى فلان وأقرب إليه إذا كان خصيصاً به مطلعاً على أحواله أكثر من غيره، والباري تعالى مُنزّه عن أن يُراد بدنوه أحد المفهومات الثلاثة الأُول " [٦]، وبيّن الشارح المقصد من التقابل بين المصدرين في هذا المحل فقال: " وإنما أورده بلفظ الدنو لتحصيل المقابلة فتنزعج النفوس السليمة عند إنكار الوهم لاجتماع

---

[١] . شرح نهج البلاغة: (كتاب ١٣) .

[٢] . الصحاح: (علا) ٦ / ٢٤٣٤ .

[٣] . نفسه: (دنا) ٦ / ٢٣٤١ .

[٤] . شرح نهج البلاغة: ٣ / ٢١٦ (خ ٤٩) .

[٥] . شرح نهج البلاغة: (الكبير): ٢ / ١٣ .

[٦] . نفسه: ٢ / ١٣٠ .

القرب والبُعد والعلو والدنو في شيء واحد إلى توهّم المقاصد بها وتطلع على عظمة الحق سبحانه منها " [١] .

٧ . السُّخط × الرِّضا :

السخط معناه الغضب، وجاء في المعاجم " سخطهُ وسخط عليه –سَخطاً وسُخطاً: كرهه وغضب عليه ولم يرضه. وأسخطه: أغضبه، والسخط: خلاف الرضا " [٢]، والرضا معناه " رضي-به وعنه وعليه رضاً، ورضاءً، ورضواناً، ومرضاةً: اختاره وقبله. واسترضيته: طلبت رضاه " [٣] .

جاء المصدران (السخط) و (الرضا) متقابلين وذلك في قول الإمام (عليه السلام): ((أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَا وَالسُّخْطُ)) [٤]، القرآن الكريم يقسم الناس على أساس التقوى والعمل والعمل الصالح، وهذا ما أشار إليه الإمام بقوله فجعل الناس فريقين فريقاًفي الجنة، وفريقاً في السعير، والأول هم العاملون بالخير ومن رضا عنه وعنهم. والفريق الثاني هم الساخطون على الخير وأهله، فقد جمع الرضا بين أولئك في جنة الخُلد، وجمع السخط بين هؤلاء في عذاب الحريق [٥] .

ثالثاً : التقابل الدلالي بين الأفعال

يُراد بـ (التقابل بين الأفعال) التقابل الذي يكون طرفاه فعلين، إذ قد يكون أحد الفعلين لمتقابلين ضداً للآخر أو مخالفاً أو نقيضاً له في المعنى، ويختلف الفعلان المتقابلان دلالياً تبعاً لاختلاف ما يدلان عليه من زمان .

---

[١] . نفسه: ٢ / ١٣١ .

[٢] . أساس البلاغة: (سخط) ٢٠٥ ، ومجمع البحرين: ٢ / ١٥ ، والمعجم الوسيط: (سخط)١ / ٤٢٣ .

[٣] . أساس البلاغة: (رضو) ١٦٦ ، ومجمع البحرين:٢ / ٨٩ ، والمعجم الوسيط: (رضو) ٣٥١/١ .

[٤] . شرح نهج البلاغة: ١٠ / ٢٦١ (خ ١٩٤) .

[٥] . ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير): ٣ / ٤٧٣ – ٤٧٤ ، وفي ظلال نهج البلاغة: ٣ / ٢١٥ .

وقد عُني اللغويون بأبنية الفعل، وذلك لأن أبنية الفعل وأبنية الاسم هما اللذان يتألف منهما الكلام المشتق، وجاء في قول ابن القوطية: " اعلم أن الأفعال أصول مباني الكلام ولذلك سمّتها العلماء الأبنية، وهي حركات مقتضيات والأسماء غير الجامدة والنعوت كلّها منها مشتقات وهي أقدم منها بالزمان وإن كانت الأسماء أقدم بالترتيب في قول الكوفيين. والبصريون يقولون بقدم الأسماء وأن الأفعال مشتقة منها " [١]. والفعل باعتبار حروفه الأصلية [٢]، يكون على ثلاثة أنواع، هي:

أ. الفعل الطبيعي: وهو الفعل المجرد .
ب. الفعل العارضي: وهو ما يفيد معنىً عند الزيادة على حروفه الأصلية .
ج. الفعل الضمني: وهو الذي يظهر معناه من خلال علاقته بالزمان [٣] .

أما الأفعال من حيث البنية، فإنها تقسم على أنواع، فقد تكون الأفعال على البناء (فَعَلَ)، أو قد تكون على البناء (يَفعل)، أو على زنة البناء (أفعلْ) [٤]، وأما من حيث الدلالة، فيمكن تقسيمها على [٥]:

١ : التقابل الدلالي بين الأفعال الدالة على الحركة

ويراد بتقابل (الأفعال الدالة على الحركة) ذلك النوع من الأفعال التي يدل أحدها على حركة من نوع ما، وباتجاه معين، ويدل الآخر على حركة مغايرة أو مضادة للحركة الأولى، وباتجاه يعاكس الاتجاه الأول، ومن الأفعال التي جاءت على هذه الحال، ووردت في نهج البلاغة:

أ . التقابل الدلالي بين أفعال السير

١ - أقبل × أدبر :

---

(١) . كتاب الأفعال (لابن القوطية)، أشراف علي راتب، تح: علي فودة، ط ١ ، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية – ١٩٥٢ م: ١ ، وينظر: كتاب الأفعال (لأبي القاسم علي بن جعفر السعدي)، ط ١، عالم الكتب، بيروت – ١٩٨٣ م: ١ / ٨ – ٩ .

(٢) . ينظر: شذا العرف في فن الصرف: ١٨ .

(٣) . ينظر: الأزمنة في اللغة (فريد الدين آيدن)، دار العبر للطباعة والنشر، اسطنبول–١٩٩٧ م: ٧ .

(٤) . ينظر: شرح المفصل (موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش)، عالم الكتب، مكتبة المتنبي، القاهرة – د . ت: ٢ – ٣ ، وشرح شافية ابن الحاجب: ١ / ٧٠ ، الفعل زمانه وأبنيته (د . إبراهيم السامرائي)،ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت – ١٩٨٠ م: ٢١ ، وإسناد الفعل دراسة في النحو العربي (رسمية محمد المياح)، (رسالة ماجستير)، آداب / جامعة بغداد – ١٩٦٥ م: ١٣ .

(٥) . ينظر: علم الدلالة العربي (فايز الداية)، ط ١، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق – ١٩٨٥ م: ٢٠ .

قال صاحب الصحاح: "القُبل والقِبَل: نقيض الدُّبر والدِّبر، ويقال من أين قبلتك، أي من أين جهتك.وقَبِلَ –قَبْلاً : أتى، وأقبل: قَدِم " [1]. والدُّبر: من دَبُرَ الشيء: ذهب به، والدبْرة: الهزيمة في القتال. والدِّبْرُ: الظهر، والدِّبر: خلاف القِبَل " [2] .

وقد ورد التقابل بين الفعلين (أقبل) و (أدبر) في نهج البلاغة على صيغة الزمن الماضي (فَعَل)، ليعبّر بها الإمام (عليه السلام) عن زوال دولة قوم من الناس، إذ قال:((وَلَئِنْ قَلَّ الْحَقُّ فَلَرُبَّمَا وَلَعَلَّ ؛ وَكَمَّا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ))[3]، وأراد الإمام (عليه السلام) من مقابلة (أقبل) و (أدبر) هو استبعاد أن يعود الحق إلى نصابه كما كان، فإن الشيء إذا أدبر كان بسبب ذهاب مقوماته، ومع ذهاب المقومات لا يعود كما كان، وهذه إشارة إلى ما وقع فعلاً من عدم رجوع الناس إلى سنّة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) [4]، وسياق الكلام يدل على أن المراد بالشيء هو الدولة وليس المراد منه الحق [5] . وقال الإمام (عليه السلام) في موضع آخر: ((إِنَّ الْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ)) [6]، أي إذا أقبلت الفتنة تشبّهت بالحق فيغرُّ بها مَنْ قلّت معرفته، وبعد إدبارها يتنبّه إلى واقع الخطأ فيرى الحق من الباطل [7] . لذا فإن مدلول الفعلين يدل على حركة متقابلة في الطرد والعكس ، إذ إن الإقبال هو القدوم، وعلى العكس منه هو الإدبار، وهو المضي بالاتجاه المعاكس في نقطة

معينة، وأما دلالة الفعلين الزمانية، فقد أشارت إلى الزمن العام، لأن تعاقب الدول، وحدوث الفتن، حدث في الزمن السحيق، ويحدث في المستقبل البعيد [8] .

٢ ـ خلف × سلف :

---

(١) . الصحاح: (قبل) ٥ / ١٧٩٥، وينظر: أساس البلاغة: (قبل) ٣٥٣ ، والمعجم الوسيط: (قبل) ٢ / ٧١٨ – ٧١٩ .

(٢) . الصحاح: (دبر) ٢ / ٦٥٣ ، وينظر: المعجم الوسيط: (دبر) ١ / ٢٦٩ .

(٣) . شرح نهج البلاغة: ١ / ٢٧٢ (خ ١٦) .

(٤) . ينظر: توضيح نهج البلاغة: ١ / ١٠٣ .

(٥) . ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ١ / ١٣٧ .

(٦) . ينظر:شرح نهج البلاغة: ٧ / ٤٤ (خ ٩٢) .

(٧) . ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير): ٢ / ٣٩١ ، وتوضيح نهج البلاغة: ٢ / ٩٧ .

(٨) . ينظر: الزمن في القرآن الكريم (د . بكري عبد الكريم)، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط ٢، القاهرة، ١٩٩٩م: ٩٦ .

الخلف أصله في اللغة" الخَلَفُ والخَلْف: ما جاء من بعد، يُقال: خلف صدق من أبيه، إذا قام مقامه.والخَلَف: الولد الصالح [١]. والسلف: جمع سالفٍ وهو: "سَلَفَ يسلفُ سَلفاً: مضى وانقضى. والسالف: كل من تقدّمك من آبائك وذي قرابتك في السن أو الفضل " [٢].

وجاء التقابل بين الفعلين (خلف) و (سلف) في النهج على صيغة (فَعَلَ) الثلاثية لماضية، وتدل غالباً تلك الأفعال التي ترد على ذلك البناء على العمل والحركة [٣]، وورد التقابل في خطبة الإمام التي يذكر فيها صفة خلق آدم (عليه السلام)، إذ قال (عليه السلام): ((عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ ،وَمَضَتِ الدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الآبَاءُ،وَخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ))[٤]. إنّ الفعلين (خلف) و (سلف)دلا على حركة تعاقبية، أي يذهب هذا و يجيء هذا، أما زمن الفعلين، فقد دلاّ على الزمن الماضي، وذلك لأن حديثه (عليه السلام) في معرض إخبار فيما مضى .

٣ - دخل × خرج :

"دخلَ دخولاً . ودخل المكان ونحوه، وفيه: صار داخله "[٥]. والدَّخل خلاف الخرج[٦].

والخروج هو " خَرَجَ خروجاً: برز من مقرّه " [٧]. وقد قابل الإمام (عليه السلام) بين فعلي (الدخول) و (الخروج) بصيغة الفعل الماضي الثلاثي المجرد(فَعَلَ)،وقد وردا بدلالة التأكيد وذلك لورودهما مع سياق القسم بالباري عزّ وجل، ودلالة الدخول والخروج التي أوردها الإمام كانت مجازية، إذ قال: ((فَوَاللَّهِ مَا أُبَالِي دَخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ)) [٨]، فقد شبّه الإمام الموت بـ(أسد) يدخل إليه الإنسان تارة فيفترسه، ويخرج هو إلى الإنسان تارة فيقتله [٩]. وقد أفاد التقابل بين (دخل) و (خرج) صدق دعوة الإمام إلى الموت، ومما يؤكد ذلك هو حركة الولوج إلى الموت، تقابلها في الطرف الآخر – خرج – حركة خروج وظهور الموت المتمثلة

---

(١) . الصحاح: (خلف) ٤ / ١٣٥٦، وينظر: المصباح المنير: (خلف) ١٧٩/١، المعجم الوسيط: (خلف) ١ / ٢٥١ .

(٢) . الصحاح: (سلف) ٤ / ١٣٧٦، وينظر: المعجم الوسيط: (سلف) ١ / ٤٤٦ .

(٣) . الفعل في نهج البلاغة دراسة صرفية (جبار هليل زغير الزيدي)، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب / جامعة القادسية – ٢٠٠٥ م: ٣٧ .

(٤) . شرح نهج البلاغة: ١ / ٢٧٢ (خ ١) .

(٥) . الصحاح: (دخل) ٤ / ١٦٩٦ ، وينظر: المصباح المنير: (داخل) ١ / ١٩٠ .

(٦) . نفسه .

(٧) . الصحاح: (خرج) ١ / ٣١٠ ، وينظر: المعجم الوسيط:(خرج) ١ / ٢٢٣ .

(٨) . شرح نهج البلاغة: ٤ / ١٢ (خ ٥٤) .

(٩) . ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير): ٢ / ١٤٥ ، وتوضيح نهج البلاغة: ١ / ٢٣٢ .

بحركة حيوان مفترس، إذ إن سير الإمام وإقدامه باتجاه الموت، وسير الموت باتجاه الإمام كان هو المقصد من وراء التقابل .

٤ - ترد × تصدر :

" وَرَدَ – يَرِدُ، ووُروداً: حضر، ووَرَدَ فلان على المكان: أشرف عليه " [١]. أما الفعل تصدر فهو " صَدَرَ الأمر –صَدْراً وصدُوراً: وَقَع وتقدَر، وصدر عن المكان صَدْراً وصَدَراً: رجع وانصرف " [٢] .

قابل الإمام بين الفعلين (ترد) و (تصدر) اللذين على صيغة (يفعل) ذات الدلالة الحالية، فقال (عليه السلام)مخاطباً أصحابه الذين أسلموا مدنهم إلى جيوش معاوية:((وَكَانَتْ أُمُورُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ، وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ، وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ))[٣] ، أي كانت الأحكام الشرعية ترد إليكم منّي ومن تعليمي إياكم، ثم تصدر عنكم إلى من تعلّمونه إياها، ثم ترجع إليكم بأن يتعلمها بنوكم وإخوتكم من هؤلاء المتعلمين [٤]. وعلى الرغم من أن الفعلين على صيغة (يفعل) الحالية، إلاّ أن الإمام قصد من المقابلة الزمن الماضي ولاسيما الماضي القريب [٥]. وورود (كان) مع الفعل المضارع (يردُ) ثم العطف على الفعل المضارع المعاكس (تصدر)، يعطي دلالة وقوع حدث في زمن قريب من الحاضر. إذن فدلالة الفعلين دلالة حركية عكسية وصيغتهما تدل على الماضي المتصل بالحاضر، والدليل على ذلك هو أن الإمام (عليه السلام) خاطبهم وهو خليفتهم، ولم تزل الأحكام تصدر عنه، والوقائع قد حدثت في زمن خلافته .

٥ - يهبط × يعرج :

الهبوط في اللغة هو النزول، إذ قال الجوهري: " هبط هبوطاً: نزل، وهبطه هبطاً، أي أنزله " [٦]، أما العروج فهو من "عرج في الدرجة والسلم يعرج عروجاً، إذا ارتقى "[١]. وذكر وذكر الأصفهاني في معنى الهبوط ما نصّه: " نزول يعقبه إقامة " [٢].

---

(١) . الصحاح: (ورد) ٢ / ٥٥٠ ، وينظر: المصباح المنير: (ورد) ٢ / ٦٥٤ ، المعجم الوسيط: (ورد) ٢ / ١٠٣٥ .

(٢) . نفسه: (صدر) ٢ / ٧١١ ، وينظر:المصباح المنير: (صدر) ١ / ٣٣٥ ، المعجم الوسيط: (صدر) ١ / ٥١١ .

(٣) . شرح نهج البلاغة: ٧ / ١٧٦ (خ ١٠٥) .

(٤) . ينظر: صفوة شروح نهج البلاغة: ٢٦٣ .

(٥) . ينظر: الكشّاف: ١ / ٢٩١ ، والزمن في القرآن الكريم: ١٥٣ .

(٦) . الصحاح: (هبط) ٣ / ١١٦٩ .

وجاء التقابل أيضاً بين فعلي المضارعة (يهبط) و (يعرج)المتقابلين ليدلاّ على (الماضي)، وذلك في سياق ذكر أخبار قبض روح نبي الرحمة الرسول الكريم(ﷺ) إذ قال (عليه السلام): ((فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالأَفْنِيَةُ: مَلاَئِكَةٌ يَهْبِطُ وَمَلاَئِكَةٌ يَعْرُجُ)) [٣]. فالفعلان (يهبط) و (يعرج) يحملان دلالة الماضي على الرغم من أنهما يفيدان الحال [٤]، وقد أفاد التقابل بينهما بلفظ المضارع، تصوير عملية حركة سير الملائكة العمودية –هبوطاً وعروجاً– لفظاعة الأمر، ولأن التعبير بالمضارع أبلغ أثراً في نقل صورة سير حركة الملائكة من الأعلى إلى الأسفل، ومن ثم المسير بالاتجاه المعاكس من الأسفل إلى الأعلى .

٦ - أمضوا × قفوا :

المضيّ في اللغة هو " مضى الشيء مضيّاً: خلا وذهب، ومضى على الأمر وفيه: نفذ. ومضى فلان سبيله وبسبيله: مات " [٥]. والوقوف هو " وقفَ الشيء – وقوفاً: قام من جلوس. ووقف: سكن بعد المشي " [٦] .

وقد جاء التقابل بين الفعلين (أمضوا) و (وقفوا) اللذين على صيغة (أفعل) الدالة على الطلب، بصيغة الجمع، في بيان من هو أجدر بالخلافة بعد رسول الله ﷺ (عليه السلام) ، فقال (عليه السلام):((وَلاَ يَحْمِلُ هَذَا الْعَلَمَ إِلاَّ أَهْلُ الْبَصَرِ وَالصَّبَرِ وَالْعِلْمِ بِمَوَاقِعِ الْحَقِّ، فَامْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ، وَقِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ)) [٧]. إن مدلول أحد الفعلين (أمضوا) يدل على السّير، ومدلول الفعل المقابل (قفوا) يدل على السكون وعدم الحركة، وقد جسّد لنا الإمام (عليه السلام) الحالة الحسّيّة، المتمثلة في حالة الحركة والسكون، قاصداً الحالة المعنوية، وهي الأخذ بالأحكام الشرعية، ولمّا كان تنفيذ الأحكام هو أفعال يؤديها المسلم، فقد عبّر عنها الإمام بالمضي والوقوف. أمّا زمن

---

(١) . نفسه: (عرج) ١ / ٣٢٨ .

(٢) . الفروق اللغوية: ٢٩٣ .

(٣) . شرح نهج البلاغة: ١٠ / ١٧٩ (خ ١٩٠) .

(٤) . الزمن في القرآن الكريم: ١٠٣ .

(٥) . الصحاح: (مضى) ٦ / ٢٤٩٣ ، وينظر: المصباح المنير: (مضى) ٥٧٥/٢ ، والمعجم الوسيط: (مضى) ٢ / ٨٨١ .

(٦) . الصحاح:(وقف) ٤ / ١٤٤٠ ، وينظر:المصباح المنير: (وقفت) ٦٦٩/٢ ، المعجم الوسيط: (وقف) ٢ / ١٠٦٣ .

(٧) . شرح نهج البلاغة: ٩ / ٣٣٠ (خ ١٧٤) .

الصيغة، فقد دلّت على الزمن العام [١]؛ لأنّ الأخذ بالأحكام – الأمر والنهي – هو حالة استمرارية دائمية على المسلمين إلى يوم القيامة .

ب . التقابل الدلالي بين الأفعال الدالة على الخفاء والتجلّي

١ - درس × ظهر :

قال الجوهري: "درس الرسم يدرس درساً ودروساً: عفا وذهب أثرُه " [٢]، وأما ظهر، فهو " ظهر الشيء ظهوراً: تبيّن وبرز بعد الخفاء " [٣]. وقد قابل الإمام في نهجه بين الفعلين (درس) و (ظهر) بصيغة (فَعَلَ) الثلاثية المجردة الدالة على الماضي، فقال في بيان تذكير الناس بنعمة الله عليهم ببعثه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((وَالدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ، ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ عَلَى حِينِ اصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا، وَإِيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا، وَاغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا، قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الْهُدَى، وَظَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَى))[٤]، فقد أفاد التقابل بين (درس) و(ظهر)، بيان حال الناس قبل البعثة المحمدية، فقد انتفت في تلك المرحلة أدلّة الحق، وغلبت أدلّة الباطل، وظهرت أئمة الضلال الموجبة بهم إلى التهلكة [٥]. وقد دلّ الفعلان على الزمن الماضي القريب من الحال،حال كلام الأمام [٦] .

٢ – خوى × طلع :

---

[١] . ينظر: الزمن في القرآن الكريم: ١٣٢ .

[٢] . الصحاح: (درس) ٣ / ٩٢٧ ، وينظر:أساس البلاغة: (درس) ١٢٨ .

[٣] . الصحاح: (ظهر) ٢ / ٧٣٠ ، وينظر:المصباح المنير: (ظهر) ٣٨٧/٢ .

[٤] . شرح نهج البلاغة: ٦ / ٣٨٧ (خ ٨٨) .

[٥] . ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٦ / ٢٦٤ ، وبهج الصباغة في شرح نهج البلاغة (محمد تقي الشوشتري)، دار أمير الكبير للنشر، ط ١ ، طهران– ١٣٧٦ هـ: ٢ / ١٧٨ .

[٦] . الزمن في القرآن الكريم: ٣٢١ ، والأزمنة في اللغة العربية: ١٠ .

يُقال: " خوت النجوم تخوى خيا: أمحلت، وذلك إذا سقطت ولم تمطر في نوئها . ويقال: خوت النجوم، إذا مالت للمغيب " [١]، أما الفعل طلع: " طلع، وطلعت الشمس والكوكب – طلوعاً: بدا وظهر " [٢] .

جاء التقابل بين الفعلين (خوى) و (طلع) في النهج دالين على البناء (فَعَل)،وذلك لبيان حالة تعاقب وامتداد أئمة آل محمد (عليهم السلام)، وهم الاثنى عشر من أهل البيت، في قوله: ((أَلا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ، إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ))[٣]. شبّه الإمام (عليه السلام) أئمة آل البيت (عليهم السلام)بالنجوم كلّما اختفى نجم ظهر وتجلّى نجم آخر، وإن ظاهرة الاختفاء والتجلّي في الحركة التعاقبية للأئمة، تؤكد عدم خلو الزمان من إمام قائم يُهتدى به في سبيل الله، وهذا ما قصده الإمام من وراء التقابل . وتدل صيغة البناء (فَعَل) في هذا الموضع على الاستقبال البعيد [٤]، لأنّ التقابل ورد في سياق إخبار عن المستقبل .

٣ - شهد × غاب :

وردت (شهد) في المعاجم بمعنى " شَهِد – شهادةً:أخبر خبراً قاطعاً، وشَهِدَ بالله: حلفَ، وشَهِدَ المجلس: حضره، وشَهِدَ الحادث: عاينه " [٥]، وقال الراغب: " شَهِدَ: هو الحضور مع الشاهدة إما بالبصر أو بالبصيرة، ويقال للمحضر، مشهد " [٦]. أما الفعل غاب فهو: غاب – غيباً، وغيبةً وغيبوبة، وغياباً: خلاف شَهِدَ وحَضَر، ويقال فلان حسن المَحْضَر والمَغيب. وغابت الشمس وغيرها: غرُبَت واستترت عن العين. ويقال: غاب عنه الأمرُ، خَفي [٧] .

ورد الفعلان (شَهِدَ) و (غاب) في نهج البلاغة متقابلين في مواضع عديدة، منها ما جاء في ظلم بني أميّة، فقال (عليه السلام) في كيفية النصرة: ((وَحَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ

---

[١] . الصحاح:(خوى) ٦ / ٢٣٣ ، وينظر: أساس البلاغة:(خوى) ١٢٣ ، ولسان العرب : (خوى)٥ / ٢٤٥ .

[٢] . نفسه: (طلع) ٣ / ١٢٥٣ ، وينظر: المعجم الوسيط:(طلع) ٢ / ٥٦٨ .

[٣] . شرح نهج البلاغة: ٧ / ٨٤ (خ ٩٩) .

[٤] . ينظر: الكشّاف: ٤ / ٥١ ، والزمن في القرآن الكريم: ٢٧ .

[٥] . الصحاح: (شهد) ٢ / ٤٩٤ ، وينظر: المصباح المنير: (الشهد) ١ / ٣٢٥ ، المعجم الوسيط: (شهد) ١ / ٤٩٩ .

[٦] . المفردات: ٢٦٨ .

[٧] . ينظر: أساس البلاغة:(غاب) ٣٣١ ، والمعجم الوسيط:(غاب) ٢ / ٦٧٣ .

أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ، إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ، وَإِذَا غَابَ اغْتَابَهُ))[1]، وهذا بيان لحال العبد الذي لا يتمكن من الانتصار، فإذا حضر المولى أطاعه –خوفاً – وإذا غاب المولى، اغتابه وشكا مظالمه[2] .

وفي موضع آخر قابل الإمام بين الفعلين (شَهِدَ) و(غاب) في سياق الزّهد في الدنيا، إذ قال : ((وَذَلِكَ زَمَانٌ لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ نُؤْمَةٍ، إِنْ شَهِدَ لَمْ يُعْرَفْ، وَإِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ))[3].

أفاد تقابل (شهد) و (غاب) بيان حال المؤمن النّومة، الذي يكون خامل الذكر قليل الشّر، وقيل هو الضعيف [4]، وذلك كناية عن عدم مشاركة الأشرار، فمثله مثل الإنسان النائم الذي لا يشارك الناس أعمالهم، إن حضر في مجتمع الناس لا يعرف لعدم اختلاطه بهم، وإن غاب لم يسأل عن أحواله لعدم صداقتهم إيّاه [5]. ويلحظ أن الإمام أشار بذلك الحال (المؤمن النومة النومة) إلى كل مؤمن من الأخيار عند غلبت الأشرار في ذلك الزمن الذي قصده، وهو آخر الزمان، وهذا يمنح الفعلين المتقابلين دلالة الزمن العام. إذن نستدل من (شهد × غاب) في الموضعين هما تقابل حركي يتحقق تقابلهم في حالة ظهور أحد الفعلين واختفاء وعدم تحقيق الحضور أو الظهور للفعل الآخر .

وبما أن تقابل الفعلين (شهد) و (غاب)يمكن أن يكون حكماً عاماً يحدث في كل زمن، إذن تكون دلالة الزمن للفعلين الذين على بناء (فَعَلَ) دلالة على الزمن العام، أفادت عموم الزمن واستمراره [6] .

ت . التقابل الدلالي بين الأفعال الدالة على حركة تبادلية

ومن الأفعال ما يدل على حركة تبادلية مثل: الأخذ والعطاء. وقد وردت تلك الأفعال في نهج الإمام (عليه السلام)، لتدل على نِعم وعطايا الخالق للخلق، فجاءت تلك الأفعال مُسندة للباري عزّ وجل .

أخذ × أعطى :

قال الجوهري: " أخذت الشيء آخذه أخذاً: تناولته.وأخذ الشيء يأخذه أخذاً، وتَأخذاً ومأخذاً: حازه وحصله، وأخذ الشيء:قَبِلَه " [7].وقال أيضاً عن أعطى: " عطا:أعطاه مالاً

---

(١) . شرح نهج البلاغة: ٧ / ٧٨ (خ ٩٧) .

(٢) . ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير): ٢ / ٤١٠ ، وتوضيح نهج البلاغة: ٢ / ١١٩ .

(٣) . شرح نهج البلاغة: ٧ / ١٠٩ – ١١٠ (خ ١٠٢) .

(٤) . ينظر:شرح نهج البلاغة: ٧ / ١١٢ ، شرح نهج البلاغة (الكبير): ٣ / ٢٠ .

(٥) . ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٢ / ٢ .

(٦) . ينظر: الكشّاف: ٤ / ٥١ ، والزمن في القرآن الكريم: ٢٧١ .

(٧) . الصحاح: (أخذ) ٢ / ٥٥٩ ، والمعجم الوسيط: (أخذ) ١ / ٨ .

يعطيه إعطاء، والاسم العطاء، والعطية الشيء المُعطى، والجمع عطايا. وعطوت الشيء: تناولته باليد " [1] .

ورد التقابل بين الفعلين (أخذ) و (أعطى) في نهج البلاغة في سياق الوعظ والزّهد والتذكير، فقال (عليه السلام): ((نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَأَعْطَى، وَعَلَى مَا أَبْلَى وَابْتَلَى))[2]. وقال (عليه السلام) في موضع آخر: ((اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَتُعْطِي وَعَلَى مَا تُعَافِي وَتَبْتَلِي))[3]، وقد عبّر الإمام (عليه السلام) عن عطايا الله سبحانه ونعمه بالفعلين (أعطى وتُعطي)، وعن حجب تلك النِّعم والعطايا بالأفعال (أخذ وتأخذ)، ولأنّ إسناد العطاء لله جلّ وعلا، فإن التقابل جاء بين الفعلين مسبوقاً بالحمد، وذلك لأن كل ما أخذه سبحانه وأعطاه يتبع مصلحة تستحقُّ الحمد [4].

إنّ مدلول الأفعال في الموضعين يدل على حركة معنوية تكون آثارها مادية، فمثلاً إعطاء الصحة للإنسان لا تمنح باليد وإنما هي نعمة من نِعم الله يمنحها للإنسان، فهي عملية إعطاء. وعند زوال الصحة ونزول السقم بالإنسان، فهي عملية إبدال وأخذ من قبل الباري عزّ وجل. ولمّا كانت عطايا الله ومآخذه لا تتحدد بزمن معين، فإن مدلول الأفعال المتقابلة الواردة على البناء (فَعَلَ ويفعل) يشير إلى الزمن العام الذي يستوعب الأزمنة الماضية والأزمنة الحاضرة والمستقبلة [5] .

إذن نستدل على أن الأفعال الحركية المتقابلة وردت في النهج على أنماط عديدة، فمنها ما هو حركي يدل على سير أفقي (أقبل) و (أدبر)، ومنها ما هو حركي يدل على سير عمودي (يهبط) و(يعرج)، ومنها ما دلّ على الحركة والسير (أمضوا)، ويقابله فعلٌ دالٌ على عدم الحركة (قفوا)، وهناك نمط آخر من الأفعال يدل على حركة الظهور والبروز (التجلّي) ويقابله الفعل الدال على عدم الظهور وهو فعل (الخفاء) ومن الأفعال التي وردت مُسندة فقط الله جلّ وعلا، أفعال ذات حركة تبادلية، وهي أفعال الأخذ والعطاء (أخذ) و(أعطى). وقد تدل تلك الأفعال الحركية على حركة حقيقية، وقد تكون دالّة على أمور معنوية ينقلها الإمام من الحالة المادية إلى الحالة المعنوية .

---

[1] . الصحاح:(عطى) ٦ / ٢٤٣٠ ، وينظر: تاج العروس: (عطو) ١٠ / ٢٤٦.

[2] . شرح نهج البلاغة: ٨ / ٢٦٨ (خ ١٣٢) .

[3] . نفسه: ٩ / ٢٢٢ (خ ١٦١) .

[4] . ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٢ / ٢٩٢ .

[5] . ينظر: التفسير الكبير (لأبي عبد الله محمد بن عمر بن حسين الرازي)، ط٢ ، دار الكتب العلمية، طهران، د . ت: ٢٤ / ١١٦ . وذكر فيه، إذ جاءت (ما + الفعل على صيغة يفعل) فإن دلالته تكون على جميع الأزمنة، لأن الفعل مُسند إلى ذاته تعالى، وينظر: الزمن في القرآن: ٣٠١ .

٢ : التقابل الدلالي بين الأفعال الدالة على الحالة الشعورية (النفسية) [١]

أ . يستأنس × يستوحش :

جاء في صحاح الجوهري " الأنس خلاف الوحشة " [٢]، وورد في لسان العرب: " أَنِسَ به وإليه – أُنساً: سكن إليه وذهبت وحشته " [٣]. أما الفعل يستوحش في المعاجم فهو من " الوحش: كل ما لا يستأنس من دواب البر، فهو وحشي ... وكل شيء يستوحش عن الناس فهو وحشي. والوحشة: الخلوة والهم " [٤].

وردت المقابلة بين الفعلين (يستأنس) و (يستوحش) في نهج الإمام في سياق وصف الله سبحانه وتعالى بالتفرّد بالوحدانية، فقال (عليه السلام): ((مُتَوَحِّدٌ؛ إِذْ لا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ، وَلا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ)) [٥] ، والاستئناس هي الحالة التي يشعر بها الإنسان حينما يكون بين أهله وأحبّائه، والوحشة هي الحالة المناقضة للحالة الأولى – الاستئناس – وهي الحالة التي تطرأ على الإنسان في حالة انفراده وابتعاد الأهل عنه. وقد كان التقابل بين فعلي الاستئناس والوحشة هو لبيان صفة من صفات الباري عزّ وجل، وهي صفة الوحدانية المطلقة.

ب . رهّب × ورغّب :

قال الجوهري: "رهب بالكسر، يرهب رهبة ورهباً بالضم، ورهباً بالتحريك ، أي خاف، فأرهبه واسترهبه إذا أخافه " [٦]، وذكر الأصفهاني في مفرداته : " الرّهبة والرهب مخافة مع تحرز واضطراب والترهب: التعبّد " [٧]، أما الرغبة في اللغة فهي " رغبتُ في الشيء، إذا أردته، رغبة ورغباً، ورغبت عن الشيء، إذا لم ترده وزهدت فيه " [٨]، وعبّر عنها الراغب قائلاً : " رغب الشيء: اتسع وحوض رغيب، وفلان رغيب الجوف وفرس رغيب العدو. والرغبة والرغب، السعة في الإرادة " [٩]. أما صاحب مجمع البحرين فقال: " رغب في الشيء يرغب رغبة: إذا حرص عليه وطمع فيه. والرغبة هي السؤال والطلب " [١٠].

---

[١] . ينظر: الفصل الأول : تقابل الألفاظ النفسية .

[٢] . الصحاح: (أنس) ٣ / ٩٠٦ ، وينظر: الفروق: ٢٦٩ ، ومجمع البحرين: ١ / ١٢٢ .

[٣] . لسان العرب: (أنس) ٦ /١٠-١٥ .

[٤] . كتاب العين: (وحش) ٣ / ٢٦٢ ، وينظر: الصحاح:(وحش) ٣ / ١٠٢٥ ،لسان العرب: (وحش) ٦ / ٢٦٨ .

[٥] . شرح نهج البلاغة: ١ / ٧٨ (خ ١) .

[٦] . الصحاح: (رهب) ١ / ١٣٧، وينظر: لسان العرب:(رهب) ١٠ / ٤٣٨ ، مجمع البحرين: ٢ / ٢٣١.

[٧] . المفردات: ٢٠٤ .

[٨] . الصحاح: ١ / ١٤٠ وينظر: لسان العرب:(رغب) ١٠ / ٤٢٢.

[٩] . المفردات: ١٩٩ .

[١٠] . مجمع البحرين:٢ / ١٩٧ .

قابل الإمام (عليه السلام) بين الفعلين (رهَّب) و (رغَّب) الثلاثيّين المضعفين في قوله (عليه السلام): ((رَهَّبَ فَأَبْلَغَ وَرَغَّبَ فَأَسْبَغَ، وَوَصَفَ لَكُمُ الدُّنْيَا وَانْقِطَاعَهَا))[1]، أي خوّف المكلفين فأبلغ في التخويف، وأحاط سبحانه بجميع وجوه الترغيب [2]. وقد أورد الإمام التقابل بالفعل المضعّف، لما ذكره الله سبحانه وتعالى من كثرة وتعدد وجوه الترغيب، وما ينتظر الإنسان المؤمن من نعيم، ويقابلها في الطرف الآخر كثرة وجوه الترهيب من العذاب وما ينتظر الإنسان المذنب العاصي من نقمة وعذاب .

ت . يفرح × يحزن :

الفرح في اللغة " فَرِحَ – فرحاً: رضى، وأفرحهُ: سرَّه. والفرحةُ: المسرّة والبُشرى "[3]. والحزن هو" حَزَنَ الأمرُ فلاناً – حُزْناً: غمّه، وحزن المكانُ – حَزَنا:خَشُنَ وغَلُظ. والحزن خلاف السرور " [4]. وقال صاحب الفروق عن الحزن هو " تكاثف الغم وغلظه مأخوذة من الأرض الحزن ... " [5] .

جاء التقابل بين الفعلين (يفرح) و (يحزن) في نهج الإمام على صيغة (يفعل) وهما فعلان ثلاثيان تدل صيغتهما على الصفات الملازمة كالجمال أو العلل والأعراض نحو حزن وفرح [6]، وقد عبر بهما الإمام عن فرح الدنيا وحزنها، فقال:((أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَفْرَحُ بِالشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ، وَيَحْزَنُ عَلَى الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ))[7]، أي لا ينبغي الحزن على أمور الدنيا لفواتها، ولا الفرح لمجيئها، وإنّما الفرح والحزن لإصابة الآخرة أو فوتها، لأن الفائت لا يعود بالحزن، والآتي لا يستدام بالفرح ، والذي ينفعك بالآخرة ويبقى ببقاء الله هو الأثر الطيّب [8].

٣ : التقابل الدلالي بين الأفعال الدالة على الزمان

يمسون × يصبحون :

---

(١٠) . مجمع البحرين: ٢ / ١٩٧ ، وينظر: المعجم الوسيط:(رغب) ١ / ٣٥٧ .

(١) . شرح نهج البلاغة: ٩ / ٢٣٨ (خ ١٦٢) .

(٢) . ينظر: شرح نهج البلاغة: ٩ / ٢٣٨ .

(٣) . أساس البلاغة: (فرح) ٣٣٧ ، وينظر: لسان العرب:(فرح) ٢ / ٥٤١ ، المصباح المنير: (فرح) ٤٦٦/٢

(٤) . الصحاح: (حزن) ٥ / ٢٠٩٨ ، وينظر:لسان العرب : (حزن) ١٣ / ١١١.

(٥) . الفروق: ٢٦٢ .

(٦) . ينظر: الأفعال (لابن القوطية): ٨ ، وينظر: الأبنية الصرفية في ديوان امرئ: ٣٩٧ ، والفعل في نهج البلاغة: ٨٠ .

(٧) . شرح نهج البلاغة: ١٨ / ٢٨ (كتاب ٦٦) .

(٨) . ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٤ / ٢٣٣ ، وفي ظلال نهج البلاغة: ٣ / ٤٣٨ .

قال الخليل: " المسي من المساء، كالصبح من الصباح. والمساء: بعد الظهر إلى صلاة المغرب. وقال بعضهم: إلى نصف الليل " [١]. أما الصبح " الصبحُ بالضم الفجر، والصبح والصباح هما أول النهار " [٢].

قابل الإمام (عليه السلام) بين الفعلين (يمسون) و (يصبحون) في بيان وصف الدنيا، وما عليه حال الإنسان من تقلّب أحواله، فقال: ((أَوَلَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُصْبِحُونَ وَيُمْسُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى)) [٣]. أفاد التقابل بين طرفي النهار (المساء) و (الصباح)إلى التنبيه إلى تقلّب حالة الإنسان، فإن الذي يكون فيه عند المساء، لا يبقى عليه عند الصباح، ولمّا كان وقت المساء يختلف من حيث اللون والسكون وما يصحبه من ظواهر عن وقت الصباح، فجاء مناسباً ليصحب أحوال الناس المختلفة من فرد إلى آخر، وفي الشخص نفسه من وقت لآخر، وهذا الاختلاف ذو صفة استمرارية لا يثبت على حالٍ واحد، وقد منحته هذه الصفة الصيغة البنائية للفعل (يفعل) الدال على الاستمرار والتجدد .

وقابل الإمام بين الفعلين (يمسي) و(يصبح)في سياق النهي عن البِدعة، إذ قال: ((وَاعْلَمُوا – عِبَادَ اللَّهِ – أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُمْسِي وَلَا يُصْبِحُ إِلَّا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ)) [٤]، أي أن المؤمن لا يمسي ولا يصبح إلاّ وهو على حذر من نفسه، غير قاطع على صلاحها وسلامة عاقبتها [٥]، وقد أفادت صيغتهما معنى دخول المؤمن في المساء والصباح،هو دوام تفكر المؤمن في خلق الله وفي ثوابه وعقابه [٦] .

٤ : التقابل الدلالي بين الأفعال الدالة على المقادير والأحجام

وردت أفعال في نهج البلاغة تدل على مقدارٍ من الكمية، مثل (كثر) و (قلّ)، وجاءت أفعال أخرى لتدل على الأحجام، مثل (ضاق) و (اتسع)، وقد وردت تلك الأفعال لتحمل مقاصد عديدة، فمن تلك الأفعال المتقابلة:

أ . كثّر × قلّل :

---

[١] . كتاب العين: (مسي) ٧ / ٣٢٣ .

[٢] . نفسه:(صبح) ٣ / ١٢٦ ، وينظر: مجمع البحرين: ٢ / ٥٧٥ .

[٣] . شرح نهج البلاغة: ٧ / ٨٠ (خ ٩٨) .

[٤] .شرح نهج البلاغة: ١٠ / ١٦ (خ ١٧٧) .

[٥] . ينظر: صفوة شروح نهج البلاغة: ٤١٤ .

[٦] . ينظر: الفعل في نهج البلاغة: ١١٢ .

يُقال: " كُثُر الشيء –كُثراً وكثرةً: خلاف قلّ فهو كثر وكثير وكُثار. وقد كثر: فهو كثير، وقوم كثير، وهم كثيرون، والكثرة: نماء العدد " [1]. أما الفعل قلّ، فيعبر به عن النادر والناقص، وورد في المعجم: " قلّ الشيء، فهو قليل، وقل الشيء –قلّةً: ندر. وقلّ: نقص. والقلّة:ضد الكثرة، وجمعها قِلَالُ " [2].

جاء الفعلان المتقابلان (كثر) و (قلّ) في نهج البلاغة على صيغة (فعّل) المضعفة العين الدالة على معنى المبالغة[3]، وذلك لبيان نوعية الرزق، فقال الإمام (عليه السلام): ((وَقَدَّرَ الأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَقَلَّلَهَا، وَقَسَّمَهَا عَلَى الضِّيقِ وَالسَّعَةِ))[4]، أي جعل سبحانه لكل نفس نفس قدراً معيناً من الرزق، فوسع على بعضها، وضيّق على أخرى. ولمّا كان ولا زال المال من أعظم الفتن، فقد اقتضت حكمته سبحانه وتعالى بتوسيع الرزق على بعض الناس، وتقليله على الآخرين، مع كثرة بتوسيع ذلك الرزق على بعض الناس، تقابلها مبالغة

بتقليل الرزق على بعض آخر، وذلك حكماً عدلاً ليبتلى بذلك أصحاب الغنى وأصحاب الفقر[5]. وعلى مقتضى تلك الحكمة، تكون دلالة الفعلين الزمانية دلالة عامة لا تحدّ بزمن معين، معين، لأن الفعلين من الأفعال المسندة إلى الله جلّ وعلا، على الرغم من إنهما قد وردا على البناء (فَعَل) .

وقد جاء التقابل بين (كثر) و (قلّ) على صيغة (فَعَل)، وقد قدّم الإمام الفعل (قلّ) على الفعل (كُثر) وذلك مما أوجبه سياق الخطاب، فقد قابل الإمام بين الفعلين لبيان حال من يكون عالماً في الظاهر، وهو جاهل في باطنه، فقال (عليه السلام): ((بَكَّرَ فَاسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعٍ، مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ))[6]، أي لا فرق بين ما قلّ أو استكثر من المعلومات وحفظ الأقوال، إذ لم يكن وسيلة إلى الوعي والتنوير، فكيف بمن استكثر من الجهالات والأساطير التي تعمي عن الحق، وتبعد عن الواقع [7].

---

[1] . كتاب العين:(كثر) ٣٤٦/٥ ، الصحاح: (كثر) ٢ / ١٠٢.

[2] .كتاب العين: (قل) ٢٥/٥ ، الصحاح: (قلل) ٥ / ١٨٠٤.

[3] . تدل الصيغة على معنى التكثير والمبالغة: ينظر: كتاب سيبويه: ٤ / ٦٤ ، والخصائص: ٢ / ١٥٦ ، وشرح المفصل: ٧ / ١٥٩ ، والفعل في نهج البلاغة: ١١٥ .

[4] . شرح نهج البلاغة: ٧ / ٢١ (خ ٩٠) .

[5] . ينظر: شرح نهج البلاغة (موسوي): ٢ / ١٠٩ .

[6] . شرح نهج البلاغة: ١ / ٢٨٣ (خ ١٧) .

[7] . ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ١ / ١٤٤ .

وفي سياق الترغيب في التقوى والحث على سلوك طريق الآخرة، قابل الإمام بين الفعلين (كُثْر) و (قلّ)، وقد قدّم الفعل (قلّ) على الفعل (كُثر) لبيان وجوه الحلال ووجه الحرام، فقد عبّر عن الكثير بالحلال، وقابله بالحرام الذي اختار له الفعل (قلَّ)، فقال (عليه السلام) آمراً بذلك: ((فَذَرُوا مَا قَلَّ لَمَا كَثُرَ)) [1]، أي اتركوا ودعوا ما قلّ من الحرام. ففي الكثير – الحلال – غنى عن القليل [2]، ولمّا جاء التقابل بين الفعلين (كُثر) و (قلّ) للأخذ وتنفيذ الأحكام الشرعية (الحلال) و (الحرام)، فإن دلالة الفعلين الزمانية تكون دلالة زمانية عامة، أي أخذ الحلال وترك الحرام في كل وقت وفي أي مكان .

ب . يزيد × ينقص :

الزيادة في اللغة: النّماء، وأصلها "زَادَ –يَزِيدُ زيداً، وزيادةً: نما وكُثر، والزّيادة: ما زاد على الشيء " [3]. أمّا النقص فقال عنه الخليل: " هو الخسران في الحظ " [4]. والنقص هو" نقص الشيء - نقصاً ونُقصاناً: خسَّ وقلَّ، والنّقص: الضعف "[5] .

وقد جاء تقابل الفعلين (يزيد) و (ينقص) على صيغة (يفعل) الدالة على الحال، في خطبة الإمام (عليه السلام) ، إذ قال في بيان قدرة الله وانفراده بالعَظَمة: ((وَلَا يَنْقُصُ سُلْطَانَكَ مَنْ عَصَاكَ، وَلَا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ))[6] . قال صاحب الشرح الكبير: " إنّه تنزيه له تعالى من أحوال ملوك الدنيا، إذ كمال سلطان أحدهم بزيادة جنوده وكثرة مُطيعه وقلّة المخالف والعاصي له، ونقصان ملكه بعكس ذلك، وهو سبب لتسلّط أعدائه عليه، فإمّا سلطانه تعالى فهو لذاته ولكمال قدرته، فهو مالك الملك ... " [7] .

---

[1] . شرح نهج البلاغة: ٧ / ٢٥٠ (خ ١١٣) .

[2] . ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٢ / ٢٢١ .

[3] . الصحاح:(زاد) ٢ / ٤٨٢ ، والمصباح المنير: (زاد) ١ / ٢٦١ .

[4] . كتاب العين:(زاد) ٥ / ٦٥ .

[5] . الصحاح: (نقص) ٣ / ١٠٥٩ ، وينظر: لسان العرب: (نقص) ٧ / ١٠٠ ، المعجم الوسيط:(نقص) ٢ / ٩٥٥ .

[6] . شرح نهج البلاغة: ٧ / ١٩٤ (خ ١٠٨) .

[7] . شرح نهج البلاغة (الكبير): ٣ / ٥٤ .

وقد قابل الإمام (عليه السلام) بين (يزيد) و (ينقص) في سياق التنبيه على أنّ منح المال في سدّ حاجة مُحتاج لا ينقص المال، وإمساكه والحرص عليه لا يزيده، فقال (عليه السلام):((أَلا لا يَعْدِلَنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ يَرَى بِهَا الْخَصَاصَةَ أَنْ يَسُدَّهَا بِالَّذِي لا يَزِيدُهُ إِنْ أَمْسَكَهُ وَلا يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ)) [1] .

ت . ضاق × اتسع :

قال الزمخشري: " ضاق المكان وتضايق وتضيّق، وضاف ضيقاً: انضمّ بعضه إلى بعض فلم يتّسع لما فيه وقصر عنه، والضيق: الفقر وسوء الحال " [2]. أما الفعل اتسع، فقال صاحب الصحاح: " وسِع الشيء يسعه سعة. والوسع والسعة: الجدة والطاقة. والتوسيع: خلاف التضييق، تقول وسّعتُ الشيء فاتسع واستوسع، أي صار واسعاً. وتوسعوا في المجلس، أي تفسّحوا، والسعة: الغنى والرفاهية " [3] .

وقد قابل الإمام بين الفعلين (ضاق) و (اتسع) اللذين على صيغة البناء (فَعَلَ) الدال على الماضي، في سياق الأمر بأخذ الواجبات – الحلال – إذ قال (عليه السلام): ((فذَرُوا مَا قَلَّ لَمَا كَثُرَ، وَمَا ضَاقَ لَمَا اتَّسَعَ))[4]، أي الذي أمرتم به من الحلال أوسع من الذي نهيتم عنه [5].

[5]. لم يقصد الإمام عند مقابلة الفعلين (ضاق) و(اتسع) الدلالة المكانية التي تُفهم من معنى اللفظتين، وإنّما أفاد تقابل الفعلين عند الإمام بيان أنّ من أخذ الحلال كان في سعةٍ، وفي هذه السعة كفاية عن الضيق .

٥ : التقابل الدلالي بين الأفعال الدالة على الأحكام الشرعية

وهي الأفعال التي تعبّر عن حكم شرعي يطلق على القضايا الفقهية، فيكون الحكم أما الأخذ بها، أو النهي عنها، فجاءت الأفعال المعبّرة عن ذلك الحكم في نهج البلاغة مُتمثلة بـ(يحلُّ) ليعبر به عن كل ما أمر الله به من الواجبات، وجاء الفعل (يحرّم) ليعبر به عن كل ما نهى الله عنه من المنكرات .

---

[1] . شرح نهج البلاغة: ١ / ٣١٢ (خ ٢٣) .

[2] . أساس البلاغة: (ضيق) ٢٧٤ ، وينظر: لسان العرب: (الضيق) ١٠ / ٢٠٨ ، والمعجم الوسيط: (ضاق) ١ / ٥٥ .

[3] . الصحاح: (وسع) ٣ / ١٢٩٨، وينظر: أساس البلاغة:(وسع) ٤٩٨ ، ولسان العرب: (وسع) ٣٩٢/٨ .

[4] . شرح نهج البلاغة: ٧ / ٢٥٠ (خ ١١٣) .

[5] . شرح نهج البلاغة (الكبير) : ٣ / ١٠٣ .

أُحلّ × حُرِّم :

معنى الفعل (أُحل) هو:أباح، ومنه أَحلّ الله البيع، أي أباحه [١]. أما الفعل (حرُمَ) فهو "حَرُم الشيء حُرماً وحُرُماً: امتنع فعله " [٢] .

قابل الإمام (عليه السلام) بين الفعلين (أُحلَّ) و (حرُم) في سياق الحث على سلوك طريق الآخرة، ببيان اتساعها بالنسبة إلى طريق الدنيا، إذ قال: ((إِنَّ الَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ الَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ ،وَمَا أُحِلَّ لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ)) [٣]. المراد بـ (الحلال) هي الأحكام التي يصدق عليها اسم الحلال، وهي (الواجب، المندوب، المُباح، المكروه)، وهي أكثر من الحرام – المحظور – وهو قسم واحد من الأحكام [٤]. ويلحظ مناسبة الفعل المتعدي (أحل) لتعدد وجوه الحلال، ولزوم الفعل المقابل له (حَرُم) لاتخاذ الحرام طريقاً واحداً، وقد دلّت صيغة الفعلين على ما مضى من الزمان، أي قد ثبت لكم الحلال من الحرام .

وقابل الإمام بين الفعلين (يستحلُّ) و (يحرم) على صيغة (يفعل)، وتكرر الفعل في الموضع نفسه على صيغة (فعل)، إذ قال في بيان ثبوت الأحكام الشرعية الدالة عن طريق النص والسنّة: ((وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ الْعَامَ مَا اسْتَحَلَّ عَاماً أَوَّلَ، وَيُحَرِّمُ الْعَامَ مَا حَرَّمَ عَاماً أَوَّلَ)) [٥].))[٥]. أشار الإمام إلى الحلال والحرام في الشريعة المحمدية، فالمؤمن إذا ثبت عنده سابقاً حلية الشيء بالكتاب والسنّة، لا يجوز أن ينقض ذلك الحكم باجتهاده ورأيه، وكذلك إذا ثبت عنده سابقاً حرمة شيء [٦]. إذن يستدل على أن التقابل بين الأفعال (يستحلُّ) و(يُحرّم) و (استحلَّ) و (حرَّم) يعني أن كل ما ثبت وجوبه أو تحريمه بنص الكتاب والسنّة ثبوتاً مطلقاً من غير تقييد بزمان ومكان،هو كذلك أبداً ودائماً، وذلك لأن سلطة التحليل والتحريم عند المسلمين لله وحده [٧] .

٦ : التقابل الدلالي بين الأفعال الدالة على المكان حقيقة ومجازا

وردت أفعال في نهج البلاغة تحمل دلالات البُعد المكاني، مثل (دنا) و (علا)، والفعل (قرب) ويقابله الفعل (بعُد) وإن كانت تلك الأفعال تشعر بحركة ما، فمثلاً

---

[١] لسان العرب: (حلل) ١٦٣/١١ ، ينظر: المصباح المنير: (حلّ) ١ / ١٣١ ، وتقابل ألفاظ العبادة .

[٢] . المصباح المنير: (حرم) ١٤٧/١ .

[٣] . شرح نهج البلاغة: ٧ / ٢٥٠ (خ ١١٣) .

[٤] . ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير): ٣ / ١٠٣ .

[٥] . شرح نهج البلاغة: ١٠ / ٣٠ (خ ١٧٧) .

[٦] . ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١٠ / ٢٢٠ .

[٧] . ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي)، مكتبة المرعشي النجفي العامة، قم – ١٤٠٦ هـ: ٢ / ١٦٦ ، وفي ظلال نهج البلاغة: ٢ / ٥٣٧ .

(دنـا) و (عـلا) تُعطـي دلالـة الحركـة العموديـة المتمثلـة بـأعلى الشـيء وأسـفله. و (قـرب) و (بعد) تمثل الحركة التي تقطع من نقطة ما، بالابتعاد عنها أو التقرّب إليها أفقياً. ومن تلك النقطة يمكن تحديد البعد المكاني، أي إذ كلّما كانت حركة السير باتجاه تلك النقطة فهو دانٍ وقريب، وكلما مضى في سيره فهو بعيد إذ سار أفقياً، وإذا مضى عارجاً فهو بعيد عالٍ، وجاءت تلك الأفعال للتعبير عن البُعد المكاني المعنوي [١]، إذ قابل الإمام بين:

أ . علا × دنا :

قال الخليل: " العلو لله سبحانه وتعالى عن كل شيء، فهو أعلى وأعظم مما يثنى عليه، والعلو خلاف السَّفل. وعلا الشيء علوّاً: ارتفع فهو عالٍ، والعلو: أصل البناء، ومنه العلاء والعلو، فالعلاء الرفعة والعظمة والتجبّر " [٢]. أما دنا فقد وردت في المعاجم بمعنى قرُب، فقال الجوهري: " الدني: القريب " [٣]، وقال الفيومي: "دنا منه ودنا إليه يدنو دنوّاً، قرُب، فهو دان، ودانيت بين الأمرين قاربت بينهما " [٤] .

أورد الإمام (عليه السلام) التقابل بين الفعلين (علا) و (دنا) في نهج البلاغة، لبيان صفات الباري عزّ وجل، فجاء التقابل في سياق الدعاء، إذ قال: **((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلا بِحَوْلِهِ وَدَنَا بِطَوْلِهِ))**[٥]، فقد أثنى الإمام على الله كونه عليا، وليس المراد به العلو المكاني، وإنما قصد أنه سبحانه العلى المطلق الذي لا أعلى منه في الوجود، وذلك كمال رتبة وشرف، والدنو والقرب في حقه ليس مكانياً أيضاً، ولكن قربه من أبصار البصائر في صور نعمه [٦]. أفاد التقابل بين الفعلين (علا – دنا) بيان صفة العلى الذي ارتفع بقدرته على كل شيء، وهو أيضاً القريب من خلقه بعطائه وإحسانه [٧]، ولأن الأفعال دالة على صفاته تعالى، فهي إذن تحمل دلالة زمانية عامة، فهو العالي والداني منذ الوجود وحتى انتهاء الوجود .

ب . قرُب × بعُد :

قال الخليل: " الاقتراب هو: الدنو، والقرب ضد البعد " [٨]، ويقال" القرب في المكان والقربة في المنزلة، وهو من قرب الشيء منا قرباً وقرابةً وقربةً قربى " [١]. أما بعُد فهو "

---

[١] . ينظر: ديوان كعب بن زهير – دراسة في الناحية الدلالية – (جاسب فالح حسن)، (رسالة ماجستير) كلية الآداب / جامعة الأزهر – ١٩٨١ م: ٢٧١ .

[٢] . كتاب العين:(علو) ٢ / ٢٤٦ ، وينظر المصباح المنير: (علو) ١ / ٤٢٧– ٤٢٨.

[٣] . الصحاح: (دنا) ٦ / ٣٤١ .

[٤] . المصباح المنير: (دنا) ١ / ٢٠١.

[٥] . شرح نهج البلاغة: (خ٨٢) ٦ / ٢٤١ .

[٦] . ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير) : ٢ / ٢٣١ .

[٧] . ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ١ / ٣٨٢ .

[٨] . كتاب العين: (قرب) ٥ / ١٥٣ .

بعُد الشيء بعداً فهو بعيد. والأبعد خلاف الأقرب، وأبعده الله: نحّاه عن الخير، ويقال في معنى آخر، البعد والبعاد من اللعن " [٢] .

ورد تقابل الفعلين (قرب) و (باعد) على صيغة (فعل) وتكرر في الموضع نفسه على صيغة (يفعل) في (يباعد) و (يقرب)، وجاء تقابل هذه الأفعال في وصية الإمام (عليه السلام) لعبد الله بن العباس عند استخلافه إيّاه على البصرة، فقال (عليه السلام): ((وَاعْلَمْ أَنَّ مَا قَرَّبَكَ مِنَ اللَّهِ يُبَاعِدُكَ مِنَ النَّارِ وَمَا بَاعَدَكَ مِنَ اللَّهِ يُقَرِّبُكَ مِنَ النَّارِ))[٣]، أي أن الأعمال الصالحة تقربك من الله وتبعدك من النار، والأعمال الطالحة إتيانها تدرك به الشقوتين، البعد عن رضا الله، والقرب من النار [٤]. وذكر صاحب بهج الصباغة، أن ما قربك هو " طاعة الله ورسوله هي التي تبعد عن النار وتُدخل الجنة، وفي عصيانه سبحانه وعصيان الرسول بعد عن الله والرسول، ودخول النار " [٥] .

٧ : التقابل الدلالي بين الأفعال الدالة على الوجود[٦]

ويُراد بـ (الأفعال الدالة على الوجود) ذلك النمط من الأفعال التي تحمل دلالة على (الحياة) و (الموت)، فهذا النمط من الأفعال وإن ائتلف في صفة (الوجود) فإنه قد اختلف في صفة أخرى، وهذه الصفة هي التي جعلت ذلك النمط من الأفعال يعد من أنواع التقابل . والأفعال التي وردت في نهج البلاغة هي:

عاش × مات :

قال الخليل: " العيش: الحياة، والمعيشة: التي يعيش بها الإنسان من المطعم والمشرب " [٧]، أما الفعل (مات) فيعبّر به عن من فارقته الحياة [٨] .

سيق التقابل بين الفعلين (عاش) و (مات) الدالين على صيغة (فَعل)، في بيان قدرة الله وانفراده بالعَظمة، فجاء تقابل الفعلين إشارة إلى كونه سبحانه وتعالى خالق العباد إلى الوجود، وإليه سبحانه رجوع الأحياء منهم والأموات، وبه قيام وجودهم حالتي الحياة والممات

---

[١] . المصباح المنير: (قربت) ٢ / ٥٠١ .

[٢] . كتاب العين:(بعد) ٢ / ٥٣ – ٥٤ ، وينظر: المصباح المنير: (بعد) ٥٣/١ .

[٣] . شرح نهج البلاغة: ١٨ / ٧٠ (وصية ٧٦) .

[٤] . ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٤ / ٢٥٣ .

[٥] . بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: ٩ / ٣١ .

[٦] . ينظر: ظاهرة التقابل في علم الدلالة : ٢٠ .

[٧] . كتاب العين: (عيش) ٢ / ١٨٩ .

[٨] . ينظر: المصباح المنير: (مات) ٥٨٣/٢ ، وتقابل ألفاظ الغيب .

[1]، فقال (عليه السلام): ((كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ . . . وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ وَمَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ وَمَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ)) [2]، وذكر في توضيح نهج البلاغة، أن المراد بذلك القول هو" من من عاش في الدنيا فعليه سبحانه رزقه حتى يموت. ومن مات فإلى الله سبحانه مُنقلبه، أي رجوعه، ومعنى إليه، أي جزاءه والمحل الذي أُعدّ له " [3] .

إذن التقابل بين الفعلين (عاش) و (مات) جاء لبيان مرحلتين من مراحل خلق الإنسان، الأولى المتمثلة بالفعل (عاش)، وهو الوقت الذي يقضيه الإنسان في الدنيا والضامن لذلك العيش، هو الله بما يعطيه ويهبه من رزق، أما الفعل (مات) وهو يدل على انقضاء مكوث الإنسان في هذه الدنيا، وهي المرحلة الثانية من خلقه، و بها العودة إلى الله كما بدأ خلقه وفيها جزاؤه، ولأجل إثبات أن الحياة والموت بيد الله سبحانه، أورد الإمام ذلك التقابل، وبما أن الحياة والموت بيده سبحانه، فإنه لا يعلم وقتهما ولا يمكن حدّهما إلاّ هو عزّ وجل، فتكون اللفظتان (عاش) (مات) من الألفاظ المطلقة الدلالة الزمنية .

وقد قابل الإمام بين (يعيشون) و (يموتون) في بيان من يتصدّى للحكم، وهو ليس من أهله وغير جدير به، وقد جاء الفعلان على صيغة (يفعل)الدالّة على الحاضر، فقال (عليه السلام): ((إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَّالاً وَيَمُوتُونَ ضُلاَّلاً))[4]، أي يعيشون في جهل بالأحكام والسنّة، ويموتون وهم غير مُهتدين إلى السبيل [5]، وقد أورد الإمام التقابل بصيغة (يفعل) للدلالة على أنهم يعيشون الآن (أي في تلك الفترة التي قصدها الإمام)، فتدل على الحاضر، وتدل على الحال، لأن حالة الضلالة سوف تستمر معهم إلى مماتهم. إذن دلالة الصيغة تكون دالة على الزمن الحاضر والحال المستمر في المستقبل [6]. ويمكن أن تدل على الزمن العام في حالة جهلهم يكون كالطبع والغريزة فيهم [7]، لأن دلالتهما تشير إلى استغراق الزمن [8]، إذ كلّما عمل الإنسان عمل يقربه من رضا الله، فقد آمن، وبعد عن النار . وهذا العمل لا يتوقف على زمن معين ولا مكان محدد، فهو يستوعب أي زمان يعمل فيه المرء العمل الصالح.

تغاير الأفعال

---

[1] . ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير): ٣ / ٥٣ .

[2] . شرح نهج البلاغة: ٧ / ١٩٤ (خ ١٠٨) .

[3] . توضيح نهج البلاغة: ٢ / ١٧٦ .

[4] . شرح نهج البلاغة: ١ / ٢٨٤ (خ ١٧) .

[5] . ينظر: توضيح نهج البلاغة: ١ / ١١٣ .

[6] . ينظر: الكشاف: ٣ / ٢٥٧ ، والزمن في القرآن: ١١٠ .

[7] . ينظر: الزمن في القرآن: ١١٤ .

[8] . ينظر: الزمن في القرآن: ٤٥ – ٤٦ .

ويُراد بـ (تغاير الأفعال) أن يكون التقابل بين الفعلين المختلفين في الصيغة، مثل صيغة (فعل) تقابل صيغة (يفعل)، أو صيغة (فعل) تقابل صيغة الفعل (أفعل) وهكذا. ومن الأفعال المتقابلة المتغايرة في الصيغ والواردة في نهج البلاغة هي:

يدخل × خرج :

قابل الإمام (عليه السلام) بين الفعلين (يدخل) و (خرج) في سياق ذم من نابذه وخالفه، فقال (عليه السلام) لمّا نكث الزبير البيعة: **((فَقَدْ أَقَرَّ بِالْبَيْعَةِ وَادَّعَى الْوَلِيجَةَ فَلْيَأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ وَإِلاَّ فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ))**[1]، قال المسلمون للزبير كيف تنقض بيعة الإمام، فكان يجيب بأنه إنّما بايع بيده لا بقلبه [2]. فقال الإمام إنه أقرّ بالبيعة وادعى أنه ليس من الذين بايعوا بالقلوب، فقال الإمامن قال قولاً وأقرّ بشيء، أُخذ بقوله وإقراره، وإن ادعى بعد ذلك إنه ما أقر عن نيّة صادقة، وإن قال بايعت مكرهاً فنحن – أمير المؤمنين – نطالبه بإثبات ما ادعى من الخفي، وإن لم يثبت فليدخل في عقد البيعة [3]. قصد الإمام من مقابلة الفعلين (يدخل – وخرج) أي على الزبير الدخول في طاعتي، وإلاّ فليعلن خروجه من البيعة. وقد ورد التقابل بين فعلين مختلفين في البناء والزمن، فقد ورد الفعل المقابل الأول على صيغة (يفعل)مقترناً بـ (لام) الأمر [4]. وقد دلّ زمن الصيغة على الاستقبال، لأنه طلب [5]، صدر ممن هو أعلى رتبة – الخليفة – إلى أحد رعاياه وهو الزبير، أما الفعل المقابل في الطرف الآخر فهو على صيغة (فعل)، وقد دلّ زمانها على الماضي، أي فليخرج من العقد الذي أقر به سابقاً .

الفصل الثالث

التقابل الدلالي في التراكيب والأساليب

أولاً : التقابل الدلالي بين التراكيب

---

(1) . شرح نهج البلاغة: ١ / ٢٣٠ (خ ٨) .

(2) . ينظر: حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة: ١ / ١٨٨ ، وتوضيح نهج البلاغة: ١ / ٨٩ .

(3) . ينظر: معارج نهج البلاغة (ظهير الدين أبي الحسن علي بن زيد)، بيهقي فريد خراساني، مكتبة المرعشي النجفي ، ط ١، قم – ١٤٠٩ هـ: ١ / ٩٠ .

(4) . ينظر: كتاب سيبويه : ٣ / ٨ ، والجني الداني في حروف المعاني (حسن ابن أم قاسم المرادي)، تح: طه محسن، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٣٩٦ هـ – ١٩٧٦ م: ١١٠ ، والزمن في القرآن: ٣٤٢ .

(5) . ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (جمال الدين ابن هشام الأنصاري)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: مكتبة المرعشي، قم ، مطبعة المدني، القاهرة – ١٤٠٥ هـ: ١ / ٢٢٣ .

أصل التركيب لغوياً الفعل (ركب)، جاء في لسان العرب " وتراكب السحاب وتراكم: صار بعضه فوق بعض، وفي النوادر يقال: ركيب من نخلٍ، وهو ما غُرسَ سطراً على جدول أو غير جدول. وركب الشيء: وضع بعضَه على بعضٍ، وقد تركب وتراكب "[1]. وذكر صاحب القاموس المحيط المصدر (تركيب) فقال: " وركّبه تركيباً: وضع بعضه على بعضٍ فرُكب وتراكب " [2]، فالذي يستشفّ من معنى الأصل (رَكَبَ) هو أنّ هناك أجزاءً متعددةً قد ضُمَّ بعضُها إلى بعض في نسقٍ معيّن، فصارت تلك الأجزاء جزءاً واحداً يسمى بـ (المركب) أو (التركيب) .

وأما مفهوم التركيب في الاصطلاح، فقد التبس أولَ الأمر عند اللغويين العرب القدماء مع مفهوم (الجملة)، بل عُدّت (الجملة) في العرف اللغوي القديم، هي التركيب نفسه، ومن الذين لحظ هذا الملحظ هو ابن جنّي في كتابه (الخصائص) [3]، " إذ يُعدّ ابن جني من أوائل من تحدّثوا عن الجملة، وأفردوا لها دراسات في كتبهم، وهو أول من اهتم ببناء الجملة ووصفها بالتركيب " [4]. فالجملة في حقيقتها (تركيب) لكونها قد (تركبت) من أجزاء عدّة، غير أن (التركيب)وحده ليس كافياً لتكوين (الجملة)، وإنما يشترط فيها أيضاً التعبير عن تصوّر ذهني، وهذا مما أشار إليه المحدثون، فعرّفوا الجملة (التركيب) بالقول بأنها: " المركب الذي يبين المتكلّم به أن صورة ذهنية كانت قد تألّفت أجزاؤها في ذهنه، ثم هي الوسيلة التي تنقل ما جال في ذهن المتكلم إلى ذهن السامع " [5]. فالتأليف الذي يكون بين عناصر (التركيب) يخفي يخفي وراءه تآلفاً على مستوى التصوّر، بل أن الأخير هو مقدمة للتأليف الأول .

ولأجل أن نتبين ما احتوته نصوص نهج البلاغة من (تراكيب) متقابلة، فإننا سنعرض بعض النماذج التركيبية التي عكست أنماطاً ذهنية متقابلة لدى الإمام (عليه السلام) .

١ : التقابل الدلالي التركيبي الفعلي

أ . التقابل الدلالي بين فعلين وفاعليهما

وهو التقابل الذي يكون ركناه مشتملين على إسناد تام، أي أن كل طرف من طرفي التقابل، هو تركيب في حدِّ ذاته، وخصوصية هذا النوع من التركيب أنه متكوّن من مسند (فعل) ومسند إليه (فاعل). ومن أمثلة هذا النوع من التقابل في نهج البلاغة، قول الإمام

---

[1]. لسان العرب: (ركب) ١ / ٤٣٢ .

[2]. القاموس المحيط: (ركب) ١ / ٧٦ .

[3]. ينظر: الخصائص: ١ / ١٧ .

[4]. الجملة الدنيا والجملة الموسعة في كتاب سيبويه (د. علاء إسماعيل الحمزاوي)، المنيا، مصر : ٦ .

[5]. في النحو العربي، نقد وتوجيه (د. مهدي المخزومي)، منشورات المكتبة العصرية، لبنان، د . ت: ٣١ ، واللغة (ج . فندريس)، تعريب: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، د . ت: ٩٧ – ٩٩ .

(عليه السلام)، بعد ذكر حال الأمم الماضية: ((عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ، وَمَضَتِ الدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الْآبَاءُ، وَخَلَفَتِ الْأَبْنَاءُ))[1]. فالإسناد التام الذي جاء في نص الإمام، هو تركيب (سلفت الآباء) والتركيب (خلفت الأبناء)، أما التقابل الذي ورد في هذا الإسناد، فهو بين كل من (سلفت) × (خلفت) و (الآباء) × (الأبناء)، وقد أفاد التقابل في هذا الموضع التبشير والتعريف للأنبياء بعضهم لبعض وصولاً إلى النبوّة لخاتم النبيين وآخر السفراء، " فإن كل أب يذهب ويموت، وقد كان معاصراً لنبي سابق مُبشّرٍ لنبي لاحق، والأولاد يخلفون آباءهم وهم معاصرون لنبي سابق يُبشّر، أو نبي لاحق قد عرف من قِبَل النبي السابق " [2] .

ومن الأمثلة الأخرى التي وردت في نهج البلاغة من نوع (فعلين وفاعليهما) قول الإمام (عليه السلام)لأبي ذر الغفاري:((لَا يُؤْنِسَنَّكَ إِلَّا الْحَقُّ، وَلَا يُوحِشَنَّكَ إِلَّا الْبَاطِلُ))[3]، فالإمام في هذا الموضع يطلب من أبي ذر بأن يستأنس بالحق وأن يستوحش من الباطل، فأورد الإمام التركيب بأسلوب النهي والاستثناء، إذ قصد تثبيت الغفاري على الحق فنهاه عن الاستئناس بغير الحق الذي هو عليه والذي اختاره، ولا يستوحش إلاّ من الباطل الذي عليه غيره[4]. والتقابل ورد بين أطراف متعددة، فالفعل (يؤنس) في قول الإمام (عليه السلام) يقابل الفعل (يوحش)، وهذان طرفان من أطراف التقابل، وفي الوقت نفسه، فإن مفردة (الحق) تقابل مفردة (الباطل)، وهاتان المفردتان طرفان أيضاً من أطراف التقابل، وإذا جاز لوصف أن يطلق على هذا النوع من التقابل بـ (التقابل المزدوج)، وهو حريّ أن يسمّى بذلك، لأن ذلك التقابل قد وقع بين جملتين تامتي الإسناد، ويمكن تمثيل هذا النوع من التقابل على الشكل الآتي :

مسند + مسند إليه × مسند + مسند إليه .

وقابل الإمام بين فعلين وفاعليهما في سياق الحث على التقوى، إذ قال (عليه السلام) : ((يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ، وَيَجِيءُ الْغَدُ لَاحِقاً بِهِ))[5]، فالإمام في هذا الموضع يُكنّى عن الدنيا بـ (اليوم) وعن الآخرة بـ (الغد)، أي تذهب أيام الدنيا بما فيها من خير وشرّ، ويجيء الغد وهو ما بعد الموت، لاحقاً به، أي بهذا اليوم الذي نحن فيه من أيام الدنيا [6]. والإمام يختزل الحياة الدنيا بما

---

[1]. شرح نهج البلاغة: ١ / ١١٦ (خ ١) .
[2]. توضيح نهج البلاغة: ١ / ٣٩ .
[3]. شرح نهج البلاغة: ٨ / ٢٥٢ (خ ١٣٠) .
[4]. ينظر: شرح نهج البلاغة (موسوي): ٢ / ٣٧٧ .
[5]. شرح نهج البلاغة: ٩ / ٢١٠ (خ ١٥٨) .
[6]. ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٣ / ٤١٥ .

تنطوي عليه من تناقضات بكلمة (اليوم)، إذ أن في كلمة اليوم مجموعةً من الدلالات المتناقضة التي تنسجم مع تناقضات الحياة الدنيا. وما قيل من الانسجام بين واقع الحياة وكلمة (اليوم)يقال أيضاً بين واقع الحياة الآخرة وكلمة (الغد)، إذ أن تناقضات الآخرة تعبّر عنها المدلولات المتناقضة التي تحملها كلمة (الغد). ومما يزيد من حركة المشاهد التي يروم الإمام الإفصاح عنها إسناد الفعلين المضارعين (يذهب) و(يجيء) إلى الفاعلين (اليوم) و (الغد)، إذ أن وجود عنصر الفعل المضارع في الإسناد الجملي يسبغ على هذا النوع من الإسناد صفة (الحركة) أما نوع هذه الحركة فهي متدرّجة، أي تحدث شيئاً فشيئاً [١] .

ويورد الإمام (عليه السلام)في نهج البلاغة نمطاً آخر من (تقابل فعلين وفاعليهما)،

وذلك هو تقابل فعلين ماضيين مسندين إلى فاعلين، وذلك التقابل في قول الإمام (عليه السلام):

((وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَداً بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَسَبَبُهُ الْأَمِينُ، وَفِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ، وَمَا لِلْقَلْبِ جِلَاءٌ غَيْرُهُ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْمُتَذَكِّرُونَ، وَبَقِيَ النَّاسُونَ أَوِ الْمُتَنَاسُونَ))[٢]، فالإمام (عليه السلام) في هذا النص يعقد موازنة بين جيلين من الزمان، الجيل الأول، هو جيل (المتذكرون)، والجيل الآخر هو جيل (الناسون أو المتناسون)، أي " المتذكرون قد ذهبوا وماتوا، وبقي الناسون الذين لا علوم لهم، أو المتناسون الذين عندهم العلوم، ويتكلفون إظهار الجهل لأغراض دنيوية تعرض لهم " [٣]، وقد عبّر الإمام عن شيوع الشرّ واتساع دائرته، وعن انحسار الخير وضيق دائرته، من خلال تقابل (ذهب المتذكرون) و (بقي الناسون أو المتناسون)، ولأن رجحان كفّة الجيل الآخر (الناسون أو المتناسون)على كفّة الجيل الآخر (المتذكرون) هي التي جعلت الإمام يستعمل له مفردتين (الناسون) و (المتناسون) لغرض التعبير عنه مقابل مفردة واحدة (المتذكرون) للتعبير عن الجيل الأول، وقد تم التعبير عن الثنائية المتقابلة من خلال إسناد الفاعلين إلى فعلين ماضيين، إذ يُفيد وجود عنصر (الحدث) الماضي في التركيب الجملي في الدلالة على تحقق الإسناد في هذا التركيب [٤] .

ب . التقابل الدلالي بين فعلين ومفعوليهما

مرّ بنا سابقاً نوع من التقابل الدلالي يتعدّى حدود المفردة الواحدة، ليصل إلى حدود التركيب، إذ أن هذا النوع من التقابل قد شمل طرفي الإسناد في التركيب الجملي، أي شغل المسند (الفعل) والمسند إليه (الفاعل).أما في هذه الفقرة وما بعدها، فسنعرض نوعاً آخر من أنواع التقابل الدلالي على مستوى التركيب الجملي في نهج البلاغة، وذلك هو

---

[١]. ينظر: دلائل الإعجاز: ١٧٤ .

[٢]. شرح نهج البلاغة: ١٠ / ٢٩ (خ ١٧٧) .

[٣]شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٠ / ٣٢ .

[٤]. ينظر: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم (د. سناء حميد البياتي)، دار وائل للنشر والتوزيع، عمّان – الأردن، ٢٠٠٣ م: ٤٢ .

(تقابل فعلين ومفعوليهما)، أي أن هذا النوع من التقابل لا يكون بين مسندين ومسندين إليهما، وإنما يكون بين مسندين ومتعلقين بهما، وهذان المتعلقان بالمسندين هما مفعولان متقابلان دلالياً أيضاً .

ومن ذلك التقابل الدلالي الذي ورد في نصوص نهج البلاغة قول الإمام (عليه السلام) واصفاً نعلَهُ لعبد الله بن عباس رضي الله عنه: ((وَاللَّهِ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ إِلاَّ أَنْ أُقِيمَ حَقّاً، أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلاً))[1]، فالتقابل الوارد في هذا النص هو بين المسند (الفعل) (أقيم)والمتعلّق به (المفعول به) (حقاً)، وبين المسند (الفعل) (أدفع) والمتعلق به(المفعول به) (باطلاً). ويبدو أن طبيعة الموضع الذي أراد الإمام التعبير عنه هو الذي حتّم عقد هذا النوع من التقابل، إذ قابل الإمام الإقامة التي هي عبارة عن الإثبات (للحق)، بالدفع الذي هو النفي (للباطل)، وأكد ذلك التقابل بالقسم البار، لبيان الهدف الأعلى للإمام من الخلافة، وأن غاية الحكم عنده ليس أن يعتلي كرسي الإمارة، وهو مطمح نظر الأمراء والخلفاء السابقين، بل باعتبار أنها مما يقيم به الحق ويدفع به الباطل على سبيل الالتزام. وعلى سبيل المطابقة، أن النعل التي لا قيمة لها تكون أحب عنده من الإمرة، بوصفها رياسة دنيوية [2]. إذن فالحكم مسؤولية ركناها – عند الإمام – هو هذا التقابل .

وقد يورد الإمام في نهج البلاغة نمطاً آخر من تقابل (فعلين ومفعوليهما)، وذلك النمط هو أن يأتي الإمام بالمسند (الفعل)ثم بمتعلّق ذلك الفعل، وهو (المفعول به)، على أن يكون هذا المتعلّق اسماً موصولاً يمكن تأويله مع صلته بوصف يقع محلاً بمكان المفعول به (المتعلّق)، فالتقابل الدلالي في هذا النمط لا يكون مباشرة بين متعلّقي (مفعولي) الفعلين المتقابلين دلالياً، وإنما يكون التقابل بين وصفين متأتيين من تأويل الاسم الموصول وصلته، ومثال هذا النمط من التقابل في نهج الإمام قوله (عليه السلام): ((أَلا وَإِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ : عَمَّتْ خُطَّتُهَا ، وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا ، وَأَصَابَ الْبَلاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا ، وَأَخْطَأَ الْبَلاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا))[3]، أي أن البلاء يحل بمن أبصر فيها، أي رأى الحق واهتدى إلى أنها فتنة، فهو مصاب بأنواع البلاء لحزنه في نفسه بما يشاهد من أفعالهم السيئة، ولأنه لا يكتم الحق ويعلن عنه، فسوف ينال منهم الأذى والقتل، فكان البلاء به أخص، أما من لم يهتدِ ولم يعرف الحق ولم يقف على المنكر، فإنه في أمنٍ وسلامة لكونه منقاداً لدعوتهم منساقاً تحت رايتهم [4]. فالفعلان (أصاب) و (

---

[1]. شرح نهج البلاغة: ٢ / ١٨٥ (خ ٣٣) .

[2]. ينظر: شرح نهج البلاغة (موسوي): ١ / ٢٦٣ ، وشرحنهج البلاغة (من أعلام القرن الثامن)، تح: عزيز الله العطاردي، ط ١، طهران – ١٣٧٥هـ: ١ / ٤١٠ .

[3]. شرح نهج البلاغة: ٧ / ٤٤ (خ ٩٢) .

[4]. ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير): ٢ / ٣٩٢ ، وشرح نهج البلاغة (خوئي): ٨٩٧ ، شرح نهج البلاغة (موسوي): ٣ / ١٢٦ .

أخطأ) متقابلان البتّة، غير أن متعلقيهما– مفعوليهما – هما الاسمان الموصولان (مَن) و (مَن)، وهما غير متقابلين كما هو واضح، ولكنهما يصيران متقابلين إذا انسبكا مع الفعلين اللذين بعدهما (أبصر) و (عَميَ) وكوّنا وصفين متقابلين دلالياً، والوصفان هما (مبصرأعمى)

وأحياناً يعمد الإمام (عليه السلام) إلى إيراد تقابل (فعلين ومفعوليهما) من خلال استعمال الصيغة الأمرية للمسند (الفعل)، وهذه الصيغة كما يعرفها يحيى بن حمزة العلوي في كتابه (الطراز) بأنها " صيغة تستدعي الفعل أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء " [1]، في حين يذهب أحد المحدثين إلى القول بأن الصيغة الأمرية هي " طلب الفعل على وجه التكليف والإلزام بشيء لم يكن حاصلاً قبل الطلب وفي وقته على جهة الحقيقة أو المجاز " [2]، فالأمر طلب له جهة يصدر منها، وجهة يتوجه إليها، والجهتان هما – في الأغلب – عُليا ودُنيا. ومن ذلك التقابل الذي ورد في قول الإمام، وفي سياق الحثّ على القتال: ((فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ، وَأَخِّرُوا الْحَاسِرَ))[3]. الدارع: هو لابس الدرع، وهو من الحديد. والحاسر: خلاف الدارع الذي لا بيضة على رأسه، والحسر: الذين ليس لهم دروع ولا بيض [4]. ولمّا كان هذا الموضع موضع حثٍّ على القتال، فإن ذلك يقتضي تقديم ما حقّه التقديم، وتأخير ما حقّه التأخير، لغرض تدبير مقتضيات القتال والمنازلة، لذلك أمر الإمام (عليه السلام)بوصفه قائداً عسكرياً (الدارع) الذي يلبس الدرع، أمره أن يكون في المقدمة، فهذا حقه ليكون في المواجهة، وفي الصفوف الأولى للهجوم أو الدفاع، لأن شدّة الحرب تقع على المهاجم أو على خط الدفاع الأول، فيجب أن يكون محصناً لابساً الدرع، بينما الحاسر أمرهم الإمام أن يؤخروه إلى الخلف، حيث يحتمي بالدارع [5]. فالإمام في هذا الموضع يعدّ إستراتيجية الحرب من تعاليم قتالية وأحكام حربية يرسم الإمام صورتها لجنده عن طريق ثنائية دلالية متقابلة حملتها صيغتان فعليتان أمريتان (قدموا) و (أخّروا)، وثنائية دلالية متقابلة حملها مفعولان هما (الدارع) و (الحاسر) .

وقد جاءت نصوص أخرى في نهج البلاغة تحمل في طياتها تقابلاً دلالياً يكون طرفاه تركيبين متضمنين على (فعلين ومفعوليهما)، وذلك قوله في ذمّ بعض أصحابه وتوبيخهم، لقعودهم عن نصرة الحق، فقال الإمام في سياق القسم: ((وَلَعَمْرِي لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ التِّيهُ مِنْ بَعْدِي أَضْعَافاً

---

[1]. الطراز: المتضمن لأسرار البلاغة: ٥٣٠ .

[2]. جماليات الخبر والإنشاء (د. حسين جمعة) منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق – ٢٠٠٥ م: ١٠٥ .

[3]. شرح نهج البلاغة: ٨ / ٣ (خ ١٢٤) .

[4]. لسان العرب: (درع) ٥ / ٧٨ ، (حسر) ٤ / ١٨٧ ، وينظر المصباح المنير: (درع) ١ / ١٩٢، (حسر) ١ / ١٣٤ .

[5]. ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٢ / ٢٥٤ ، وشرح نهج البلاغة (موسوي): ٢ / ٣٤٥ .

بِمَا خَلَّفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، وَقَطَعْتُمُ الْأَدْنَى، وَوَصَلْتُمُ الْأَبْعَدَ))[1]، ويذهب شرّاح نهج البلاغة إلى توضيح التركيبين المتقابلين في قول الإمام، بالقول إلى أن المراد بـ (قطعتم الأدنى) هو مقاطعة الناس للإمام نفسه الذي هو أقرب الناس برسول الله، وأن المراد بـ (وصلتم الأبعد) هو وصل الناس لمعاوية بن أبي سفيان [2]. فالإمام يتخذ محوراً للبعد والدنو، وذلك المحور هو سبحانه وتعالى، والرسول الكريم والأحكام، إذ أن الإمام هو أدنى الناس من النبي فهو أدنى بهذا الدنو من الباري عز وجل، ومن أحكامه الشرعية، في حين أن الطرف الآخر – وهو معاوية – هو أبعد الناس من الباري ومن النبي والأحكام الشرعية. وقد أفاد التقابل بين التركيبين، بيان حال الناس يومئذٍ، من التيه وأنهم سيزدادون على مدى الأيام ذلاً وضلالاً، لأنهم خذلوا الحق وأهله، وناصروا الباطل وشياطينه [3]. ولابدّ من أن نشير إلى ما أضفاه استعمال الإمام لاسمي التفضيل (أدنى) و (ابعد) من إظهار مدى الدنو والبعد لكلا الطرفين .

لم تقتصر نماذج التركيب المتقابلة دلالياً في نهج البلاغة على نمط تقابل (فعلين ومفعوليهما)، وإنما قد تكون تلك التراكيب متضمنة عناصر لغوية أخرى تضيف إلى التركيب بعداً دلالياً آخر ، ومما أُضيف من عناصر لغوية إلى تركيب (الفعلين ومفعوليهما) عنصر (الجار والمجرور)، غير أن هذا العنصر قد يختلف (الجار)منه تبعاً لنوع السياق الذي يرد فيه، فقد يكون (الجار) حرف (الباء)،و (الباء) حرف له معانٍ ودلالات مختلفة، ومن بين تلك المعاني والدلالات (السببية) [4]. ومما ورد في نهج البلاغة من ذلك قول الإمام (عليه السلام) في وصف الله تعالى: ((فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلَامٍ، وَأَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ))[5].

فسّر الشارح ميثم البحراني قول الإمام في هذا النص قائلاً : " فالظلام أما محسوس فأضاء بأنواره الكواكب، أو معقول وهو ظلام الجهل فأضاءه بأنوار العلم والشرائع، إذ جميع الأنوار المحسوسة أو المعقولة غير متلاشية مظلمة في نور علمه، وظلام بالنسبة إلى ضياء براهينه في جميع مخلوقاته الكاشفة على وجوده وكمال وجوده " [6]، وقال مفسّر آخر: (إن العلم والعمل بدين الله وحلاله وحرامه هدى ونور لا تضر معه أيّة صفة يراها الناس نقصاً وظلاماً كالفقر وغيره، أما المراد بظلمته تعالى حجاب الجهل والمعصية بين الله وعبده، والمعنى أن الجهل بدين الله أو العلم به بلا عمل ضلال وظلم لا يجدي معه أي وصف يراه الناس نوراً وكمالاً

---

[1]. شرح نهج البلاغة: ٩ / ٢٨٤ (خ ١٦٧) .

[2]. ينظر: شرح نهج البلاغة (أبي الحديد): ٩ / ٢٨٤ ، وشرح نهج البلاغة (الكبير): ٣ / ٣١٧، وتوضيح نهج البلاغة: ٣ / ٢٥ ، وشرح نهج البلاغة (موسوي): ٣ / ٩٥ .

[3]. ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٢ / ٢٨٤ .

[4]. ينظر: الجني الداني في حروف المعاني: ١١٠، والتحفة الوفية بمعاني حروف العربية (إبراهيم بن محمد بن إبراهيم السفاقسي)، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ١٩ : ١٧ .

[5]. شرح نهج البلاغة: ١٠ / ٨٩ (خ ١٨٣) .

[6]. شرح نهج البلاغة (الكبير): ٣ / ٣٨٩ .

كالجاه والمال) [1]، فالتقابل الوارد في قول الإمام حققه تركيبان ومتعلقان، التركيبان هما (الفعلان ومفعولاهما)، والمتعلقان هما (الجار والمجرور)، وهذان الأخيران وإن اشتركا في جزء منهما، وهو حرف الجر (الباء)، غير أن ذلك لم يمنع جزءيهما الآخرين في أن يكونا متقابلين من الوجهة الدلالية .

وإذا كان التقابل الدلالي السابق قد أضيف إليه عنصر (الجار والمجرور)، وكان أحد جزأي هذا العنصر – وهو الجار –متشابهاً في ذلك التقابل، فإنه قد يأتي في سياقات نهج البلاغة ما يناقض ذلك التقابل من حيث عنصر (الجار والمجرور)، بمعنى آخر أن (الجار والمجرور)قد يأتي مختلفاً في جزئه الأول ومتشابهاً أو نفسه في جزئه الآخر، فالمختلف هو (الجار) والمتشابه هو (المجرور). ومن ذلك التقابل الدلالي الذي ورد في نهج البلاغة قول الإمام (عليه السلام) في سياق ذمّ الكِبَر: ((فَلَوْ رَخَّصَ اللَّهُ فِي الْكِبْرِ لأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ؛ وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ التَّكَابُرَ، وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ))[2]. إنّ هذا التقابل احتوى على ثلاثة أنواع من العناصر، يختلف كل واحد منهما عن الآخر، ففي الوقت الذي تضمّن فيه هذا التقابل عنصر المقابلة الذي ضمّ كلاً من الفعلين (كرّه) و(رضي)، والمفعولين (التكابر) و (التواضع)، فإن التقابل قد تضمن أيضاً عنصر المخالفة الذي ضمّ حرفي الجر (إلى) و (اللام)، وكذلك تضمّن التقابل في نص الإمام عنصر المشابهة الذي هو الضمير (هم) .

ولابدّ من الإشارة إلى أن الإمام في التقابل السابق لم يأتِ بلفظتين متقابلتين دلالياً مباشرةً على ما هو معهود في حالات التقابل الماضية، وإنما كان تقابلاً غير مباشر، أي أن لفظتي التقابل كانت إحداهما مرادفة للفظة التقابل الأصلية، ذلك لأن ما يقابل لفظة (كرّه) هو لفظة (حبّ)، ودليل ذلك وروده في قوله تعالى: ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ**﴾ [الحجرات /٧] . فالتقابل في هذا الموضع هو تقابل غير متجانس أو يمكن تسميته (تقابل معنوي أو التقابل بالترادف) .

ت . التقابل الدلالي بين فعلين ومتعلقيهما

يمكن تعريف مصطلح (التعلّق) بأنه " الارتباط المعنوي بين الجار والمجرور وما يتعلّق به من الفعل وشبهه من المشتقات أو ما هو بمعناه، وهذا المفهوم يضم الظرف أيضاً وغيره مما يقتضي الارتباط، وهذا الارتباط المعنوي للجار والمجرور بالحدث وتمسكه به جعله كأنه جزء منه لا يظهر معناه إلاّ بما يتعلّق به ولا يكتمل معنى المتعلّق إلاّ به " [3]. فالتعليق إذن بناء دعامتاه المعلّق وهو (الجار والمجرور)والمعلّق به وهو(الفعل). ومن تلك النصوص

---

[1]. في ظلال نهج البلاغة: ٣ / ٢٨ .

[2]. شرح نهج البلاغة: ١٣ / (خ ٢٣٨) .

[3]. حروف الجر وتعلقها (د. خليل إبراهيم السامرائي)، (بحث) مجلة الأحمدية، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي – الإمارات، العدد ٢٧، المحرّم ١٤٢٢ هـ: ٣٢ .

التي ورد فيها تقابل (فعلين ومتعلقيهما) قول الإمام (عليه السلام) في وصف المتقي: ((لاَيَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ، وَلاَ يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ))[1]، والمراد من ذلك القول، أن المتّقي هو من كان دائماً في خط الله لا يخرج عنه، ولا يدخل فيما يبعد عن الله تعالى من باطل الدنيا، ولا يخرج مما يقرّب إليه من مطالبه الحقّه [2].والمعلّق عليهما في قول الإمام (عليه السلام)هما الفعلان (يدخل × يخرج)، والمعلّقان هما الجاران والمجروران (في الباطل) و (من الحق). ويلحظ التلازم بين جزءي كل طرف من طرفي التقابل، أي أن الفعل (يدخل)قد استدعى متعلقاً مناسباً له، وهذا المتعلق هو حرف الجر (في) والمجرور (الباطل)، إذ أن في اختيار حرف الجر هذا دلالة على الدنو والتسافل، وهذا يتلاءم مع كلمة (الباطل) المجرورة، في حين أن الفعل (يخرج) قد اقتضى حرف جرٍّ آخر، وهذا الحرف هو (من) الذي يوحي بالدلالة على الثبات والرسوخ، أي الثبات والرسوخ على (الحق)، وقد تأتت هذه الدلالة من نفي الخروج عن الحق بحرف النفي (لا)، كما أن دلالة الدنو والتسافل – في الطرف الأول من التقابل – قد تأتت من نفي الدخول في الباطل بحرف النفي (لا)أيضاً، وبذلك تنعقد تلك الثنائية المتقابلة المعتمدة على (فعلين ومتعلقيهما)، أي ثنائية عدم الدخول في الباطل وعدم الخروج من الحق .

وإذا كان الفعلان المتقابلان في نص الإمام السابق قد استدعى كل واحد منهما ما يناسبه من حروف الجر، فإنه قد يأتي في سياقات نهج البلاغة فعلان متقابلان دلالياً يقتضي كل واحد منهما حرف الجر عينه، أي أن حرف الجر يتكرر في طرفي التقابل كليهما، ومن ذلك النمط من التقابل في نهج البلاغة قول الإمام (عليه السلام)واصفاً زماناً من الأزمنة بعد التحذير: ((فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلُ مَآخِذَهُ، وَرَكِبَ الْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ ، وَعَظُمَتِ الطَّاغِيَةُ ،وَقَلَّتِ الدَّاعِيَةُ، وَصَالَ الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبُعِ الْعَقُورِ، وَهَدَرَ فَنِيقُ الْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومٍ، وَتَوَاخَى النَّاسُ عَلَى الْفُجُورِ، وَتَهَاجَرُوا عَلَى الدِّينِ، وَتَحَابُّوا عَلَى الْكَذِبِ ،وَتَبَاغَضُوا عَلَى الصِّدْقِ))[3]. يُشير الإمام إلى حال أهل الباطل في دولة الحق، فهم سلكنون خوفاً من أهله، أما إذا قامت الفتن، فأهل الباطل يشرعون في الحركة والصياح والدعوة والإفساد، ويواخيبعضهم بعضاً على الفجور، فيتخذ الخليل خليلة فاجرة، أو خليلاً فاسقاً، إذ لا أخوة تجمعهم إلاّ الفسق، ويهجرون من كان مُتديّناً، ويتحابون على الكذب، إذ يحب بعضهم بعضاً على ذلك، لأن الكذب ينفعه، ويبغض بعضهم بعضاً إذا صدق وقال حقّاً، فيغضب عليه [4].
فالمتقابلات في نص الإمام هي (تواخى × تهاجر) و (على الفجور) × (على الدين)، هذا

---

[1]. شرح نهج البلاغة: ١٠ / ١٤٩ (خ ١٨٦) .

[2]. ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير): ٣ / ٤٢٤ ، وتوضيح نهج البلاغة: ٣ / ٢٤٢ ، وشرح نهج البلاغة (موسوي): ٣ / ٣٦٧ .

[3]. شرح نهج البلاغة: ٧ / ١٩١ (خ ١٠٧) .

[4]. ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٢ / ١٧٢ – ١٧٣ .

إذا أُخذ بالحسبان أن ما يقابل (الفجور)هو الدين، والمتقابلات الأُخر هي (تحابّوا × تباغضوا) و (على الكذب × على الصدق)، فهذه المتقابلات على اختلافها قد تمّ التعليق فيما بينها عن طريق حرف الجر (على)، ويمكن أن يُعدّ هذا النوع من التقابل – بمجمله –تقابلاً متلاخلاً، أو تقابلاً يفضي بعضه إلى بعض، أي أن تواخي الناس على الفجور يؤول إلى أو يحمل في داخله التهاجر على الدين، وفي الوقت نفسه، فإن التحابب على الكذب يُفضي أو يستبطن في داخله التباغض على الصدق، أي أن كل مقدمة قد حتّمت نتيجة معينة، وهذه النتيجة تكون مقدمة لنتيجة كانت من قبل هي المقدمة، والغرض من عرض المتقابلات بهذا الشكل هو " تنفير السامعين عن تلك الرذائل وتخويفهم بوقوعها " [1] .

ومن الأمثلة الأخرى التي وردت في نهج البلاغة وكانت شاهداً على تقابل (فعلين ومتعلقيهما) قول الإمام في سياق الاعتذار، وهو يلي غسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((وَلَوْلا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ، لأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّؤُونِ))[2]، فالإمام في هذا الموضع يستلهم من شخص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) – بعد وفاته – المعاني والمفاهيم التي سنّها النبي في حياته، إذ أن من بين ما سنّه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هو (الأمر) بـ (الصبر) والنهي عن (الجزع)، فـ (الأمر) و (النهي) كلمتان تقف إحداهما مقابل الأخرى، وقد توصلت هاتان الكلمتان إلى معموليهما (متعلقيهما) بوساطة حرفي جرٍ مختلفين، والحرفان هما (الباء) و (عن) وأن هذين الحرفين وإنْ اختلفا شكلاً فإنهما قد ائتلفا مضموناً، إذ يُذكر لهذين الحرفين – معناهما – الدلالة على الاستعانة [3]، والاستعانة هي الدلالة التي تنسجم مع السياق الذي ورد فيه حرفا (الباء) و (عن)، فكلما أمر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الاستعانة بالصبر، فإنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قد نهى عن الاستعانة بالجزع. أما المتعلقان اللذان توصّل إليهما الفعلان بحرفي الجر، فهما المصدران (الصبر) و (الجزع)، وهما لاشك متقابلان. والإمام (عليه السلام) في هذا النص يحيي أمر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وذلك الأمر هو " الصبر في مواطن المكروه والنهي عن الجزع عند نزول الشدائد " [4] .

وأحياناً يقصد الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة إلى تقابل (فعلين ومتعلقهما) مستعملاً أسلوب القصر، والقصر أسلوب من أساليب البلاغة يُراد به لغةً (الحبس) [5]، أما في

---

[1]. شرح نهج البلاغة (الكبير): ٣ / ٤٨ .

[2]. شرح نهج البلاغة: ١٣ / ٢٤ (خ ٢٣) .

[3]. ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ١٠٣ .

[4]. شرح نهج البلاغة (الكبير): ٤ / ١١٩ ، وينظر: شرح نهج البلاغة (موسوي): ٤ / ٩٦ .

[5]. ينظر: القاموس المحيط: (قصر) ٢ / ١١٧ ، وتاج العروس: (قصر) ٣ / ٤٩٤ .

البلاغة فيقصد به " تخصيص أمر بأمر بطريق مخصوص " [١]، والطريق المخصوص الذي سلكه الإمام في القصر ليقابل به بين (فعلين ومتعلقيهما) هو القصر بـ (النفي وإلاّ)، ولهذا النوع من القصر مواضع حددها القدماء والمحدثون [٢] .

وقد ورد هذا النوع من التقابل (التقابل بالقصر) في نهج البلاغة، في قول الإمام(عليه السلام)آمراً الأشتر النخعي بتقوى الله وإيثار طاعته: ((وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ الَّتِي لاَ يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلاَّ بِاتِّبَاعِهَا، وَلاَ يَشْقَى إِلاَّ مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا)) [٣]، فالمتقابلات في نص الإمام هي (سَعِدَ × يشقى) و (إتباعها × جحودها وإضاعتها) وهذا النوع من التقابل قد تضمن عنصراً دلالياً زائداً على عناصر التقابل المألوفة، فما يقابل كلمة (إتباعها) – الواردة في نص الإمام – في العرف التقابلي هو كلمة (إضاعتها)، غير أن الإمام (عليه السلام) قد أضاف إليها كلمة أخرى، وهي كلمة (جحودها)، والجحد في اللغة هو"النكران، والجحد لا يكون إلاّ مع العلم " [٤]، أي أن نكران أوامر الله في كتابه من فرائضه وسُننه مع علمهم بها، ومن ثمّ ترك العمل بها يؤدي إلى إضاعتها، ولهذا جاء الترهيب بالشقاوة على كل من جحدها وأضاعها، ورغب الإمام في الطرف الأولى من التقابل بلفظة (سعد) على كل من إتباعها. ويبدو أن وضوح طريق إتباع فرائض الله وسُننه، هو الذي جعل الإمام يعبّر عنه بمفردة واحدة، أي أنْ لا طريق لفرائض الله وسننه إلاّ (الإتباع) وهو طريق السعادة. في حين أن الشقاء له طرق متعددة مختلفة، منها طريقا جحود الفرائض والسُنن وإضاعتها .

٢ : **التقابل الدلالي التركيبي في سياق الجملة الشرطية**

يُعدُّ الشرط أسلوباً " من أساليب اللغة يقصد منشئُهُ من خلاله إظهار معنى من المعاني النحوية التي يتوخّى إيصالها إلى الآخرين " [٥]، أما ما يعبر عن هذا الأسلوب فيسمّى بـ (جملة الشرط) وهذه الجملة اختلفت فيها الأقوال قديماً وحديثاً، إذ قد يُنظر إلى (جملة الشرط) على أنها مؤلفة من ركنين يتعلّق أحدهما بالآخر [٦]، أو قد ينظر إلى هذه الجملة على أنها كلٌّ متكامل لا يقوم جزء منها دون الآخر، وصاحب هذا الرأي هو عبد القاهر الجرجاني، إذ قال ما نصّه: " الشرط كما لا يخفى في مجموع الجملتين لا في كل واحدة منهما

---

[١]. البلاغة فنونها وأفنانها – علم المعاني – (د . فضل حسن عباس)، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط ٢ ، الأردن – ١٩٨٩ م: ٣٥٧ .

[٢]. ينظر: دلائل الإعجاز: ٣٣٢ ، والبلاغة فنونها وأفنانها: ٣٧٥ ، وقواعد النحو العربي: ٤٠٥ .

[٣]. شرح نهج البلاغة: ١٧ / ٣٠ (كتاب ٥٣) .

[٤]. المصباح المنير: (جحده) ١ / ٩١ .

[٥]. خطب نهج البلاغة – بحث في الدلالة: ١٦٦ .

[٦]. قواعد النحو العربي: ٣٥١ .

على الإنفراد ولا في واحدة منهما دون الأخرى " [١]، وقد تابع الدكتور مهدي المخزومي الجرجاني فيما ذهب إليه، ففي رأي الدكتور المخزومي " إن أسلوب الشرط أسلوب لغوي يبنى – بالتحليل – على جزءين الأول منزل منزلة السبب والثاني منزل منزلة المسبّب ويتحقق الثاني إذا تحقق الأول وينعدم الثاني إذا انعدم الأول، فعبارتا الشرط (الشرط والجزاء) جملة واحدة وتعبير لا يقبل الانشطار، لأن الجزءين المعقولين فيها يُعبّران معاً عن فكرة واحدة " [٢]، وهذا هو الراجح في معنى (جملة الشرط)، وذلك لأن شرط الجملة في عُرف اللغويين هو التعبير عن الصور أو التصورات الذهنية [٣] .

وقد ضمّ نهج البلاغة بين دفّتيه العديد من الجمل التي لم تكن معبّرة عن أسلوب الشرط فحسب، وإنما كانت متقابلة دلالياً. فقد يستعمل الإمام (عليه السلام) للدلالة على الشرط، الأداة (إذا)، وإذا – كما جاء في تعريفها – هي " أداةتدل على الشرط غير منظور إليها ظرفاً خافضاً لشرطه منصوباً بجوابه، فذلك مالا يتطلبه الكلام، وكل ما يريد المتكلم التعبير عنه بـ(إذا) أن يعلّق شيئاً على شيء " [٤]، أي أن ينشئ المتكلم بـ(إذا) (جملة شرطية). أما نوع هذه الجملة الشرطية التي أداتها (إذا) فقد أشار إليها الخطيب القزويني قائلاً : " والأصل في (إذا) أن يكون الشرط فيها مقطوعاً بوقوعه "[٥]، أي الشرط المتحقق البتة. ومما جاء في نهج البلاغة من من الشرط بـ (إذا) قول الإمام (عليه السلام): **((احْذَرُوا صَوْلَةَ الْكَرِيمِ إِذَا جَاعَ، وَاللَّئِيمِ إِذَا شَبِعَ))**[٦]، وفي كلام الإمام تقديم وتأخر، إذ أن تقدير الكلام هو (إذا جاع الكريم فاحذروا صولته، وإذا شبع اللئيم فاحذروا صولته). أما الألفاظ المتقابلة دلاليا في حكمة الإمام فهي: (الكريم × اللئيم) و (جاع × شبع). وذهب ابن أبي الحديد إلى أن معنى (الجوع) و (الشبع) في هذا الموضع هو غير ما تعارف عليه الناس من معنى هذين الكلمتين فـ " ليس يعني الإمام بالجوع والشبع ما يتعارفه الناس، وإنما المراد: احذروا صوله الكريم إذا ضيم وامتهن، واحذروا صولة اللئيم إذا أكرم " [٧]، وقد تابع الشارح البحراني ابن أبي الحديد فيما ذهب إليه [٨]، وهذا وإن كان محتملاً في مراد الإمام نصّه، غير أن ذلك لا يعني عدم إرادة المعنى الآخر (الحقيقي)، والمهم في ذلك هو أنّ الإمام عبّر عن ذلك من خلال جملة شرطية متقابلة دلالياً .

---

[١]. دلائل الإعجاز: ٢٤٦ .

[٢]. في النحو العربي – نقد وتوجيه: ٢٨٤ – ٢٨٦ .

[٣]. ينظر: اللغة: ١٧٨ – ١٧٩ ، في النحو العربي – نقد وتوجيه: ٣١ .

[٤]. في النحو العربي – نقد وتوجيه: ٢٩١ .

[٥].الإيضاح في علوم البلاغة: ١/ ١٧٨ .

[٦]. شرح نهج البلاغة: ١٨ / ١٧٩ (حكمة ٤٧) .

[٧]. شرح نهج البلاغة: ١٨ / ١٧٩ .

[٨]. ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير): ٥ / ٢٦٨ .

وورد التقابل الدلالي التركيبي في سياق الشرط أيضاً، في قول الإمام (عليه السلام) في صفة الغوغاء: ((هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا ضَرُّوا، وَإِذَا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا)) [1]، فالألفاظ المتقابلة هي (اجتمعوا × تفرّقوا) و (ضرّوا × نفعوا). وقد عنى الإمام بحكمته أن " العامة من الناس إذا اجتمعوا واستطاع بعض المنحرفين أن يستغلّهم خرّبوا الديار وأهلكوا العباد، وإذا تفرّقوا استفاد الناس عامة منهم كما يستفيد بعضهم من بعض للعلّة التي ذكرها الإمام من انصراف كل عامل إلى عمله " [2]، وهذه الحقيقة التي عرضها الإمام لم تتأكد من خلال انطباقها على الواقع المضموني لتلك الحكمة، وإنما قد تأكدت أيضاً باستعمال أداة شرط تفيد تحقيق المعنى النحوي (التركيبي) للجملة، وتلك الأداة هي (إذا)، أما المعنى الذي أكدت تحققه تلك الأداة فهو (الشرط)، وقد تم ذلك لاستعمال جملة شرطية متقابلة من حيث الدلالة .

أما الأداة الثانية التي استعملها الإمام (عليه السلام) ليدل بها على معنى (الشرط) من خلال جملة ذات دلالة متقابلة، فهي (مَن)، و (من) تدل على ذي العقل من الأشياء [3]، أي إنها تكني عن ذوي العقول من الأشياء، وقد وردت على هذا من الدلالة في سياق الحثّ على الجهاد، فقال الإمام مخاطباً جمعاً من الناس: ((لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الَّتِي لَا يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَالِكٌ مَنِ اسْتَقَامَ فَإِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ زَلَّ فَإِلَى النَّارِ)) [4]، فالذي يقف متقابلا من الكلمات في نص الإمام (عليه السلام) هو (استقام × زلّ) و (الجنّة × النار)، والمعنى هو لقد أرشدتكم إلى الطريق الآمن، فمن سلكه مستقيماً نجا، ومن تخلّف وعدل عنههوى، وأهلك نفسه بنفسه [5]، وقد بيّن الإمام ما دلّ كل واحدٍ من الطريقين، فـ(الجنة) هي النتيجة النهائية المقابلة للذين سلكوا الطريق القويم، و (النار) هي المحصلة النهائية لكل من زلّ وضلّ عن الطريق القويم.

ومن الأدوات الشرطية التي يعرض بها الإمام جملته الشرطية المتقابلة الأداة (ما)، و (ما) هي " كناية عن غير العاقل، وترد في الجملة الشرطية لتؤدي وظيفة الربط والتعليق " [6]، إذن لهذه الأداة وظيفة ودلالة، فوظيفتها هي الربط والتعليق، وهذان هما لازما جملة (الشرط)، أما دلالة (ما) فتختص بغير العاقل من الأشياء .

---

[1]. شرح نهج البلاغة: ١٩ / ١٨ (حكمة ١٩٥) .

[2]. شرح نهج البلاغة (موسوي): ٥ / ٣٦٥ – ٣٦٦ .

[3]. ينظر: في النحو العربي – نقد وتوجيه: ٢٩٢ ، وقواعد النحو العربي: ٣٦١ .

[4]. شرح نهج البلاغة: ٧ / ٢٨٥ (خ ١١٨) .

[5]. ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٢ / ٢٣٨ ، وشرح نهج البلاغة (خوئي): ٨ / ١٠٧ ، وفي ظلال نهج البلاغة: ٢ / ٢١١ .

[6]. قواعد النحو العربي: ٣٥٩ .

وقد استعمل الإمام (عليه السلام) (ما) الشرطية في سياق جملة متقابلة الدلالة، وذلك في بيان فضائل أهل البيت (عليهم السلام)، فقال: ((وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِناً عَلَى مِثَالِهِ، فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ ، وَمَا خَبُثَ ظَاهِرُهُ خَبُثَ بَاطِنُهُ ... وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتاً، وَكُلُّ نَبَاتٍ لا غِنَى بِهِ عَنِ الْمَاءِ، وَالْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ، فَمَا طَابَ سَقْيُهُ طَابَ غَرْسُهُ وَحَلَتْ ثَمَرَتُهُ ، وَمَا خَبُثَ سَقْيُهُ خَبُثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ)) (١)، فركائز التقابل الدلالي في نص الإمام هي:

طاب × خَبُثَ وظاهره × باطنه /أولاً .
طاب × خَبُثَ وحلت × أمرت /ثانياً .

أما ما قصده الإمام (عليه السلام) من طرح تلك الثنائيات المتقابلة، هو " أنّ لكلتا حالتي الإنسان الظاهرة أمراً باطناً يناسبها من أحواله، الحالتان الظاهرتان هما ميله إلى العقل، وميله إلى الهوى، فالمتبع لمقتضى عقله يرزق السعادة والفوز، فهذا الذي طاب ظاهره وطاب باطنه، والمتبع لمقتضى هواه وعادته ودين أسلافه، يُرزق الشقاوة، وهذا هو الذي خبث باطنه " (٢)، وأراد الإمام من الثنائية الأخرى هو " أن علاقة الأعمال بالنبات أشبه بعلاقة الزرع بالماء من حيث الحياة والنمو، ومن حيث الطعم والمذاق، فالشجرة التي تسقى بماء عذب مراتٍ يلذ ثمرها ويطيب، والتي تُسقى بما آسنٍ يفسد ثمرها ويخبث، وكذلك الأعمال، قوامها النية، وبها توزن وتقاس " (٣)، والذي يلحظ أن الإمام (عليه السلام)– في هذه الثنائية – قد وظّف حاسّة الذوق في عرض مراده، فالتقابل – في أحد ركنيه – كان بين (الحلاوة) و (المرارة)، وهما مما يتذوّق بحاسة اللسان، في حين أن الإمام قد قابل – في الركن الآخر – بين (طيب) السقي و (خبث) السقي، وهاتان الحالتان معنويتان لا يمكن إدراكهما بحاسّة من الحواس، لذلك يمكن القول أن التقابل وإن قام على الركائز التي تم عرضها، فإنه في الوقت نفسه، قد قام أيضاً على ركيزتين يمكن وصفهما بأنهما أكبر وأوسع من تلك الركائز، والركيزتان، ركيزة (المادي) وركيزة (المعنوي) .

٣ : التقابل الدلالي التركيبي الاسمي (المصدري) (٤)

وهذا النوع من التقابل يكون طرفاه اسمين (مصدرين)، والمصدر هو " الاسم الذي يدل على الحدث مجرداً من الزمن والشخص والمكان " (٥)، فالمصادر – بعبارةٍ مختصرة – هي أسماء الأحداث، وتقابل مصدرين دلالياً يعني تقابل اسمين لحادثين مجردين من أي شيء آخر، أما ما يكونه التركيب المؤلّف من ذينك الاسمين، فهو ما يسمى بـ (الجملة

---

(١) . شرح نهج البلاغة: ١٨٧/٩ (خ ١٥٤) .

(٢). شرح نهج البلاغة: ٩ / ١٧٩ .

(٣). في ظلال نهج البلاغة: ٢ / ٣٩١ .

(٤).يسمي سيبويه أحياناً في كتابه المصدر اسماً، ينظر: كتاب سيبويه: ٤ / ٢١٨.

(٥). أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٢٠٨ .

الاسمية)، وهذه الجملة بمجملها – بغضّ النظر عن مكوناتها الداخلية المتقابلة – لها دلالة على الدوام والثبوت (١) .

ومما جاء في نهج البلاغة من التقابل الدلالي في سياق تركيب اسمي قول الإمام (عليه السلام) في أمر التحكيم: ((فَإِنَّمَا حُكِّمَ الْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ ، وَيُمِيتَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ، وَإِحْيَاؤُهُ الاجْتِمَاعُ عَلَيْهِ، وَإِمَاتَتُهُ الافْتِرَاقُ عَنْهُ)) (٢)، فمكونات التركيب الاسمي (إحياء × إماتة) و (الاجتماع × الافتراق). وأوضح الشيخ محمد جواد مغنيه مدلول هذه المكونات المتقابلة في نص الإمام قائلاً : إنْ اجتمعت كلمة الحكمين على العمل بالقرآن، فقد أحييا القرآن والأمة، وإنْ اجتمعا معاً على إهماله والأعراض عنه كان ذلك إماتةً لها وله، ونفس الشيء إنْ اختلفا، لأن اختلاف الحكمين يؤدي حتماً إلى اختلاف الأمة وفشلها وذهاب ريحها " (٣)، ويبدو أن أهمية المفاهيم التي أراد الإمام نقلها إلى الآخرين هي التي سوّغت التعبير عن ذلك، بتلك المتقابلات التي تشكّل بمجموعها بنية تركيبة (اسمية) تتضمن دلالتها الثبات والاستمرار، إذ أنّ أسماء الأحداث المتقابلة الدلالة في قول الإمام كانت أسماء أحداث ثابتة مستمرة .

٤ : التقابل الدلالي بين أشباه الجمل

اختلف النحويون القدماء في تسمية التركيب الذي يضم بين أركانه (شبه جملة)، فالزمخشري يعبّر عن ذلك التركيب بـ (الجملة الظرفية) (٤)، في حين أن (شبه الجملة) نفسه قد سمّاه السيوطي وابن هشام بـ (الظرف)، وهو عندهما يضم (الظرف) و (الجار والمجرور) (٥)، أما الكوفيون فإنهم يستسيغون ويسوّغون اسم (الصفة الصفة) على كل من (الظرف) و (الجار والمجرور) (٦). وقد ارتضى المحدثون تسمية (شبه الجملة) على (الظرف) و (الجار والمجرور)، ذلك لأن عندهم مصطلح (شبه الجملة) هو " أقرب إلى الأذهان، لأنهما نابا عن الفعل أو ما يشبهه، فلذلك شُبّها بالجملة، كما أن

---

(١). ينظر: في جماليات الكلمة: ٥١ ، وقواعد النحو العربي: ٤٢ .

(٢). شرح نهج البلاغة: ٨ / ١١٣ (خ ١٢٧) .

(٣). في ظلال نهج البلاغة: ٢ / ٢٤٩ .

(٤). ينظر: شرح المفصل: ١ / ٨٨ .

(٥). ينظر: همع الهوامع– شرح جمع الجوامع (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي)، تصحيح: محمد بدر الدين النعساني، ط ١، محمد أمين الخانجي الكتبي وشركاؤه بمصر والإستانة– ١٣٢٧ هـ: ١٩/٢ ، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١ / ٢٠٦ .

(٦). ينظر: شرح المفصّل: ٨ / ٧ .

التقارب الوثيق بينهما، والسمات المشتركة التي تجمعها إلى اختيار هذه التسمية، إذ تجعلها قسيماً ثالثاً للجملتين، الاسمية والفعلية في تصنيف الكلام العربي " (١) .

ويقصد بـ(تقابل أشباه الجمل)أن هناك ظرفاً أو جارّاً ومجروراً، لهما دلالة معينة في طرف من طرفي التركيب، يقابلهما ظرف أو جار ومجرور لهما دلالة أخرى مقابلة للدلالة الأولى في الطرف الآخر من طرفي التركيب، وعليه سوف نبيّن ما احتواه نهج البلاغة من (أشباه جمل متقابلة) .

أ . التقابل الدلالي بين الظروف

وردت في سياقات نهج البلاغة مجموعة من الظروف المتقابلة دلالياً، ومن ذلك الظرفان (فوق) و (تحت)، إذ يمثل كل ظرف من هذين الظرفين مكاناً معيناً، وقد جاء الإمام (عليه السلام) بالظرفين (فوق) و (تحت) متقابلين في قوله ذاكراً اصطفاء الأنبياء ورسالاتهم: ((فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ ،وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُول ، وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ : مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ ، وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ)) (٢)، فالظرفان المتقابلان في نص الإمام (عليه السلام) – كما مرَّ – هما (فوق × تحت)، وهذان الظرفان يمثلان اتجاهين معروفين، وقد عنى بهما الإمام في هذا الموضع (السماء) و (الأرض)، وقد مثّل هذان المحلان ذينك الاتجاهين لكون (السماء) تمثل جانب (العلو) كالسقوف في المنازل، و (الأرض) تمثل جانب (الدنو) (٣)، ويلاحظ أن الإمام قد ذكر الظرفين (فوق) و(تحت) – مع ما فيهما من دلالة على مكانين محددين – ذكرهما بعد الكلمتين (السقف) و (المهد)، وهاتان الكلمتان فيهما دلالة على المكانين نفسيهما، وهذا يعني أن دور الظرفين المذكورين في نص الإمام هو تأكيد الدلالة على مكانين متقابلين من حيث الدلالة .

وفي سياق موعظة الناس، أورد الإمام ظرفين متقابلين، ولكنهما يمثلان اتجاهين مختلفين عن الاتجاهين اللذين دلَّ عليهما الظرفان السابقان، فإذا كان الظرفان (فوق) و (تحت) قد مثّلا اتجاهاً عمودياً، فإن الظرفين (أمام) و (وراء) يمثلان اتجاهاً أفقياً، وقد جاء هذان الظرفان في قول الإمام (عليه السلام): ((إِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ، وَإِنَّ وَرَاءَكُمُ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ))(٤)، فمهما كان المعنى الذي أراده من كلمة (الغاية)،

---

(١). شبه الجملة – دراسة تركيبية تحليلية مع التطبيق على القرآن الكريم (د. سوزان محمد فؤاد فهمي)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر – ٢٠٠٣ م: ١٠ .

(٢). شرح نهج البلاغة: ١ / ١١٧ (خ ١) .

(٣). نظر : توضيح نهج البلاغة: ١ / ٣٧ .

(٤). شرح نهج البلاغة: ١ / ٣٠١ (خ ٢١) .

سواء أكان المعنى هو الثواب أم العقاب أم الموت [١]، فإن الإمام (عليه السلام) قد جعل ذلك في دلالة لفظة (الأمام)، وذلك " لأن الإنسان كالسائر إلى الموت أو السائر إلى الجزاء، فهما أمامه، أي بين يديه " [٢]، أما الساعة، فقد جعلها الإمام وراءنا تسوقنا، " جعلها وراءنا، لأنها إذا وجدت ساقت الناس إلى موقف الجزاء كما يسوق الراعي الإبل، فلما كانت سائقة لنا، كانت كالشيء يحفز الإنسان من خلفه، ويحرّكه من وراءه إلى جهة ما بين يديه " [٣]، وإذا عُرف معنى أن تكون الغاية أمامنا، فإن معنى أن تكون الساعة وراءنا يبدو ملتبس الدلالة، ذلك ما يأتي – والساعة كذلك – يكون أمامنا، وقد حلّ ابن قتيبة ذلك الالتباس، إذ قال: " كل ما غاب عن عينك فهو وراء، كان قُدّامك أو خلفك " [٤]، فـ (أمام) لا تقابلها (وراء)، وإنما يقابلها الظرف المكاني (خلف)، ولمّا كان الظرف (وراء) يدل على حركة، فجاء به الإمام لبيان سيرهم نحو الساعة. إذن تُشير دلالة الظرفين المكانيين إلى دلالة معنوية، أراد بها الإمام الموعظة، أي أن النهاية وهي الغاية أمام الإنسان، وهي المحصلة النهائية لأعماله الدنيوية، فإما السعادة أو الشقاوة، وإنّ قيام الساعة وراء الإنسان مهما طال أمده .

وإذا كانت الظروف السابقة متقابلة من حيث دلالتها المكانية، فإن هناك ظروفاً تأتي متقابلة، ولكن من حيث دلالتها الزمانية، ومن تلك الظروف التي جاءت في نهج البلاغة، الظرفان (بعد) و (قبل)، وقد ورد هذان الظرفان متقابلين في قول الإمام (عليه السلام): ((لَمْ يُخْلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ، رُسُلٌ لا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ ، مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ ، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ))[٥]، فالإمام في هذا الموضع من كلامه يُشير إلى مسألة عدم خلوّ الأرض من حُجّة تُنير للأنام طريقهم، أي تناوب خلفاء الله تعالى على الأرض، وذلك لأن " من ألطاف الأنبياء المتقدمين وأوصيائهم، أن يعرفوا الأنبياء المتأخرين وأوصيائهم، فعرفهم الله تعالى ذلك، وكان من اللطف بالمتأخرين وأوصيائهم أن يعرفوا أحوال المتقدمين من الأنبياء والأوصياء، فعرفهم الله تعالى ذلك أيضاً، فتم

---

[١]. ينظر: المصدر نفسه: ١ / ١٠٣ .

[٢]. شرح نهج البلاغة: ١ / ١٠٣ .

[٣]. نفسه: ١ / ١٠٣ .

[٤]. تأويل مشكل القرآن (ابن قتيبة)، شرحه ونشره: السيد أحمد صقر، ط ٣ ، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان – ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م: ١٨٩ .

[٥]. شرح نهج البلاغة: ١ / ١١٤ (خ ١) .

اللطف لجميعهم " [١]، فالغرض من التقابل بين الظرفين (بعد) و(قبل) هو شغل الحيّز الزماني حتى يستغرق الوجود كلّه، وذلك يعني أن حجّة الله تعالى قائمة على الخلق بأوليائه في كل مرحلة من مراحل وجودهم. والإمام يورد الظرفين (بعد) و (قبل) في سياقات متنوعة، والهدف من إيرادها هو استيفاء الحدود القصوى للزمن ببعديه (القَبْلي) و (البعدي) ولعل في ذلك ما يفسّر مجيء (قبل) و(بعد) في أثناء جمل تحمل أوصافاً تستوعب مَدَيات زمانية غير قابلة للزيادة أو النقصان .

وكذلك أورد الإمام التقابل بين الظرفين الزمانيين المطلقين، في بيان أوصاف سبحانه وتعالى وأوصاف القرآن الكريم، إذ قال: ((الأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَالآخِرُ الذي لَيْسَلهُ بَعْدٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ بَعْدَهُ)) [٢]، وقال: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الأَوَّلِ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ، وَالآخِرِ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ)) [٣] .

واستعمل الإمام ذينك الظرفين في بيان فضل القرآن الكريم، إذ قال (عليه السلام):

((وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ، وَلا لأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنىً)) [٤] .

ب . التقابل الدلالي بين الجار والمجرور (التقابل الحرفي)

هذا القسم من قسمي (تقابل أشباه الجمل)، هو مما يمكن أن يُعرف بتسمية (تقابل الكل باسم الجزء)، ذلك لأن جزءً من جزءي (الجار والمجرور) – وهو المجرور على وجه التحديد –ليس معنياً بـ(التقابل)، وأن الذي يعنيه أمر التقابل ويكون فيه، هو حرف (الجر)، ولكن لمّا كان حرف الجر لا يؤدي وظيفته، ولا يتضّح معناه إلاّ بغيره (المجرور)، لذا جاز في هذا الأخير أن ينضم مع ما قبله ليؤدي الاثنان وظيفة واحدة ويدلان على معنىً واحد .

وقد اختلف النُحاة في تسمية حروف الجر، فهي عند البصريين تسمّى بـ (حروف الإضافة) [٥]، " لأنها تُضيف معاني الأفعال إلى الأسماء، أي توصلها إليها " [٦]، وهي عند الكوفيين (حروف الصفات) [٧]، " لأنها تُحدث صفة

---

[١]. شرح نهج البلاغة: ١ / ١١٦ .

[٢]. شرح نهج البلاغة: ٦ / ٣٩٨ (خ ٩٠) .

[٣]. شرح نهج البلاغة: ٧/ ٩٦ (خ ١٠٠) .

[٤]. شرح نهج البلاغة: ١٠ / ١٨ – ١٩ (خ ١٧٧) .

[٥]. ينظر: شرح المفصّل: ٨ / ٧ ، وشرح الرضي على الكافية: ٢ / ٣٥٤ .

[٦]. حروف الجر وتعلّقها: ٢٩٦ .

[٧]. الإيضاح في شرح المفصّل: ٢ / ١٤٠ .

صفة في الاسم كالظرفية والبعضيّة والاستعلاء وغيرها من الصفات " [١]، ويسمّيها ابن الحاجب النحوي بـ (حروف الجر والإضافة)، ويرجع ذلك إلى ما انطوت عليه تلك الحروف من معانٍ، إذ يقول ابن الحاجب: " سميت معناها، كما قيل: حروف النفي وحروف الإضافة وحروف الجر، لأنها تضيف معاني الأفعال إلى الأسماء – أي توصله – وكذلك تجرّه، ويكون المراد به نفس الإعراب، فكأنها أُضيفت إلى الإعراب الذي هو معمولها، كما يقال حروف النصب وحروف الجزم، وكلها اشتركت في أنها وصلت على ذلك وإنْ اختلفت معانيها " [٢]، فحروف الجر لها وظيفة دلالية تضاف إلى وظيفتها اللفظية (الجر) ، وهاتان الوظيفتان تُشكلان بنية واحدة لها دلالة على معنى معيّن، تقابلها بنية أخرى لها دلالة على معنى مقابل للمعنى الأوّل، إذ تؤلّف البنيتان نوعاً من التقابل، يمكن أن يُطلق عليه (تقابل الجار والمجرور) .

ومما ورد في نهج البلاغة من تقابل (الجار والمجرور) قول الإمام (عليه السلام) في صفة الدنيا: ((مَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ، وَمَنْ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ)) [٣]، فـ (الجاران) و (المجروران) المتقابلان، هما (بها) و (إليها)، أو بالأحرى هما حرفا الجر (الباء) و (إلى)، إذ أن (الهاء) في كلا الحرفين لها مرجع واحد تعود إليه، والمرجع هو الدنيا التي قام الإمام بوصفها، غير أن هذا المرجع (الدنيا)قد استمد شيئاً من دلالته من حرف الجر المتصل به، ذلك لأن البصر بالدنيا هو غير البصر إليها، فمن أبصر بها " جعل الدنيا آلة البصيرة ليرى بها الأشياء ويعتبر بها الأمور كيف تُصرف وتنتقل من حالٍ إلى حال، أي أرته الأمور مجاريها ومصايرها، فلا يغتر بها لمعرفته حقيقتها، ومن أبصر إليها: أي جعل غاية نظره الدنيا يتطلّب جاهها وما لها وعزّها، فأنها تعميه وتسبب له الهلاك " [٤]، فالتقابل الوارد في نص الإمام متأتٍّ من حرفي الجر (الباء) و(إلى)، وقد استجلب هذا التقابل نتيجتين متقابلتين أيضاً، هما (البصر) و (العمى) .

ويقابل الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة ضمن ما يمسى بـ(تقابل الجار والمجرور) بين الحرفين الجارين (اللام) و (الميم)، وذلك في بيان عدالته(عليه

---

[١]. شرح المفصّل: ٨ / ٧ ، وينظر: شرح الرضي: ٢ / ٣٥٤ ، وهمع الهوامع: ٢/ ١٩ .

[٢]. الإيضاح في شرح المفصّل: ٢ / ١٤٠ .

[٣]. شرح نهج البلاغة: ٦ / ٢٣٨ (خ ٨١) .

[٤]. توضيح نهج البلاغة: ١ / ٣٠٨ .

(عليه السلام)، إذ قال: ((الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ)) [1]، فـ (اللام) في هذا الموضع، أي في (لهُ) تفيد معنى (التمليك)، وهذا هو أحد معاني (اللام) في كتب (حروف المعاني) [2]، أي أن الإمام (عليه السلام) بإمكانه أن يملك الحق للذليل حتى يكون الذليل عزيزاً، أما المجرور (الهاء) فإنّه يعود على الذليل. وبالمقابل فإن حرف الجر الآخر (من) له معنى مقابل لمعنى الحرف الأول، والمعنى هو (الاستخراج)، وهذا المعنى هو الأصوب على وفق ما ذهب إليه أحد المحدثين [3]، مخالفاً بذلك سيبويه في عدّه (من) في مثل هذا الحال للغاية [4]، أما المجرور الآخر، فهو (الهاء)، وهذا الضمير له مرجع يعود عليه، وهو (القوي)، وهو يقابل بمعنى من المعاني – تقابل معنوي – المرجع الأول (الذليل)، أي أن الإمام (عليه السلام) في الطرف الآخر من التقابل يقصد أن بإمكانه أن ينتزع الحق من القوي حتى يعود ذلك القوي ضعيفاً، والمراد بنص الإمام هو " أن الذليل المظلوم، أقوم بإعزازه ونصره، وأقوي يده إلى أن آخذ الحق له، ثم يعود بعد ذلك إلى الحالة التي كان عليها قبل أن أقوم بإعزازه ونصره، والقوي الظالم استضعفه واقهره وأذلّه إلى أن آخذ الحق منه، ثم يعود إلى الحالة التي كان عليها قبل أن أهتضمه لاستيفاء الحق " [5]، فالمتقابلات في النص هي حرفا الجر (اللام × من)، والمجروران (الهاء) كنايةً عن الذليل، وتقابلها (الهاء) كنايةً عن القوي، فالأخيران تقابلا بالكناية وليس بالتصريح .

وإذا كان الإمام (عليه السلام) في تقابل (الجار) و (المجرور) السابق قد قابل بين ركني ذلك التركيب، فإنه قد يورد أحياناً نمطاً آخر من تقابل الجار والمجرور، وينماز هذا النمط من التقابل، بأنّ أجزاءه (الجار والمجرور) ليست متقابلة فحسب، وإنما هي متناوبة بشكلٍ معكوسٍ أيضاً، أي أن (الجار) الأول في الطرف الأول من التقابل له (مجرور) معين في هذا الطرف نفسه، في حين أن لذلك الجار (الأول) مجروراً غير ذلك المعين، ولكن في الطرف الآخر من التقابل، يزداد على ذلك وجود جارّين ومجرورين آخرين على تلك الشاكلة السابقة في سياق الجملة المتقابلة دلالياً بجارّها ومجرورها الأولين، أي أن الجارين والمجرورين يتناوبان بشكلٍ معكوس في جملة واحدة، ومما جاء في نهج البلاغة

---

[1]. شرح نهج البلاغة: ٢ / ٢٨٤ (خ ٣٧) .

[2]. ينظر: الجنى الداني: ١٤٤ ، والتحفة الوفية: ٢١ ، وحروف المعاني بين الأصالة والحداثة (حسن عباس) منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق – ٢٠٠٠ م: ٥٣ .

[3]. ينظر: حروف المعاني بين الأصالة والحداثة: ٦٨ .

[4]. ينظر: كتاب سيبويه: ٤ / ٢٢٥ .

[5]. شرح نهج البلاغة: ٢ / ٢٨٦ .

على تلك الحال، قول الإمام (عليه السلام): ((أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً ، وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ)) [1]، فحرفا الجر المتقابلان من حيث الدلالة، هما (اللام × على)، فـ (اللام) في هذا الموضع للـ (استحقاق)، وهذا هو أحد معانيها [2]، أي ما أستحقه منكم هو الحق، أما (على) فهي تفيد في هذا الموضع (الاستعلاء) [3]، أي أن حقي – والحديث للإمام – مُستعلٍ عليكم، هذا في الطرف الأول من التقابل، أما في الطرف الآخر منه، فإن الإمام قد عكس المسألة تماماً، إذ أن ما كان له من الحق صار عليه، وما كان عليهم من الحق صار لهم، ويمكن أن يُضاف إلى هذا النوع من التقابل تقابل آخر، وذلك التقابل يمكن تسميته بـ(التقابل المرجعي)، إذ أن الضميرين المجرورين (الياء) التي مرجعها شخص الإمام (عليه السلام)، و (كم) التي مرجعها الناس المخاطبون، يمكن أن يقف أحدهما مقابلاً للآخر، فالتقابل الوارد في نص الإمام لم يكن متأتياً من الدلالة التي تستجلبها الحروف الجارّة وإنما قد تأتي من المراجع المفهومة التي دلّت عليها الضمائر المجرورة .

وفي سياق الاستفهام الإنكاري، ورد تقابل حرفي الجر (اللام) و (على) في قول الإمام (عليه السلام) للأشعث بن قيس: ((مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي)) [4]، فالحرفان المتقابلان في الدلالة، هما (على) و (اللام)، قد بُيّن معنيا الحرفين فيما سبق، غير أن المرجع المفهوم للضمير المجرور (الياء) في كلا الطرفين هو واحد، وهو الإمام نفسه، وقد جاء التقابل هنا في معرض الرد على الأشعث بن قيس في اعتراضه على الإمام (عليه السلام) في أمر التحكيم [5]، فكأنّ الإمام أراد أن يوقف الأشعث بن قيس عند الحد الذي يجب عليه أن يقف عنده، وذلك عن طريق معرفة الحقوق والواجبات المتقابلة، والتي يضطلع الإمام بمعرفتها من دون أن يُعرّف بها .

وإذا كان الإمام (عليه السلام) قد وظّف في التقابل السابق، حرفي الجر (على) و (اللام) ليُحدث نوعاً من المقابلة الدلالية في المعنى، فإنه (عليه السلام) في

---

[1]. شرح نهج البلاغة: ٢ / ١٨٩ (خ ٣٤) .

[2]. ينظر الجنى الداني: ١٤٣ ، والتحفة الوفية: ٢٢ ، وحروف المعاني بين الأصالة والحداثة: ٥٣ .

[3]. ينظر :نفسه: ٤٤٤ ، ونفسه: ٢٦ ، ونفسه: ٧٣ .

[4]. شرح نهج البلاغة: ١ / ٢٩١ (خ ١٩) .

[5]. ينظر: شرح نهج البلاغة: ١ / ٢٩٦ ، وتوضيح نهج البلاغة: ١ / ١١٩ ، ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٣ / ٢٨٣ ، في ظلال نهج البلاغة: ١ / ١٥٣ .

موضع آخر من نهج البلاغة يعمد إلى حرفي جر آخرين يكون منهما حرف (اللام)، أما الحرف الآخر المقابل له، فهو (عن)، ولمّا عُرف – فيما مضى – أن معنى (اللام) هو (التمليك)، فإن الحرف (عن) في هذا المعنى هو المجاوزة والحركة، أو المجاوزة وحدها، لأن فيها معنى الحركة، و (المجاوزة) كما تذكر كتب معاني الحروف، هي أشهر معنى من معاني (عن) [1]، ومما جاء في نهج البلاغة من التقابل بين الحرفين (اللام) و (عن)قول الإمام (عليه السلام) في الاستعداد للموت: ((فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، وَابْتَاعُوا مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ)) [2]، ولا يخفى اثر الفعلين (يبقى) و (يزول) في نص الإمام، إذ أن لكل فعل منهما دلالة يعززها ما يدل عليهما الحرفان (اللام) و (عن) أي أن المتعلقين يعززان ما تعلّقا عليه من حيث الدلالة المتقابلة لكل منهما. وقد استثمر الإمام التقابل في هذا الموضع لغرض الإشارة " إلى لزوم الزهد في الدنيا، والتخلّي عن متاعها الفاني، وأن يشتري به ما يبقى من متاع الآخرة " [3]، فالإمام يرشد إلى عملية المقايضة، أي مقايضة الدنيا التي من صفتها الزوال والمجاوزة، بالآخرة التي صفتها البقاء والمكوث، وقد تمت تلك المقايضة (المقابلة) بوساطة الحرفين (اللام) و (عن)المتعلقين بفعلين متقابلين أصلاً .

وقد يأتي في نهج البلاغة حرفان متقابلان دلالياً، ولكن تقابلهما لا يحصل بأن يكون أحدهما ذا دلالة على حركة والآخر ذا دلالة على السكون – كما هو الحال في التقابل السابق - وإنما قد يكون الحرفان المتقابلان لهما دلالة على الحركة، ولكن تلك الحركة مختلفة في اتجاهها، وقد ورد ذلك التقابل (التقابل المعاكس) في قول الإمام (عليه السلام) مخاطباً أصحابه: ((وَقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ اللَّهِ مَنْقُوضَةً فَلا تَغْضَبُونَ ، وَأَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمَمِ آبَائِكُمْ تَأْنَفُونَ ، وَكَانَتْ أُمُورُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ ، وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ ، وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ))[4]، فالحرفان المتقابلان هما (على) و(عن)، واتجاه هذين الحرفين فيما يدلان عليه من جهة إلى جهة أخرى أي أن الطرف الأول (الجهة الصادرة)، والطرف الثاني (الجهة التي ورد إليها)، وليس هذا فحسب، وإنما في هذا النوع من التقابل طرف ثالث، واتجاه هذا الطرف هو من (الجهة التي ورد إليها إلى جهة أخرى صدر إليها)، وقد دلّ على هذا الطرف حرف الجر (إلى)، ويمكن أن يطلق على هذا

---

[1]. ينظر: الجنى الداني: ٢٦١ ، والتحفة الوفية: ٢٥ ، وحروف المعاني بين الأصالة والحداثة: ٦٩ .

[2]. شرح نهج البلاغة: ٥ / ١٤٥ (خ ٦٣) .

[3]. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٢ / ١٦٣ .

[4]. شرح نهج البلاغة: ٧ / ١٧٦ (خ ١٠٥) .

النوع من التقابل بـ (التقابل الثلاثي الأبعاد) [١]، فالأبعاد تبدأ بأن الأحكام الشرعية تصدر من الإمام (الاتجاه الأول)، لترد إليهم – أصحابه – وهم (الاتجاه الثاني)، فيتعلمون تلك الأحكام من الإمام، ومن ثم تصدر منهم – أصحابه –إلى من يتعلّم تلك الأحكام (الاتجاه الثالث)، ثم ترجع إليهم – أصحابه– أي من يتعلمها من أبنائكم وإخوتكم من هؤلاء المتعلمين [٢] .

ثـانيـاً : التقابل الدلالي بين الأساليب

الأسلوب :

يكاد يتطابق مفهوم الأسلوب في اللغة العربية لغةً واصطلاحاً، فالأسلوب لغةً هو " الطريق. ويُقال: سلكت أسلوب فلان في كذا: أي طريقته ومذهبه. والأسلوب: الفن، ويقال: أخذنا في أساليب من القول: فنون متنوعة، والأسلوب: الصّفُ من النخل وجمعه أساليب " [٣]، ويمكن أن نجد في تعريف الأسلوب في المعاجم العربية الإيحاء بأن الأسلوب هو التناسق، وهذا ما يؤكده القول بأنه " سطر من النخل " [٤]، وكذلك هو الإيحاء بالامتداد، ويسند ذلك القول، أن الأسلوب هو " كلّ طريق ممتد " [٥]، ولذلك يكون الأسلوب – أكثر ما يكون – في النص الممتد. أي أن الأسلوب يتناسب طردياً مع إنتاج الأديب [٦]، ويتجلّى هذا التناسب مع نصوص نهج البلاغة الغزيرة .

وقد صاغ لنا الدكتور محمد بلوحي تعريفاً للأسلوب بعد أن تأمّل نظرة ابن طباطبا إلى الأسلوب [٧]، فقال: " إن الأسلوب ليس المعنى وحده واللفظ وحده، وإنما هو مركب فني من عناصر مختلفة يستمدها الفنان من ذهنه ومن ذوقه، تلك العناصر هي الأفكار والصور والعواطف، ثم الألفاظ المركبة والمحسنات المختلفة "

---

[١]. ينظر: الإسلام والأدب (د. محمود البستاني)، المكتبة الأدبية المختصة، ط ١، قم – ١٤٢٢ هـ: ١٤١ .

[٢]. ينظر: شرح نهج البلاغة: ٧ / ١٧٧ ، وصفوة الشروح: ٢٦٣ .

[٣]. أساس البلاغة: (سلب) ٢١٧ ، ولسان العرب: (سلب) ١ / ٤٧٣ ، وتاج العروس: (سلب) ١ / ٣٠٢ ، والمصباح المنير: (سلبته) ١ / ٢٤٣ .

[٤]. لسان العرب: (سلب) ١ / ٤٧٣ .

[٥]. نفسه .

[٦]. ينظر: مقدمة في النقد الأدبي (د. علي جواد الطاهر)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، بيروت – ١٩٧٩م: ٣١٩ .

[٧]. ينظر: عيار الشعر(ابن طباطبا)، تح: عباس عبد الستار، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت – ١٩٨٣م: ١١ – ١٦ .

[١]. وقد ميّز بين الأسلوب والأسلوبية. فالأسلوب هو " أداة التواصل اليومية "، أما الأسلوبية فهي " المنهج الذي يتبعه المبدع والذي يميّز آثاره الفنية عن غيرها من الأعمال والآثار " [٢]. ويرى الدكتور صلاح فضل أن الأسلوب: " هو محصلة مجموعة من الاختيارات المقصودة بين عناصر اللغة القابلة للتبادل " [٣] ، وأوسع مجال للاختيار هو " مجال التعبيرات المجازية التصويرية من تشبيه واستعارة وغيرها، إذ يستطيع الكاتب أن يقارن أي شيء بأي شيء آخر، مادام هناك شبه أو علاقة من نوع ما " [٤]، ويحكم عملية الاختيار عوامل، يمكن تصنيفها إلى نوعين:

عامل ذاتي: يشمل الإطارات اللغوية كالمتكلم وتفكيره، ومهاراته الأسلوبية .

عامل موضوعي: ويشمل المقام بأوسع مفهوماته[٥] .

ولا يخفى تأثير ذنيك العاملين في إنتاج السفر الخالد لأمير المؤمنين، فقد أثارت أحداث حياته الكريمة والأوضاع التي تعرّض لها الدفين من ملكة الإمام (عليه السلام)، فذهب يعبّر عن تلك الأحداث والمواقف بالخطاب المباشر أحياناً، وفي الغالب يلجأ إلى التعبير بالمجاز لأنه: " يُعدّ وسيلة فنية لإثراء الدلالة، وتحقيق القوة التعبيرية على مستوى التركيب " [٦]، ويُعدُّ المجاز أبلغ من الحقيقة، لما فيه من خيال ومجال وتصوير، وقد استطاع الإمام من خلال التشبيه والاستعارة والكناية أن يصوّر الأبعاد النفسية والأفكار التي كان يرمي إليها بشكلٍ يحقق عنصر التأثير والانفعال لدى المتلقي، من إثارة النفس أو إلهاب العاطفة أو إذكاء الشعور في حالتي الترغيب والترهيب، وفي كل ذلك كان يتوخّى رصانة الألفاظ، ودقة سبكها وصياغتها، لذا جاءت الفقرة الثانية من الفصل الثالث متضمّنة بعض الصور والمشاهد والمواقف التي صوّرها الإمام

---

[١]. الأسلوب بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحديثة (د. محمد بلوحي)، (مقال)، مجلة التراث العربي، العدد (٩٥)، دمشق، أيلول ٢٠٠٤ م – رجب ، ١٤٢٥ هـ: ٥٣ .

[٢]. نفسه .

[٣]. علم الأسلوب (مبادؤهوإجراءته)، (د . صلاح فضل)، دار الشروق، ط ١ ، القاهرة – ١٩٩٨ م: ١١٦ .

[٤] . علم الأسلوب: ١١٩ .

[٥]. ينظر: دلالة الأطر الأسلوبية (رشيد بلحبيب)، (بحث)، المجلة العربية للثقافة، العدد ٣٧ ، ١٩٩٩م: ١ .

[٦]. في البنية والدلالة – رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية (د. سعد أبو الرضا)، منشأة المعارف بالإسكندرية، د . ت : ٨٣ .

لنا، وعرض فيها صوراً كاملة متكاملة فيها " المعقول محسوس، والمنظور مسموع، والمسموع منظور " [١] .

١ : التقابل الدلالي بين الصور

نجد في نهج البلاغة، ومن خلال التعابير المتقابلة، صوراً متعددة ومتباينة، ولاسيما ما يتعلق بالتراكيب، لأنها هي التي ترسم – في الغالب – الصورة الفنية، ويتم ذلك بوسيلتين:

أحدهما: " تقديم المعنوي المجرد من خلال الحسّي العيني، وهذا أمر يتم عن طريق إحلال طائفة من الصور الحسّية محل طائفة من المعاني المجردة، تمثيلاً لتلك الأخيرة، وتمكيناً لها من أن تتخيل في الذهن كما تتخيل المتحققات " [٢] .

وثانياً: " عن طريق التشخيص الذي يقوم على خلع الإنساني على الكائنات الحية والجامدة، المعنوية وغير المعنوية، مما هو غير إنساني " [٣] .

وقبل البدء في عرض الصور التي جاءت متقابلة في نهج البلاغة، نقف على ما جاءت به كتب أهل اللغة والأدب من معنى لتلك المفردة .

الصُّورةُ " التمثال وجمعها (صُور) وتصوّرْت الشيءَ مَثّلت صورتَهُ وشكلهُ في الذهن فَتصوَّر هَو " [٤]، " وصَوَّرَهُ مشتق من الثلاثي (صارَ) وهو: جعل له صورةٌ مجسّمة، وصور الأمر: وصفه وصفاً يكشف عن جزئياته، و (تَصَوَّر): تكوّنت له صورة وشكل، وتَصوَّر الشيء: تخيّله واستحضر صورتهُ في ذهنه، والصُّورةُ: الشكل والتمثال المُجسَّم. وصورة الشيء: خياله في الذهن أو العقل " [٥]. أما في الاصطلاح فقد قال الجرجاني: "واعلم أن قولنا الصورة إنّما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا " [٦]، والصورة " تركيب لغوي لتصوير معنى عقلي وعاطفي متخيّل لعلاقة بين شيئين يمكن تصويرها بأساليب عدّة " [٧]. وقال الدكتور جابر أحمد عصفور: " إن الصورة طريقة خاصة من طرق التعبير، أو وجه من أوجه الدلالة، تنحصر أهميتها فيما تُحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير، ولكن أيّاً كانت هذه الخصوصية، أو ذاك التأثير، فإن

---

[١]. الصورة البيانية بين النظرية والتطبيق (د. حنفي محمد شرف)، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط ٢ ، ١٩٧٩م: ٢٢١ .

[٢]. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي (جابر أحمد عصفور)، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت – ١٩٨٣ م: ٢٦٨ .

[٣]. نفسه .

[٤] . المصباح المنير: (الصورة) ١ / ٣٥٠ .

[٥]. المعجم الوسيط: ١ / ٥٣٠ .

[٦]. دلائل الإعجاز: ٣٥٥ .

[٧]. بديع القرآن: ٣١ .

الصورة لن تغيّر من طبيعة المعنى في ذاته، إنّها لا تغيّر إلاّ من طريقة عرضه، وكيفية تقديمه " [١] .

أما الصورة عند البصير فهي " الصلة بين الأديب المنشيء والمتلقي المتذوّق تجري رسولاً من عنده وتتخطّى الزمان والمكان خلودا على الأزمان " [٢]. فالصورة تأتي من دلالات الكلمات والعبادات المجازية، أو من المعاني التي تدل دلالة تبعية تدل عليها الكلمات والعبارات بسبب جرسها وموسيقاها، حين تثير في النفس انفعالات خاصة ليست من طبيعة الكلمات في أصل وضعها [٣] .

وقد تضمّن نهج البلاغة صوراً كان القصد من ورائها تقريب ما هو بعيد، وإحضار ما هو غائب، فقال (عليه السلام) في سياق التنبيه : ((أَلا وَإِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ، حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وَخُلِعَتْ لُجُمُهَا، فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ. أَلا وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ، حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا ، وَأُعْطُوا أَزِمَّتَهَا، فَأَوْرَدَتْهُمُ الْجَنَّةَ)) [٤]، فالخطايا: " جمع خطيئة، وهي الذنب، وشُمُسُ: جمع شموس، وهو الفرس الجموح يأبى ويمتنع أن يمكن أحداً من ظهره " [٥]. أما المطايا فهي " جمع مطيّة، وهي الدابة " [٦]، والذُلل " جمع ذلول، ويقال للدّابّة إذا سهُل ركوبها وانقيادها " [٧]. شبّه الإمام الخطايا بالفرس الجموح، والنفس كالراكب، والدين كاللجام، ومن ركب فرساً جموحاً بلا لجام يردعها، أوردته مناهل الهلكة، أما التقوى فإنها كالمطية الذلول التي زمامها بيد الإنسان فقد حفظها عن السرعة والحركة غير المرغوبة، فأدخلته الجنّة في سير مريح [٨]. فلما قصد الإمام التحريض على اجتناب المعاصي والآثام والتزام التقوى، أتى بصورتين متقابلتين انتزعهما من واقع الحياة العربية ليكونا أوقع في النفوس .

وكثيراً ما تقترن الصورة بحركة، ويعمل التخييل على الإسهام في رسمه لتلك الصورة، وقد عبّر الإمام (عليه السلام) عن حالتي القبض والبسط في صورتين متقابلتين، وذلك في معرض التحقير لما هو فيه من أمر الدنيا وما بقي له

---

[١]. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: ٣٩٢ ، وينظر: بناء القصيدة الفني في النقد القديم والحديث (مرشد الزبيدي)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – ١٩٩٤ م: ٤٥ .

[٢]. بناء الصورة الفنية في البيان العربي (موازنة وتطبيق)، (د. كامل حسن البصير)، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م: ٧٧ .

[٣]. ينظر: بناء الصورة الفنية: ٦١ – ٧٧ .

[٤]. شرح نهج البلاغة: ١ / ٢٧٢ (خ ١٦) .

[٥]. المصباح المنير: (خطوت) ١ / ١٤٧ . (الشمس) ١ / ٣٢٢ .

[٦]. المصباح المنير: (المطا) ٢ / ٥٧٥ .

[٧]. المصباح المنير: (ذَلّ) ١ / ٢١٠ .

[٨]ينظر: توضيح نهج البلاغة: ١ / ١٠٣ ، وفي ظلال نهج البلاغة: ١ / ١٣٧ .

من التصرف الحق بالأمصار بالنسبة إلى ما لغيره من التصرف الباطل، إذ قال: ((مَا هِيَ إِلاَّ الْكُوفَةُ أَقْبِضُهَا وَأَبْسُطُهَا، إِنْ لَمْ تَكُونِي إِلاَّ أَنْتِ تَهُبُّ أَعَاصِيرُكِ فَقَبَّحَكِ اللَّهُ !)) [1]، القبض و البسط هما من الأفعال المادية التي يمارسها الإنسان وقد كنّى بهما الإمام ليعبّر عن وجوه تصرّفه بالكوفة، وهي ليست بشيء إذا قيست إلى غيرها من سائر البلاد التي عليها الخصم [2]. فقد استفاد الإمام مما تومئ إليه الصورتان (القبض والبسط) في واقعهما ليجسّد الصورتين عن واقع من نوع آخر، فجسّد ما ليس مُجسّداً، وألبس غير المحسوس لبوس المحسوس، لتتحوّل الأشياء إلى أشياء جديدة من دون أن تفقد تواصلها مع معانيها الأولى [3] .

ويعرض الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة صورتين متقابلتين أيضاً، يصوّر بهما حال الناس الذين يخاطبهم، إذ تصور تلكما الصورتان الفرق بين ما يسعى الإمام إلى تحقيقه، وبين ما يبتغي الناس من وضع يرومون أن يكون عليه، فالإمام يأمل لمَّ شمل الأمة تحت لواء واحد وخلف كلمة واحدة، في حين يصرّ الناس على أن يبقوا متشتتين. ولا سبيل لتصوير تلك المفارقة إلاّ باستحضار صورة الإبل التي ما أن تجمع من جانب حتى تتفرّق من جانب آخر، فهذه الصورة صورة متكاملة من حيث أنها تجسّد مشهداً واحداً، غير أن هذا المشهد يحمل بين طيّاته صورتين متقابلتين تعكسان حجم المفارقة التي أراد الإمام التعبير عنها، إذ قال (عليه السلام) : ((مَا أَنْتُمْ إِلاَّ كَإِبِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا، فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرَ))[4]، فالصورتان المتقابلتان في نص الإمام هما صورة جمع الإبل وانتشارها، والإمام يصوّر حال الناس لغرض " الإشارة إلى أنهم ضعيفو العزم مشتتو الآراء لا يجتمعون على مصلحة بها يكون نظام أحوالهم في الدارين " [5] .

ويستثمر الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة صورتين ماديتين مألوفتين لدى المتلقي، ينتزعهما الإمام من الواقع لصوّر بهما حالتين مختلفتين (متقابلتين)، والصورتان هما صورة تقديم اليد، وصورة تأخير الرجل إذ أن هاتين

---

[1] شرح نهج البلاغة: ١ / ٣٣٢ (خ ٢٥) .

[2]. ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير): ٢ / ١٩ ، وفي ظلال نهج البلاغة: ١ / ١٧٦ .

[3]. ينظر: التصوير الفني في القرآن: (سيد قطب)، ط٣ ، دار المعارف، مصر، د . ت: ٦٢ ، والصورة الفنية في كلام الإمام علي (عليه السلام)، (د. خالد محي الدين البرادعي)، (بحث)، مجلة المنهاج، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت، ع ١٥ ، س ٢ ، ١٤١٨ – ١٩٩٧م: ١٦٦ ، وخطب نهج البلاغة – بحث في الدلالة: ٢٨٤ .

[4]. شرح نهج البلاغة: ٢ / ١٨٩ (خ ٣٤) .

[5]. شرح نهج البلاغة (الكبير): ٢ / ٧٩ .

الصورتين – لاشك – معهودتان لكل ذي عينين، فهما يمثلان حالة المشي، غير أن الإمام يصور بهما حالين مختلفين، حالة هجوم الخصم وحالة رجوعه القهقرى، إذ قال(عليه السلام) لأصحابه في حرب صفّين: ((عَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الأَعْظَمِ، وَالرِّوَاقِ الْمُطَنَّبِ، فَاضْرِبُوا ثَبَجَهُ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ ، وَقَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَداً، وَأَخَّرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلاً)) [1]، أشار الإمام لأصحابه بأن معاوية وسمّاه الشيطان مختفٍ في جانب الرواق المطنّب (خيمة) التف بها الناس واجتمع حولها المعسكر، فقد أمر الإمام بالهجوم عليها، لأن معاوية ينتظر أحد الأمرين، فإن رأى ضعفاً منكم وثب وأقدم (هجم عليكم)، وإن رأى منكم الشجاعة والجلد نكص وتقهقر، فإنه على استعداد للهرب " [2]. إذ أن في ذلك التصوير تكمن كناية عن الوثوب في حالة تقديم اليد، وكناية عن الهروب في حالة تأخير الرِّجل .

ويقابل الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة بين جزأين آخرين من أجزاء الجسم، وذلك في قوله واصفاً الدنيا: ((لَمْ يَكُنِ امْرُؤٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلاَّ أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عَبْرَةً ، وَلَمْ يَلْقَ فِي سَرَّائِهَا بَطْناً إِلاَّ مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْراً)) [3]، فـ (الظهر) و (البطن) هما الجزآن المتقابلان من الجسم، أما ما يشيران إليه من معنى فهو حالتا إقبال الدنيا على الإنسان وإدبارها عنه أي " لم يلق امرؤٌ من خيرها وفضلها بطناً لها إلاّ بذلته من مشقتها وشدّتها (ظهراً) لها، وهو كناية عن كون إقبالها ملازماً لإدبارها وكون خيرها معقباً لشرّها " [4]، ويذكر الشارح " أن من يلقى صاحبه بالشر والسرور يلقاه بوجهه وبطنه، ومن يلقاه بالمساءة والتنكير يلقاه بظهره مولياً عنه دبره "[5]، فالإمام يمنح ما يعتري الإنسان من خير وشر مسحة مادية، إذ استعار الإمام (البطن) بما تمثله من التقدمة والفضل لما يصيب المرء من خير، واستعار كذلك (الظهر) بما يدل عليه من التأخير وعدم الفضل لما يحيق بالإنسان من شر [6] .

---

[1]. شرح نهج البلاغة: ٥ / ١٦٨ (خ ٦٥) .

[2]. ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير): ٢ / ١٨٢ ، وفي ظلال نهج البلاغة: ١ / ٣٣٦ ، وشرح نهج البلاغة (موسوي): ١ / ٤٠١ .

[3]. شرح نهج البلاغة: ٧ / ٢٢٦ (خ ١١٠) .

[4]. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٨ / ١٩ .

[5]. نفسه .

[6]. ينظر: شرح نهج البلاغة: ٧ / ٢٢٩ ، وشرح نهج البلاغة (الكبير): ٣ / ٨٧ ، وتوضيح نهج البلاغة: ٢ / ١٩٨ .

وقد يروي الإمام (عليه السلام) صورة جزء واحد من أجزاء الجسم، ولكن ذلك الجزء له نوعان هما – في حدِّ ذاتيهما – متقابلان، فقد يستحضر الإمام (عليه السلام) صورة (اليد) بنوعيها (القصيرة) و (الطويلة) ليعبّر بالأولى عن حالة العطاء الإنساني، وبالأخرى عن حالة الإعطاء الإلهي، وفي ذلك يقول الإمام معبّراً عن الحالتين بتلكما الصورتين: ((مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ الْقَصِيرَةِ يُعْطَ بِالْيَدِ الطَّوِيلَةِ))[1]، وقد علّق الشريف الرضي على حكمة الإمام هذه قائلاً : " ومعنى ذلك أن ما ينفقه المرء من ماله في سبيل الخير والبر، وإن كان يسيراً، فإن الله تعالى يجعل الجزاء عليه كثيراً، واليدان هما عبارتان عن النعمتين، ففرق (عليه السلام) بين نعمة العبد ونعمة الرب بالقصيرة والطويلة، فيجعل تلك قصيرة وهذه طويلة، لأن نعم الله أبداً تضعفُ على نعم المخلوق أضعافاً كثيرة، إذ كانت نعم الله أصل النعم كلها، فكل نعمة إليها ترجع ومنها تنتزع " [2]، ولم يضف أحدٌ من شرّاح النهج الشيء الكثير إلى ما ذكره الرضي [3]، غير أن ما ذكره الشيخ جواد مغنيه وإن ابتعد قليلاً عمّا ذُكر غير أنه يصبّ في المصب نفسه، إذ يقول الشيخ مغنية: " المراد باليد القصيرة هنا عمل الإنسان وجهاده، وليس المراد بعطائه الصدقة على المعوزين وكفى، كما فهم الشريف الرضي ومن جاء بعده من الشارحين، بل المراد التضحية بالنفس والنفيس لنصرة الحق والعدل، وإزهاق الجور والباطل، أما اليد الطويلة فهي كناية عن عطاء الله سبحانه " [4] .

ومما يجدر ذكره فيما يتعلّق بالتقابل بين صورتي (اليد القصيرة) و (اليد الطويلة) هو أن الإمام لم يأتِ بشيئين مختلفي النوع ليعبّر بهما عمّا أراد التعبير عنه، وإنما عبّر عمّا أراد بشيء واحد مختلف النوع (اليد) طويلةً و (اليد) قصيرةً، ولمّا كان من المعروف أن يعبّر عن النعمة باليد، لذا فقد كنّى الإمام عمّا يريد ذكره في حالتي العطاء والإعطاء بـ (اليد)، إذ أن في ذلك إشارة إلى أن مصدر تلك اليد (النعمة) هو الله سبحانه وتعالى، غير أن المائز بين هذه وتلك هو الحجم، فالأولى (قصيرة) أي قليلة العطاء، والأخرى (طويلة) أي كثيرة العطاء والبذل .

٢ : التقابل الدلالي بين المواقف (التقابل الموقفي)

---

[1]. شرح نهج البلاغة: ١٩ / ٥٩ (خ ٢٢٩) .

[2]. شرح نهج البلاغة: ١٩ / ٥٩ .

[3]. ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير): ٥ / ٣٥٩ ، وتوضيح نهج البلاغة: ٤ / ٣٦٨ ، ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة(خوئي): ٢١ / ٣٠١ .

[4]. في ظلال نهج البلاغة: ٤ / ٣٥٥ .

الموقف صيغة مشتقة من الفعل (وقف)، وذكر الخليل بن أحمد الفعل (وقف) قائلاً : " الوقف: مصدر قولك: وقفت الدابّة ووقفت الكلمة وقفاً، وهذا مجاز، فإذا كان لازماً قلت: وقفت وقوفاً. فإذا وقفت الرجل على كلمة قلت: وقفته توقيفاً، ولا يقال: أوقفت إلاّ في قولهم: أوقفت عن الأمر إذا أقلعت عنه " [١]، فالفعل (وقف) له مصادر مختلفة، واختلاف المصادر متأتٍ مما يدل عليه ذلك الفعل، فهو تارةً له دلالة على أمر مادي، وتارةً أخرى له دلالة على أمر معنوي. أما ما يعني هذا البحث من ذلك الفعل ومصادره، فهو الصيغ التي تأتي على الوزن (مَفْعَل) من ذلك الفعل، والوزن (مُفعل) – كما تذكر كتب الدلالة الصرفية – هو مما يدل على اسمي (الزمان) أو(المكان) [٢]، فـ (الموقف) أو (الموقفي) صيغة لها دلالة قد تكون على (الزمان) أو على (المكان)، هذا من حيث المعنى الذي تدل عليه الصيغة (موقف) صرفياً قبل أن تأتلف مع كلمة (التقابل)، إذ أن لمصطلح (التقابل الدلالي الموقفي) معنى آخر لدى المعنيين بموضوع (التقابل)، إذ يُعرف ذلك النوع من التقابل بأنه " الموقف هو حدث ذو أهمية أو اختيار لحال من الأحوال الفكرية أو النفسية أو الاجتماعية، وأغلب المواقف ترد في نطاق العقائد والقيم الدينية التي جاء بها الإسلام، وما يضادها من قيم عاش عليها الإنسان وألفها، وكانت في حقيقتها وواقعها ضالة ضارة "[٣]، وقيل هو: " أن يصدر من الإنسان موقفان يتناقض أحدهما مع الآخر، وقد يكون ذلك التناقض فطرياً مصدره النفس بما جُبلت عليه من سجايا متقابلة كالرجاء والخوف والرغبة والرهبة، أو قد يكون ذلك التناقض نتيجةً للتباين في المواقف التي يتخذها الإنسان في حياته، وهذا مما يتبع بناء الشخصية الإنسانية وسلوكها في الحياة " [٤]، فـ(التقابل الموقفي) يتعلّق بالإنسان وما يكون فيه من شأن، ولمّا كانت شؤون الإنسان مختلفة، فإن (المواقف) التي يكون فيها تكون مختلفة أيضاً [٥]. وقد جاء (التقابل الموقفي) في نهج البلاغة محاكياً هذا الاختلاف وذاك .

ومما كان من المواقف متقابلاً في نهج البلاغة قول الإمام(عليه السلام) واصفاً حاله وحال غيره من الناس بعد وقعة النهروان :((**فَقُمْتُ بِالأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا ، وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا ، وَنَطَقْتُ حِينَ تَتَعْتَعُوا، وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا**)) [٦]. فالإمام في هذا

---

[١]. كتاب العين:(وقف) ٥ / ٢٢٢ .

[٢]. ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ١ / ١٨١ ، وشذا العرف في فن الصرف: ٨٢ ، والدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ٣٤ .

[٣]. ظاهرة التقابل الدلالي في القرآن: ١٦٣ .

[٤]. خطب نهج البلاغة – بحث في الدلالة: ٢٧٨ .

[٥]. ينظر: التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ١٦٠ .

[٦]. شرح نهج البلاغة: ٢ / ٢٨٤ (خ ٣٧) .

الموضع يعرض حالين مختلفين (متقابلين) لكل حال مواقف متنوعة تباين أو تقابل مواقف الحال الآخر المتنوعة أيضاً، إذ مثّلَ الحال الأول الإمام نفسه، مثّل الحال الآخر الناس الذين وصفهم الإمام، فإذا كان الإمام واقفاً موقف القائم بالأمر، فإن الناس لهم موقف الفشل في القيام بذلك الأمر، والموقفان كما هو واضح، متقابلان، وإذا كان الإمام هو المتطلّع موقفاً، فإن الناس موقفهم التقبُّع، وكذلك النطق موقف للإمام أيضاً يقابله الموقف المتتعتع للناس، وإذا كان الإمام ماضياً بنور الله بموقفه، فإن للناس موقف الوقوف عند ذلك النور، فالإمام في هذا النص من كلامه يُجلّي

مجموعة من المواقف التي مثّلها هو (عليه السلام)، وبالمقابل يورد (عليه السلام) مجموعة أخرى من المواقف التي مثلتها الناس في سلوكهم، إذ أفاد التقابل بين الموقفين عرض ما آلت إليه الأمور بين الإمام وغيره من الناس، إذ يقف الإمام والناس على طرفي نقيض، وهما كذلك في مواقفهما، ولا أدلّ على طبيعة الحياة التي كان الإمام يحياها آنذاك من تلك المواقف المتقابلة (المتناقضة). ويبدو أن التقابل في هذا الموضع ليس تقابل مواقف فحسب وإنما تقابل شخصيات بينها صراع عقائدي فكري، فالإمام ومواقفه المتمثلة بالقيام بالأمر والنطق بالحق والجهاد في سبيل الله ونصرة دينه، تقابلها في الطرف الأخر شخصيات تنافض شخصه الكريم، فهي واقفة عن نصرة دين الله فاشلة غير قادرة على القيام بالأمر. إذن هو تقابل شخصيات يعكس عنها المواقف التي تتخذها تلك الشخصيات .

ومما جاء في نهج البلاغة من المواقف المتقابلة موقفا (العقل) و (الحق)، وقد عبّر الإمام (عليه السلام) عن هذين الموقفين بوساطة عرض حالي صاحبيهما، أي (العاقل)

و (الأحمق)، يقول الإمام (عليه السلام) مصوّراً الموقفين كليهما: ((لِسَانُ الْعَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ ، وَقَلْبُ الْأَحْمَقِ وَرَاءَ لِسَانِهِ)) [1]، فالموقف الأول الذي يمثله (العاقل) هو موقف التروّي والتريّث في الأمور وعدم إطلاق اللسان على عواهنه بحيث يكون العقل حاكماً وموجّهاً للسان يقوده حيث يريد. أما الموقف الآخر فهو الموقف الذي مثّله (الأحمق) إذ يتجلّى فيه التسرّع وعدم الاكتراث بعواقب الأمور، ويكون ذلك عندما يجعل ذلك (الأحمق) قلبه مقوداً للسانه، وعندما يكون القلب أسيراً ومقوداً للسان، فإن الأخير يفضي بالأول إلى مالا يُراد أو مالا تُحمد عقباه. ومما يعزز هذا المعنى ما ذكره الشريف الرضي بعد نص الإمام من تعقيب، إذ أردف الرضي قائلاً : " وهذا من المعاني العجيبة الشريفة، والمراد به أن العاقل لا يُطلق لسانه إلاّ بعد مشاورة الرويّة ومؤامرة الفكرة، والأحمق تسبق حذفات لسانه وفلتات كلامه مراجعة فكره ومماخضة رأيه، فكان لسان العاقل تابع

---

[1]. شرح نهج البلاغة: ١٨/ ١٥٩ (حكمة ٤٠) .

لقلبه، وكأنّ قلب الأحمق تابع للسانه " [١]، ولم يبتعد شرّاح النهج عمّا ذكره الرضي من شرح لنص الإمام [٢]، غير أن صاحب كتاب (في ظلال نهج البلاغة) قد نحا بالنص منحىً آخر، إذ قال: " الإمام ذكر هناك المؤمن مكان العاقل هنا، والمنافق مكان الأحمق، ويومئ هذا إلى أن لا يستقيم إلاّ مع العقل " [٣]، فالشارح هنا يستبدل وصفين بوصفين آخرين، لكن ذلك لا يُخرج الموقفين عن حقيقتهما، وكل ما أراد الإمام عرضه هو الموقف الإيجابي والموقف السلبي بغضّ النظر عمّن يمثل ذينك الموقفين .

ويوردالإمام (عليه السلام) نمطين آخرين من المواقف المتقابلة، والنمطان هما نمط (البخل) ونمط (السخاء)، إذ يذكر الإمام هذين الموقفين في سياق الحديث عن الخلافة، بل إن الإمام (عليه السلام) يجعل من أمر الخلافة محوراً يتقابل عنده الموقفان السابقان، وقد جاء ذلك التقابل في قول الإمام (عليه السلام) ذاكراً الخلافة: ((فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ ، وَالْحَكَمُ اللَّهُ وَالْمَعْوَدُ إِلَيْهِ الْقِيَامَةُ))[٤]، فالموقفان المتقابلان هما موقف (الشُّح) بتلك الأثرة (الخلافة)، وموقف (السخاء) بها. وقد اختلفت الأقوال في تخريج المعنى المراد من أصحاب الموقفين المذكورين آنفاً، أي المراد من النفوس في نص الإمام (عليه السلام)، فذهب بعض الشرّاح إلى أن المراد منها هو نفوس أهل الشورى الذين شحّوا بالخلافة على مستحقيها، وهذا هو مذهب المعتزلة الذي نقله ابن أبي الحديد، وأما النفوس التي سخت فيراد منها نفس الإمام عينه، وهذا رأي ابن أبي الحديد أيضاً [٥]، أما القول الثاني فيصرف معنى النفوس التي سخت بها إلى أهل البيت (عليهم السلام) [٦]، أما القول الثالث فيعرض عن تسمية النفوس التي شحّت، ويكتفي ببيان المراد من النفوس التي سخت، أن يقصد بتلك النفوس – بحسب رأي الأخير – أئمة أهل

---

[١] .شرح نهج البلاغة: ١٨ / ١٥٩ .

[٢] .نفسه، وشرح نهج البلاغة (الكبير): ٥ / ٢٦٣ – ٢٦٤ ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (خوئي): ٢١ / ٧٧ ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (راوندي): ٣ / ٢٨٣ ، توضيح نهج البلاغة: ٤ / ٢٨٠ .

[٣] .في ظلال نهج البلاغة: ٤/٢٤١.

[٤] .شرح نهج البلاغة: ٩ / ٢٤١ (خ ١٦٣) .

[٥] .ينظر: شرح نهج البلاغة: ٩ / ٢٤٣ .

[٦] .ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (خوئي): ١٠ / ٧ .

البيت (عليه السلام) [1]، وبقطع النظر عن أصحاب الموقفين (الشّح) و (السخاء) ، فإنّهما قد مثّلا ثنائية متقابلة تتناقض في التوجّه، وتلتقي في الحد الذي يتقابلان فيه، أي أن الأثر أو الخلافة هي النقطة التي اجتمع عندها الموقفان، وعليها تقابل الموقفان نفسهما، فكان الموقف الأول شاحّاً بها والآخر سخيّاً بها .

ولم يكتفِ الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة بعرض المواقف المتقابلة لدى الأشخاص – كما رأينا في تقابل المواقف السابقة – وإنما قد يُلبس الإمام ما هو غير مُشخّص لباس الأشخاص، ويمنح غير الإنسي صفة الأنسنة، كل ذلك غرضه نفث الحياة في غير الحي، وإظهار الجامد الساكن بمظهر الحيوي المتحرّك، وقد لا يكتفي الإمام بذلك، بل يزيد عليه عندما يجعل غير العاقل صاحب مواقف متقابلة (متناقضة) كما العاقل الذي ينطوي – هو الآخر – على مواقف متقابلة .

فالدنيا – مثلاً – عند الإمام (عليه السلام) كائن ينبض بالحياة، وهي التي تمنح أبناءها ما تريد، لذلك فإن لها مواقف يقف بعضها مقابلاً بعضها الآخر. يقول (عليه السلام) في وصف الدنيا: ((إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَى قَوْمٍ أَعَارَتْهُمْ مَحَاسِنَ غَيْرِهِمْ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُمْ سَلَبَتْهُمْ مَحَاسِنَ أَنْفُسِهِمْ))[2]، فالدنيا هي التي تُقبل على الناس، وهي التي تُعير المحاسن لمن تشاء، وهي التي تُدبر عنهم وتسلب المحاسن ممن تشاء، فالإمام في هذه الحكمة يؤنسن الدنيا بأن يعطيها تلك الصفات، وتلك الصفات – كما هو واضح – متقابلة تعكس موقفين متقابلين أيضاً للدنيا تجاه الناس، ذلك لأن تلك الدنيا إذا أقبلت " على قوم، أي إذا كان قوم في غنى وكل فعل حسن يحصل من غيرهم يمدحون به، وكذلك على عكس ذلك إذا كانوا فقراء وتكون لهم مكارم وأفعال حسنة فغيرهم من الأغنياء في جوارهم يمدحون به " [3]، وقد لا يكون ذلك مستغرباً بالنسبة للحال التي يكون عليها الناس، ولكن الغريب الذي فيه هو أن غير الأنسي (الدنيا) هو الذي تحكم في حال الناس، بمعنى أن للدنيا من المواقف المتقابلة (المتناقضة)ما يجعلها حاكماً على الناس وأحوالهم .

٣ : التقابل الدلالي بين المشاهد

---

[1] .ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (راوندي): ٢ / ٣٢٣ ، ونهج البلاغة (عبده): ١ / ٣١٨ ، وفي ظلال نهج البلاغة: ٢ / ٧ .

[2] .شرح نهج البلاغة: ١٨ / ١٠٥ (حكمة ٩) .

[3] .منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (راوندي): ٣ / ٢٦٩ .

المشاهد جمع مشهد، والمشهد صيغة مصوغة من الفعل الثلاثي (شهد)، وإذا رجعنا إلى معنى هذا الفعل لغوياً نجد أن الخليل بن أحمد يذكر تحت تلك المادة ما نصّه " والمشهد: مجمع الناس، والجمع: مشاهد " [١]، فالمعنى الأولي (اللغوي) للجذر (شهد) المصوغ منه صيغة على وزن (مفعل) يشير إلى مسألتين، إحداهما البعد المادي لمدلول ذلك الجذر، والأخرى هي حالة التجمع التي يدل عليها ذلك الجذر، ولا يختلف غير الخليل من أصحاب المعاجم عنه في إعطاء ذلك المعنى لذلك الأصل اللغوي، غير أنهم يضيفون إليه معنى آخر لا يختلف كثيراً عن المعنى الأول، إذ عندهم أن " المشهد محضر الناس، ومشاهد مكة: المواطن التي يجتمعون بها " [٢]، فالمشهد في اللغة يقتضي حضوراً من الناس. أما في العُرف الاصطلاحي فيمكن تعريف المشهد بأنه ما يقتضي حضوراً مكثفاً من الصور التي تتكفّل نقل الواقع من زوايا مختلفة، أو هو الصورة التي تحتوي عناصر مختلفة من المواقف والشخصيات، ولعل ذلك هو الذي جعل باحثة معاصرة تفرّق بين المشهد والصورة قائلة: " يمكن القول بأن المشهد يختلف عن الصورة باحتوائه على زمان ومكان محددين وتوافره على حدث وشخصية، وتتكاثف هذه العناصر مجتمعة في بناء المشهد " [٣]، فالمشهد عند الباحثة هو غير الصورة، والحال أنه نفسها ولكنه يختلف في كثرة عناصره وتكاثف تفاصيله .

أما التقابل في المشاهد فيراد منه عرض مجموعة من الصور المختلفة التي تنقل واقعاً معيناً، ومن ثمّ عرض صور أخرى مختلفة أيضاً تمثل واقعاً من نوع آخر يقابل الواقع الأول .

ومما ورد في نهج البلاغة من (المشاهد) المقابلة مشهدا (النعيم) و (العذاب)، إذ عرض الإمام (عليه السلام) مجموعة من الصور التي تعكس حال أهل هذا المشهد وذاك، فقال (عليه السلام): ((فَأَمَّا أَهْلُ الطَّاعَةِ فَأَثَابَهُمْ بِجِوَارِهِ، وَخَلَّدَهُمْ فِي دَارِهِ، حَيْثُ لَا يَظْعَنُ النُّزَّالُ، وَلَا تَتَغَيَّرُ بِهِمُ الْحَالُ، وَلَا تَنُوبُهُمُ الْأَفْزَاعُ، وَلَا تَنَالُهُمُ الْأَسْقَامُ، وَلَا تَعْرِضُ لَهُمُ الْأَخْطَارُ، وَلَا تُشْخِصُهُمُ الْأَسْفَارُ، وَأَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ، وَغَلَّ الْأَيْدِيَ إِلَى الْأَعْنَاقِ، وَقَرَنَ النَّوَاصِيَ بِالْأَقْدَامِ، وَأَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ الْقَطِرَانِ، وَمُقَطَّعَاتِ النِّيرَانِ، فِي عَذَابٍ قَدِ

---

[١] .كتاب العين: ٣ / ٣٩٨ .

[٢] .لسان العرب: (شهد) ٢ / ٢٤١ ، وتاج العروس من جواهر القاموس: (شهد) ٣ / ٣٩٣ ، وينظر: الصحاح: (شهد) ٢ / ٤٩٤ ، والقاموس المحيط:(شهد) ١ / ٣٠٦ .

[٣] .التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ١٥٦ .

اشْتَدَّ حَرُّهُ، وَبَابٌ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ، فِي نَارٍ لَهَا كَلَبٌ وَلَجَبٌ وَلَهَبٌ سَاطِعٌ، وَقَصِيفٌ هَائِلٌ، لَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلَا يُفَادَى أَسِيرُهَا، وَلَا تُفْصَمُ كُبُولُهَا لَا مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَفْنَى، وَلَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضَى))[1]، فثمّة صور مكثّفة متلاحقة يستدعي بعضها بعضاً، وقد رسمت تلك الصور مشهدين متقابلين يمثلان واقعين متقابلين أيضاً، فأهل الطاعة مكانياً في جوار الله تعالى خالدين في دارة، وهم زمانياً في محل أبدي لا يظعن عنه من ينزل به، أي هم خالدون في النعيم إلى ما لا نهاية ... كل الأيام لهم، وليس يوم لهم ويوم عليهم ... لا يشكون من شيء، ولا يرهبون أحداً، أو يخافون العواقب " [2]، فهذا هو المشهد الأول، وهو مشهد مليءٌ بالصور التي تبعث على الراحة والاطمئنان نتيجة الأحوال التي يكون فيها أهله، ولا غرابة في ذلك، فالمشهد مشهد نعيم أخروي .

أما المشهد الآخر فهو مشهد تتداعى فيه الصور أيضاً وتتلاحق بحيث تنقل تلك الصور أبعاد واقع ما من زوايا مختلفة، فأهل ذلك المشهد منزلهم شرُّ المنزل، وهيأتهم هيأة مغلولي

الأيدي ومقروني النواصي بالأقدام، وألبستُهم سرابيلُ القطران، ومقطّعاتُ النيران، أما محلهم فهو العذاب الشديد الحر خلف باب موصد على أهله، في نار " لها شدة وصوت واشتعال مرتفع وقصيف هائل، أي صوت مخوف لا يظعن مقيمها بل كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ... ولا يفادى أسيرها أي لا يؤخذ عنه الفدية فيخلص كأُسراء الدنيا، ولا يفصم كبولها وقيودها، بل هي وثيقة محكمة، لا مدة للدار فتفنى، ولا أجل

---

[1].شرح نهج البلاغة: ٧ / ٢٠٢ (خ ١٠٨) .

[2] .في ظلال نهج البلاغة: ٢ / ١٥٤ .

للقوم فيقضى بل عذابها أبدي سرمدي " [1]، فالمشهد مهول يرسم عدداً من الصور التي تبعث على الخوف والرهبة، وليس غريبا على أهل ذلك المشهد تلك الأحوال، ذلك لأن الواقع الذي نقله الإمام (عليه السلام) هو واقع أهل المعصية وهم في عذاب الآخرة .

فالإمام (عليه السلام) يوظف عناصر مختلفة في المشهدين المتقابلين اللذين نقلهما، وتلك العناصر هي الزمان والمكان والأحوال، وقد كانت تلك العناصر متقابلة لأنها نقلت مشهدين متقابلين أصلاً .

ومما ورد في نهج البلاغة من المشاهد المتقابلة مشهدان آخران من مشاهد يوم القيامة، يعرض الإمام (عليه السلام) من خلالهما حال نفرين من الناس، كل واحد منها يعكس شكل الواقع الذي يحياه، يقول الإمام (عليه السلام) في ذلك: ((ثُمَّ بُعْثِرَتْ قُبُورٌ، وَحُصِّلَتْ سَرِيرَةُ صُدُورٍ، وَجِيءَ بِكُلِّ نَبِيٍّ وَصِدِّيقٍ وَشَهِيدٍ، وَتَوَحَّدَ لِلْفَصْلِ قَدِيرٌ بِعَبْدِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ، فَكَمْ مِنْ زَمْرَةٍ تُفْنِيهِ وَحَسْرَةٍ تُضْنِيهِ، فِي مَوْقِفٍ مَهُولٍ، وَمَشْهَدٍ جَلِيلٍ، بَيْنَ يَدَيْ مَلِكٍ عَظِيمٍ، وَبِكُلِّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ عَلِيمٍ، فَحِينَئِذٍ يُلْجِمُهُ عَرَقُهُ، وَيُحْضِرُهُ قَلَقُهُ، عَبْرَتُهُ غَيْرُ مَرْحُومَةٍ، وَصَرْخَتُهُ غَيْرُ مَسْمُوعَةٍ، وَحُجَّتُهُ غَيْرُ مَقْبُولَةٍ، زَالَتْ جَرِيدَتُهُ، وَنُشِرَتْ صَحِيفَتُهُ؛ نَظَرَ فِي سُوءِ عَمَلِهِ، وَشَهِدَتْ عَلَيْهِ عَيْنُهُ، وَيَدُهُ بِبَطْشِهِ، وَرِجْلُهُ بِخَطْوِهِ، وَفَرْجُهُ بِلَمْسِهِ، وَجِلْدُهُ بِمَسِّهِ، فَسُلْسِلَ جِيدُهُ، وَغُلَّتْ يَدُهُ، وَسِيقَ فَسُحِبَ وَحْدَهُ، فَوَرَدَ جَهَنَّمَ بِكَرْبٍ وَشِدَّةٍ، فَظَلَّ يُعَذَّبُ فِي جَحِيمٍ، وَيُسْقَى شَرَّبَةً مِنْ حَمِيمٍ، تَشْوِي وَجْهَهُ، وَتَسْلَخُ جِلْدَهُ، وَتَضْرِبُهُ زَبَانِيَةٌ بِمَقْمَعٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَيَعُودُ جِلْدُهُ بَعْدَ نُضْجِهِ كَجِلْدٍ جَدِيدٍ، يَسْتَغِيثُ فَتُعْرِضُ خَزَرَةُ جَهَنَّمَ، وَيَسْتَصْرِخُ فَيُلْبَثُ حِقْبَةً يَنْدَمُ . نَعُوذُ بِرَبٍّ قَدِيرٍ، مِنْ شَرِّ كُلِّ مَصِيرٍ، وَنَسْأَلُهُ عَفْوَ مَنْ رَضِيَ عَنْهُ، وَمَغْفِرَةَ مَنْ قَبِلَهُ، فَهُوَ وَلِيُّ مَسْأَلَتِي، وَمُنْجِحُ طَلِبَتِي، فَمَنْ زُحْزِحَ عَنْ تَعْذِيبِ رَبِّهِ جُعِلَ فِي جَنَّتِهِ بِقُرْبِهِ، وَخُلِّدَ فِي قُصُورٍ مُشَيَّدَةٍ، وَمُلْكٍ بِحُورِ عِينٍ وَحَفَدَةٍ، وَطِيفَ عَلَيْهِ بِكُؤُوسٍ، أُسْكِنَ فِي حَظِيرَةِ قُدُسٍ، وَتَقَلَّبَ فِي نَعِيمٍ، وَسُقِيَ مِنْ تَسْنِيمٍ، وَشَرِبَ مِنْ عَيْنٍ

---

[1] .منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (خوئي): ٧ / ٣٦٧ .

سَلْسَبِيلٍ ، وَمُزِجَ لَهُ بِزَنْجَبِيلٍ ، مُخَتَّمٍ بِمِسْكٍ وَعَبِيرٍ ، مُسْتَدِيمٍ لِلْمُلْكِ ، مُسْتَشْعِرٍ لِلسُّرُرِ ، يَشْرَبُ مِنْ خُمُورٍ ، فِي رَوْضٍ مُغْدِقٍ ، لَيْسَ يُصْدَعُ مَنْ شَرِبَهُ ، وَلَيْسَ يُنْزِفُ)) [1]. فالمشهدان – كما هو واضح – متقابلان، يستحضر كل واحد منهما الصور المناسبة التي تُعزز الغاية التي عُرضَ المشهد لأجلها، ففي المشهد الأول – وهو مشهد العذاب والنقمة – يشيع جوٌّ من الرهبة والخوف من طبيعة الصور التي عرضها الإمام، أو قل من الزوايا المختلفة التي نقل من خلالها الإمام صورة ذلك المشهد المهول، فالمشهد (كابوسي) – إن صحّ التعبير –لم يترك حالاً مُزرياً يكون فيه الإنسان إلا وذكره، ومما يزيد من قتامة ذلك المشهد أنه مشهد أخروي لا مناص من تفاصيله ولا خلاص لمن يكون ذلك الحال مآله .

أما المشهد الآخر– وهو مشهد النعيم والرضا – ففيه تشيع أجواء من السرور والانشراح بوساطة الصور المضيئة والمبهجة التي عرضها الإمام (عليه السلام)، أو عبر الزوايا التي رُؤيَ منها المشهد بأكمله ، فتقابل ذلك المشهد هي إلى عالم الأحلام أقرب، إذ استُجمع في ذلك المشهد كل ما يُرغد عيش صاحبه ويُسعده، وتزاد وردية تلك الأحلام عندما يُعرف أنها أبديّة سرمدية لا تزول عن صاحبها، ولا تُكدّر صاحبها أضغاثُ اليقظة .

ويمكن بيان المشاهد المتقابلة من خلال عرض كلا الحالين للطرفين المتقابلين:

١ . أهل الجنة [2]

أ - تسمية أهل الجنة وكيفية حالهم .

وردت تسميتهم في المشهد الأول بأنهم (أهل الطاعة)، وحالهم هو السرور والابتهاج، وذلك لأنه سبحانه أثابهم جزاءً لأعمالهم، وهم في حالة خلود في الجنة التي عبر عنها بـ (داره) أي نسب الدار للباري عز وجل ن فهم فيها في قصور مشيدة، لا يظعنون ولا يتغير حالهم ولا تنالهم الأسقام .

ب - مكانهم .

---

[1] .شرح نهج البلاغة: ١٩ / ١٤٢ .

[2] .ينظر: التعابير القرآنية والبيئة العربية في مشاهد القيامة (ابتسام مرهون الصفار)، ط ١، مطبعة الآداب – النجف الأشرف – ١٩٦٧ م: ٢٤١ – ٣٠٠ .

إن مكان هؤلاء الفريق في الجنة، وكنى عنه الإمام بـ (جواره) تارة و بـ (داره) تارة أخرى وقد يعبر عنها بـ (قربه)، ومرة يصرح بها فيقول : في جنته .

ت – شرابهم .

أما شرابهم فيؤتى بالكؤوس فيشربون من عين سلسبيل، ومُزج بزنجبيل مختوم بمسك وعبير مستديم للملك بالسرور وشربهم فيها الخمور في روض مغدق .

٢ . أهل النار

وحالهم على النقيض من ذلك .

أ – تسمية أهل النار وحالهم [١] .

نعتهم الإمام بـ (أهل المعصية) ، وحالهم الخلود أيضاً، ولكن خلودهم في العذاب .

ب – مكانهم وكيفية ورودهم ، وحال ذلك المكان .

هم في جهنم، وعبر عنها الإمام بـ (شر دار) تارة، وبلفظ الجحيم تارة أخرى، وقد وردوا جهنم سوقاً منفردين، فجاءوا في حالة كرب وشدة. أما حال جهنم ففيها عذاب قد اشتدَّ حرُّهُ، وباب قد أُطبق على أهله في لهب نار وقصف هائل .

ت – شرابهم .

يسقون في جهنم من حميم .

ث – أنواع عذابهم .

قد غُلّوا الأيدي إلى الأعناق وقرنت النواصي بالأقدام، وأُلبسوا سرابيل القطران ومقطعات النيران، وصورة أخرى للعذاب صورها لنا الإمام فقال: تُشوى وجوهُهُم وتسلخ جلودُهم وتضربهم الزبانية بمقمع من حديد .

---

[١] . ينظر: التعابير القرآنية والبيئة العربية في مشاهد القيامة: ٢٠٣ – ٢٦٩.

الفصل الثالث

التقابل الدلالي في التراكيب والأساليب

أولاً : التقابل الدلالي بين التراكيب

أصل التركيب لغوياً الفعل (ركب)، جاء في لسان العرب " وتراكب السحاب وتراكم: صار بعضه فوق بعض، وفي النوادر يقال: ركيب من نخلٍ، وهو ما غُرسَ سطراً على جدول أو غير جدول. وركّب الشيء: وضع بعضَه على بعضٍ، وقد تركب وتراكب "[1]. وذكر صاحب القاموس المحيط المصدر (تركيب) فقال: " وركّبه تركيباً: وضع بعضه على بعضٍ فرُكب وتراكب " [2]، فالذي يستشفّ من معنى الأصل (رَكبَ) هو أنّ هناك أجزاءً متعددةً قد ضُمَّ بعضُها إلى بعض في نسق معيّن، فصارت تلك الأجزاء جزءاً واحداً يسمى بـ (المركب) أو (التركيب) .

وأما مفهوم التركيب في الاصطلاح، فقد التبس أولَ الأمر عند اللغويين العرب القدماء مع مفهوم (الجملة)، بل عُدّت (الجملة) في العرف اللغوي القديم، هي التركيب نفسه، ومن الذين لحظ هذا الملحظ هو ابن جنّي في كتابه (الخصائص) [3]، " إذ يُعدّ ابن جني من أوائل من تحدّثوا عن الجملة، وأفردوا لها دراسات في كتبهم، وهو أول من اهتم ببناء الجملة ووصفها بالتركيب " [4]. فالجملة في حقيقتها (تركيب) لكونها قد (تركبت) من أجزاء عدّة، غير أن (التركيب)وحده ليس كافياً لتكوين (الجملة)، وإنما يشترط فيها أيضاً التعبير عن تصوّر ذهني، وهذا مما أشار إليه المحدثون، فعرّفوا الجملة (التركيب) بالقول بأنها: " المركب الذي يبين المتكلّم به أن صورة ذهنية كانت قد تألّفت أجزاؤها في ذهنه، ثم هي الوسيلة التي تنقل ما جال في ذهن المتكلم إلى ذهن السامع " [5]. فالتأليف الذي يكون بين عناصر (التركيب)يخفي وراءه تآلفاً على مستوى التصوّر، بل أن الأخير هو مقدمة للتأليف الأول .

---

[1]. لسان العرب: (ركب) ١ / ٤٣٢ .

[2]. القاموس المحيط: (ركب) ١ / ٧٦ .

[3]. ينظر: الخصائص: ١ / ١٧ .

[4]. الجملة الدنيا والجملة الموسعة في كتاب سيبويه (د. علاء إسماعيل الحمزاوي)، المنيا، مصر : ٦ .

[5]. في النحو العربي، نقد وتوجيه (د. مهدي المخزومي)، منشورات المكتبة العصرية، لبنان، د . ت: ٣١ ، واللغة (ج . فندريس)، تعريب: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، د . ت: ٩٧ – ٩٩ .

ولأجل أن نتنين ما احتوته نصوص نهج البلاغة من (تراكيب) متقابلة، فإننا سنعرض بعض النماذج التركيبية التي عكست أنماطاً ذهنية متقابلة لدى الإمام (عليه السلام) .

١ : التقابل الدلالي التركيبي الفعلي

أ . التقابل الدلالي بين فعلين وفاعليهما

وهو التقابل الذي يكون ركناه مشتملين على إسناد تام، أي أن كل طرف من طرفي التقابل، هو تركيب في حدِّ ذاته، وخصوصية هذا النوع من التركيب أنه متكوّن من مسند (فعل) ومسند إليه (فاعل). ومن أمثلة هذا النوع من التقابل في نهج البلاغة، قول الإمام (عليه السلام)، بعد ذكر حال الأمم الماضية: ((عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ، وَمَضَتِ الدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الْآبَاءُ، وَخَلَفَتِ الْأَبْنَاءُ))[١]. فالإسناد التام الذي جاء في نص الإمام، هو تركيب (سلفت الآباء) والتركيب (خلفت الأبناء)، أما التقابل الذي ورد في هذا الإسناد، فهو بين كل من (سلفت) × (خلفت) و (الآباء) × (الأبناء)، وقد أفاد التقابل في هذا الموضع التبشير والتعريف للأنبياء بعضهم لبعض وصولاً إلى النبوّة لخاتم النبيين وآخر السفراء، " فإن كل أب يذهب ويموت، وقد كان معاصراً لنبي سابق مُبشِّر لنبي لاحق، والأولاد يخلفون آباءهم وهم معاصرون لنبي سابق يُبشّر، أو نبي لاحق قد عرف من قِبَل النبي السابق "[٢] .

ومن الأمثلة الأخرى التي وردت في نهج البلاغة من نوع (فعلين وفاعليهما) قول الإمام (عليه السلام) لأبي ذر الغفاري: ((لَا يُؤْنِسَنَّكَ إِلَّا الْحَقُّ، وَلَا يُوحِشَنَّكَ إِلَّا الْبَاطِلُ))[٣]، فالإمام في هذا الموضع يطلب من أبي ذر بأن يستأنس بالحق وأن يستوحش من الباطل، فأورد الإمام التركيب بأسلوب النهي والاستثناء، إذ قصد تثبيت الغفاري على الحق فنهاه عن الاستئناس بغير الحق الذي هو عليه والذي اختاره، ولا يستوحش إلا من الباطل الذي عليه غيره[٤]. والتقابل ورد بين أطراف متعددة، فالفعل (يؤنس) في قول الإمام (عليه السلام) يقابل الفعل (يوحش)، وهذان طرفان من أطراف التقابل، وفي الوقت نفسه، فإن مفردة (الحق) تقابل مفردة (الباطل)، وهاتان المفردتان طرفان أيضاً من أطراف التقابل، وإذا جاز لوصف أن يطلق على هذا النوع من التقابل بـ (التقابل المزدوج)، وهو حريّ أن يسمّى بذلك، لأن ذلك التقابل قد وقع بين جملتين تامتي الإسناد، ويمكن تمثيل هذا النوع من التقابل على الشكل الآتي :

---

[١]. شرح نهج البلاغة: ١ / ١١٦ (خ ١) .

[٢]. توضيح نهج البلاغة: ١ / ٣٩ .

[٣]. شرح نهج البلاغة: ٨ / ٢٥٢ (خ ١٣٠) .

[٤]. ينظر: شرح نهج البلاغة (موسوي): ٢ / ٣٧٧ .

مسند + مسند إليه × مسند + مسند إليه .

وقابل الإمام بين فعلين وفاعليهما في سياق الحث على التقوى، إذ قال (عليه السلام) : ((يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ ،وَيَجِيءُ الْغَدُ لاحِقاً بِهِ))[1]، فالإمام في هذا الموضع يُكنّى عن الدنيا بـ (اليوم) وعن الآخرة بـ (الغد)، أي تذهب أيام الدنيا بما فيها من خير وشرّ، ويجيء الغد وهو ما بعد الموت، لاحقاً به، أي بهذا اليوم الذي نحن فيه من أيام الدنيا [2]. والإمام يختزل الحياة الدنيا بما تنطوي عليه من تناقضات بكلمة (اليوم)، إذ أن في كلمة اليوم مجموعةً من الدلالات المتناقضة التي تنسجم مع تناقضات الحياة الدنيا. وما قيل من الانسجام بين واقع الحياة وكلمة (اليوم)يقال أيضاً بين واقع الحياة الآخرة وكلمة (الغد)، إذ أن تناقضات الآخرة تعبّر عنها المدلولات المتناقضة التي تحملها كلمة (الغد). ومما يزيد من حركة المشاهد التي يروم الإمام الإفصاح عنها إسناد الفعلين المضارعين (يذهب) و(يجيء) إلى الفاعلين (اليوم) و (الغد)، إذ أن وجود عنصر الفعل المضارع في الإسناد الجملي يسبغ على هذا النوع من الإسناد صفة (الحركة) أما نوع هذه الحركة فهي متدرّجة، أي تحدث شيئاً فشيئاً [3] .

ويورد الإمام (عليه السلام)في نهج البلاغة نمطاً آخر من (تقابل فعلين وفاعليهما)، وذلك هو تقابل فعلين ماضيين مسندين إلى فاعلين، وذلك التقابل في قول الإمام (عليه السلام): ((وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَداً بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ ، وَسَبَبُهُ الْأَمِينُ، وَفِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ، وَمَا لِلْقَلْبِ جِلاءٌ غَيْرُهُ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْمُتَذَكِّرُونَ، وَبَقِيَ النَّاسُونَ أَوِ الْمُتَنَاسُونَ))[4]، فالإمام (عليه السلام) في هذا النص يعقد موازنة بين جيلين من الزمان، الجيل الأول، هو جيل (المتذكرون)، والجيل الآخر هو جيل (الناسون أو المتناسون)، أي " المتذكرون قد ذهبوا وماتوا، وبقي الناسون الذين لا علوم لهم، أو المتناسون الذين عندهم العلوم، ويتكلفون إظهار الجهل لأغراض دنيوية تعرض لهم " [5]، وقد عبّر الإمام عن شيوع الشرّ واتساع دائرته، وعن انحسار الخير وضيق دائرته، من خلال تقابل (ذهب المتذكرون) و (بقي الناسون أو المتناسون)، ولأن رجحان كفّة الجيل الآخر (الناسون أو المتناسون) على كفّة الجيل الآخر (المتذكرون) هي التي جعلت الإمام يستعمل له مفردتين (الناسون) و (المتناسون) لغرض التعبير عنه مقابل مفردة واحدة (المتذكرون) للتعبير عن الجيل الأول، وقد تم التعبير عن

---

[1]. شرح نهج البلاغة: ٩ / ٢١٠ (خ ١٥٨) .

[2]. ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٣ / ٤١٥ .

[3]. ينظر: دلائل الإعجاز: ١٧٤ .

[4]. شرح نهج البلاغة: ١٠ / ٢٩ (خ ١٧٧) .

[5]شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٠ / ٣٢ .

الثنائية المتقابلة من خلال إسناد الفاعلين إلى فعلين ماضيين، إذ يُفيد وجود عنصر (الحدث) الماضي في التركيب الجملي في الدلالة على تحقق الإسناد في هذا التركيب [١] .

ب . التقابل الدلالي بين فعلين ومفعوليهما

مرّ بنا سابقاً نوع من التقابل الدلالي يتعدّى حدود المفردة الواحدة، ليصل إلى حدود التركيب، إذ أن هذا النوع من التقابل قد شمل طرفي الإسناد في التركيب الجملي، أي شغل المسند (الفعل) والمسند إليه (الفاعل).أما في هذه الفقرة وما بعدها، فسنعرض نوعاً آخر من أنواع التقابل الدلالي على مستوى التركيب الجملي في نهج البلاغة، وذلك هو (تقابل فعلين ومفعوليهما)، أي أن هذا النوع من التقابل لا يكون بين مسندين ومسندين إليهما، وإنما يكون بين مسندين ومتعلقين بهما، وهذان المتعلقان بالمسندين هما مفعولان متقابلان دلالياً أيضاً .

ومن ذلك التقابل الدلالي الذي ورد في نصوص نهج البلاغة قول الإمام (عليه السلام) واصفاً نعلَهُ لعبد الله بن عباس رضي الله عنه: ((وَاللَّهِ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ إِلاَّ أَنْ أُقِيمَ حَقّاً، أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلاً))[٢]، فالتقابل الوارد في هذا النص هو بين المسند (الفعل) (أقيم) والمتعلّق به (المفعول به) (حقاً)، وبين المسند (الفعل) (أدفع) والمتعلق به(المفعول به) (باطلاً). ويبدو أن طبيعة الموضع الذي أراد الإمام التعبير عنه هو الذي حتّم عقد هذا النوع من التقابل، إذ قابل الإمام الإقامة التي هي عبارة عن الإثبات (للحق)، بالدفع الذي هو النفي (للباطل)، وأكد ذلك التقابل بالقسم البار، لبيان الهدف الأعلى للإمام من الخلافة، وأن غاية الحكم عنده ليس أن يعتلي كرسي الإمارة، وهو مطمح نظر الأمراء والخلفاء السابقين، بل باعتبار أنها مما يقيم به الحق ويدفع به الباطل على سبيل الالتزام. وعلى سبيل المطابقة، أن النعل التي لا قيمة لها تكون أحب عنده من الإمرة، بوصفها رياسة دنيوية [٣]. إذن فالحكم مسؤولية ركناها – عند الإمام – هو هذا التقابل .

وقد يورد الإمام في نهج البلاغة نمطاً آخر من تقابل (فعلين ومفعوليهما)، وذلك النمط هو أن يأتي الإمام بالمسند (الفعل)ثم بمتعلّق ذلك الفعل، وهو (المفعول به)، على أن يكون هذا المتعلّق اسماً موصولاً يمكن تأويله مع صلته بوصف يقع محلاً بمكان المفعول به (المتعلّق) فالتقابل الدلالي في هذا النمط لا يكون مباشرة بين متعلّقي (مفعولي) الفعلين المتقابلين دلالياً، وإنما يكون التقابل بين وصفين متأتيين من تأويل الاسم الموصول وصلته، ومثال هذا

---

[١]. ينظر: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم (د. سناء حميد البياتي)، دار وائل للنشر والتوزيع، عمّان – الأردن، ٢٠٠٣ م: ٤٢ .

[٢]. شرح نهج البلاغة: ٢ / ١٨٥ (خ ٣٣) .

[٣]. ينظر: شرح نهج البلاغة (موسوي): ١ / ٢٦٣ ، وشرحنهج البلاغة (من أعلام القرن الثامن)، تح: عزيز الله العطاردي، ط ١، طهران – ١٣٧٥هـ: ١ / ٤١٠ .

النمط من التقابل في نهج الإمام قوله (عليه السلام): ((أَلا وَإِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ : عَمَّتْ خُطَّتُهَا ، وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا ، وَأَصَابَ الْبَلاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا ، وَأَخْطَأَ الْبَلاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا))[1]، أي أن البلاء يحل بمن أبصر فيها، أي رأى الحق واهتدى إلى أنها فتنة، فهو مصاب بأنواع البلاء لحزنه في نفسه بما يشاهد من أفعالهم السيئة، ولأنه لا يكتم الحق ويعلن عنه، فسوف ينال منهم الأذى والقتل، فكان البلاء به أخص، أما من لم يهتدِ ولم يعرف الحق ولم يقف على المنكر، فإنه في أمن وسلامة لكونه منقاداً لدعوتهم منساقاً تحت رايتهم [2]. فالفعلان (أصاب) و (أخطأ) متقابلان البتّة، غير أن متعلقيهما– مفعوليهما – هما الاسمان الموصولان (مَن) و (مَن)، وهما غير متقابلين كما هو واضح، ولكنهما يصيران متقابلين إذا انسبكا مع الفعلين اللذين بعدهما (أبصر) و (عَميَ)وكوّنا وصفين متقابلين دلالياً، والوصفان هما (مبصر وأعمى).

وأحياناً يعمد الإمام (عليه السلام) إلى إيراد تقابل (فعلين ومفعوليهما) من خلال استعمال الصيغة الأمرية للمسند (الفعل)، وهذه الصيغة كما يعرفها يحيى بن حمزة العلوي في كتابه (الطراز) بأنها " صيغة تستدعي الفعل أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء " [3]، في حين يذهب أحد المحدثين إلى القول بأن الصيغة الأمرية هي " طلب الفعل على وجه التكليف والإلزام بشيء لم يكن حاصلاً قبل الطلب وفي وقته على جهة الحقيقة أو المجاز " [4]، فالأمر طلب له جهة يصدر منها، وجهة يتوجه إليها، والجهتان هما – في الأغلب – عُليا ودُنيا. ومن ذلك التقابل الذي ورد في قول الإمام، وفي سياق الحثّ على القتال: ((فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ ، وَأَخِّرُوا الْحَاسِرَ))[5]. الدارع: هو لابس الدرع، وهو من الحديد. والحاسر: خلاف الدارع الذي لا بيضة على رأسه، والحسر: الذين ليس لهم دروع ولا بيض [6]. ولمّا كان هذا الموضع موضع حثٍّ على القتال، فإن ذلك يقتضي تقديم ما حقّه التقديم، وتأخير ما حقّه التأخير، لغرض تدبير مقتضيات القتال والمنازلة، لذلك أمر الإمام (عليه السلام) بوصفه قائداً عسكرياً (الدارع) الذي يلبس الدرع، أمره أن يكون في المقدمة، فهذا حقه ليكون في المواجهة، وفي الصفوف الأولى للهجوم أو الدفاع، لأن شدّة الحرب تقع على المهاجم أو على خط الدفاع الأول، فيجب أن يكون محصناً لابساً الدرع، بينما الحاسر أمرهم الإمام أن يؤخروه

---

[1]. شرح نهج البلاغة: ٧ / ٤٤ (خ ٩٢) .

[2]. ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير): ٢ / ٣٩٢ ، وشرح نهج البلاغة (خوئي): ٨٩٧ ، شرح نهج البلاغة (موسوي): ٣ / ١٢٦ .

[3]. الطراز: المتضمن لأسرار البلاغة: ٥٣٠ .

[4]. جماليات الخبر والإنشاء (د. حسين جمعة) منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق – ٢٠٠٥ م: ١٠٥ .

[5]. شرح نهج البلاغة: ٨ / ٣ (خ ١٢٤) .

[6]. لسان العرب: (درع) ٥ / ٧٨ ، (حسر) ٤ / ١٨٧ ، وينظر المصباح المنير: (درع) ١ / ١٩٢، (حسر) ١ / ١٣٤ .

إلى الخلف، حيث يحتمي بالدارع [1]. فالإمام في هذا الموضع يعدّ إستراتيجية الحرب من تعاليم قتالية وأحكام حربية يرسم الإمام صورتها لجنده عن طريق ثنائية دلالية متقابلة حملتها صيغتان فعليتان أمريتان (قدموا) و (أخّروا)، وثنائية دلالية متقابلة حملها مفعولان هما (الدارع) و (الحاسر) .

وقد جاءت نصوص أخرى في نهج البلاغة تحملفي طياتها تقابلاً دلالياً يكون طرفاه تركيبين متضمنين على (فعلين ومفعوليهما)، وذلك قوله في ذمّ بعض أصحابه وتوبيخهم، لقعودهم عن نصرة الحق، فقال الإمام في سياق القسم: ((وَلَعَمْرِي لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ التِّيهُ مِنْ بَعْدِي أَضْعَافاً بِمَا خَلَّفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، وَقَطَعْتُمُ الأَدْنَى، وَوَصَلْتُمُ الأَبْعَدَ))[2]، ويذهب شرّاح نهج البلاغة إلى توضيح التركيبين المتقابلين في قول الإمام، بالقول إلى أن المراد بـ (قطعتم الأدنى) هو مقاطعة الناس للإمام نفسه الذي هو أقرب الناس برسول الله، وأن المراد بـ (وصلتم الأبعد) هو وصل الناس لمعاوية بن أبي سفيان [3].فالإمام يتخذ محوراً للبعد والدنو، وذلك المحور هو سبحانه وتعالى، والرسول الكريم والأحكام، إذ أن الإمام هو أدنى الناس من النبي فهو أدنى بهذا الدنو من الباري عز وجل، ومن أحكامه الشرعية، في حين أن الطرف الآخر – وهو معاوية – هو أبعد الناس من الباري ومن النبي والأحكام الشرعية. وقد أفاد التقابل بين التركيبين، بيان حال الناس يومئذٍ، من التيه وأنهم سيزدادون على مدى الأيام ذلاً وضلالاً، لأنهم خذلوا الحق وأهله، وناصروا الباطل وشياطينه [4]. ولابدّ من أن نشير إلى ما أضفاه استعمال الإمام لاسمي التفضيل (أدنى) و (ابعد) من إظهار مدى الدنو والبعد لكلا الطرفين .

لم تقتصر نماذج التركيب المتقابلة دلالياً في نهج البلاغة على نمط تقابل (فعلين ومفعوليهما)، وإنما قد تكون تلك التراكيب متضمنة عناصر لغوية أخرى تضيف إلى التركيب بعداً دلالياً آخر ، ومما أُضيف من عناصر لغوية إلى تركيب (الفعلين ومفعوليهما) عنصر (الجار والمجرور)، غير أن هذا العنصر قد يختلف (الجار)منه تبعاً لنوع السياق الذي يرد فيه، فقد يكون (الجار) حرف (الباء)، و (الباء) حرف له معان ودلالات مختلفة، ومن بين تلك المعاني والدلالات (السببية) [5]. ومما ورد في نهج البلاغة من ذلك قول الإمام (عليه السلام) في وصف الله

---

[1]. ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٢ / ٢٥٤ ، وشرح نهج البلاغة (موسوي): ٢ / ٣٤٥ .

[2]. شرح نهج البلاغة: ٩ / ٢٨٤ (خ ١٦٧) .

[3]. ينظر: شرح نهج البلاغة (أبي الحديد): ٩ / ٢٨٤ ، وشرح نهج البلاغة (الكبير): ٣ / ٣١٧، وتوضيح نهج البلاغة: ٣ / ٢٥ ، وشرح نهج البلاغة (موسوي): ٣ / ٩٥ .

[4]. ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٢ / ٢٨٤ .

[5]. ينظر: الجني الداني في حروف المعاني: ١١٠، والتحفة الوفية بمعاني حروف العربية (إبراهيم بن محمد بن إبراهيم السفاقسي)، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ١٩ : ١٧ .

تعالى: ((فَلا إِلَهَ إِلاّ هُوَ، أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلام، وَأَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُور))[1]. فسّر الشارح ميثم البحراني قول الإمام في هذا النص قائلاً : " فالظلام أما محسوس فأضاء بأنواره الكواكب، أو معقول وهو ظلام الجهل فأضاءه بأنوار العلم والشرائع، إذ جميع الأنوار المحسوسة أو المعقولة غير متلاشية مظلمة في نور علمه، وظلام بالنسبة إلى ضياء براهينه في جميع مخلوقاته الكاشفة على وجوده وكمال وجوده " [2]، وقال مفسّر آخر: (إن العلم والعمل بدين الله وحلاله وحرامه هدى ونور لا تضر معه أيّة صفة يراها الناس نقصاً وظلاماً كالفقر وغيره، أما المراد بظلمته تعالى حجاب الجهل والمعصية بين الله وعبده، والمعنى أن الجهل بدين الله أو العلم به بلا عمل ضلال وظلم لا يجدي معه أي وصف يراه الناس نوراً وكمالاً كالجاه والمال) [3]، فالتقابل الوارد في قول الإمام حققه تركيبان ومتعلقان، التركيبان هما (الفعلان ومفعولاهما)، والمتعلقان هما (الجار والمجرور)، وهذان الأخيران وإن اشتركا في جزء منهما، وهو حرف الجر (الباء)، غير أن ذلك لم يمنع جزءيهما الآخرين في أن يكونا متقابلين من الوجهة الدلالية .

وإذا كان التقابل الدلالي السابق قد أضيف إليه عنصر (الجار والمجرور)، وكان أحد جزأي هذا العنصر – وهو الجار –متشابهاً في ذلك التقابل، فإنه قد يأتي في سياقات نهج البلاغة ما يناقض ذلك التقابل من حيث عنصر (الجار والمجرور)، بمعنى آخر أن (الجار والمجرور)قد يأتي مختلفاً في جزئه الأول ومتشابهاً أو نفسه في جزئه الآخر، فالمختلف هو (الجار) والمتشابه هو (المجرور). ومن ذلك التقابل الدلالي الذي ورد في نهج البلاغة قول الإمام (عليه السلام) في سياق ذمّ الكِبَر: ((فَلَوْ رَخَّصَ اللَّهُ فِي الْكِبْرِ لأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ؛ وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ التَّكَابُرَ، وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ))[4]. إنّ هذا التقابل احتوى على ثلاثة أنواع من العناصر، يختلف كل واحد منهما عن الآخر، ففي الوقت الذي تضمّن فيه هذا التقابل عنصر المقابلة الذي ضمّ كلاً من الفعلين (كرّه) و(رضي)، والمفعولين (التكابر) و (التواضع)، فإن التقابل قد تضمن أيضاً عنصر المخالفة الذي ضمّ حرفي الجر (إلى) و (اللام)، وكذلك تضمّن التقابل في نص الإمام عنصر المشابهة الذي هو الضمير (هم) .

ولابدّ من الإشارة إلى أن الإمام في التقابل السابق لم يأتِ بلفظتين متقابلتين دلالياً مباشرةً على ما هو معهود في حالات التقابل الماضية، وإنما كان تقابلاً غير مباشر، أي أن لفظتي التقابل كانت إحداهما مرادفة للفظة التقابل الأصلية، ذلك لأن ما يقابل لفظة (كرّه) هو لفظة (حبّ)، ودليل ذلك وروده في قوله تعالى: **وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي**

---

[1]. شرح نهج البلاغة: ١٠ / ٨٩ (خ ١٨٣) .

[2]. شرح نهج البلاغة (الكبير): ٣ / ٣٨٩ .

[3]. في ظلال نهج البلاغة: ٣ / ٢٨ .

[4]. شرح نهج البلاغة: ١٣ / (خ ٢٣٨) .

﴿ قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾ [الحجرات /٧] . فالتقابل في هذا الموضع هو تقابل غير متجانس أو يمكن تسميته (تقابل معنوي أو التقابل بالترادف) .

ت . التقابل الدلالي بين فعلين ومتعلقيهما

يمكن تعريف مصطلح (التعلّق) بأنه " الارتباط المعنوي بين الجار والمجرور وما يتعلّق به من الفعل وشبهه من المشتقات أو ما هو بمعناه، وهذا المفهوم يضم الظرف أيضاً وغيره مما يقتضي الارتباط، وهذا الارتباط المعنوي للجار والمجرور بالحدث وتمسكه به جعله كأنه جزء منه لا يظهر معناه إلاّ بما يتعلّق به ولا يكتمل معنى المتعلّق إلاّ به " [١]. فالتعليق إذن بناء دعامتاه المعلّق وهو (الجار والمجرور)والمعلّق به وهو(الفعل). ومن تلك النصوص التي ورد فيها تقابل (فعلين ومتعلقيهما) قول الإمام (عليه السلام) في وصف المتقي: **((لَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ، وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ))**[٢]، والمراد من ذلك القول، أن المتّقي هو من كان دائماً في خط الله لا يخرج عنه، ولا يدخل فيما يبعد عن الله تعالى من باطل الدنيا، ولا يخرج مما يقرّب إليه من مطالبه الحقّه [٣].والمعلّق عليهما في قول الإمام (عليه السلام)هما الفعلان (يدخل × يخرج)، والمعلّقان هما الجاران والمجروران (في الباطل) و (من الحق). ويلحظ التلازم بين جزءي كل طرف من طرفي التقابل، أي أن الفعل (يدخل)قد استدعى متعلقاً مناسباً له، وهذا المتعلق هو حرف الجر (في) والمجرور (الباطل)، إذ أن في اختيار حرف الجر هذا دلالة على الدنو والتسافل، وهذا يتلاءم مع كلمة (الباطل) المجرورة، في حين أن الفعل (يخرج) قد اقتضى حرف جرٍّ آخر، وهذا الحرف هو (من) الذي يوحي بالدلالة على الثبات والرسوخ، أي الثبات والرسوخ على (الحق)، وقد تأتت هذه الدلالة من نفي الخروج عن الحق بحرف النفي (لا)، كما أن دلالة الدنو والتسافل – في الطرف الأول من التقابل – قد تأتت من نفي الدخول في الباطل بحرف النفي (لا) أيضاً، وبذلك تنعقد تلك الثنائية المتقابلة المعتمدة على (فعلين ومتعلقيهما)، أي ثنائية عدم الدخول في الباطل وعدم الخروج من الحق .

وإذا كان الفعلان المتقابلان في نص الإمام السابق قد استدعى كل واحد منهما ما يناسبه من حروف الجر، فإنه قد يأتي في سياقات نهج البلاغة فعلان متقابلان دلالياً يقتضي كل واحد منهما حرف الجر عينه، أي أن حرف الجر يتكرر في طرفي التقابل كليهما، ومن ذلك النمط من التقابل في نهج البلاغة قول الإمام (عليه السلام) واصفاً زماناً من الأزمنة بعد التحذير:

---

[١]. حروف الجر وتعلقها (د. خليل إبراهيم السامرائي)، (بحث) مجلة الأحمدية، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي – الإمارات، العدد ٢٧، المحرّم ١٤٢٢ هـ: ٣٢ .

[٢]. شرح نهج البلاغة: ١٠ / ١٤٩ (خ ١٨٦) .

[٣]. ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير): ٣ / ٤٢٤ ، وتوضيح نهج البلاغة: ٣ / ٢٤٢ ، وشرح نهج البلاغة (موسوي): ٣ / ٣٦٧ .

((فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلُ مَآخِذَهُ، وَرَكِبَ الْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ، وَعَظُمَتِ الطَّاغِيَةُ، وَقَلَّتِ الدَّاعِيَةُ، وَصَالَ الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبُعِ الْعَقُورِ، وَهَدَرَ فَنِيقُ الْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومٍ، وَتَوَاخَى النَّاسُ عَلَى الْفُجُورِ، وَتَهَاجَرُوا عَلَى الدِّينِ، وَتَحَابُّوا عَلَى الْكَذِبِ، وَتَبَاغَضُوا عَلَى الصِّدْقِ))[1]. يُشير الإمام إلى حال أهل الباطل في دولة الحق، فهم ساكنون خوفاً من أهله، أما إذا قامت الفتن، فأهل الباطل يشرعون في الحركة والصياح والدعوة والإفساد، ويواخي بعضهم بعضاً على الفجور، فيتخذ الخليل خليلة فاجرة، أو خليلاً فاسقاً، إذ لا أخوةتجمعهم إلاّ الفسق، ويهجرون من كان مُتديّناً، ويتحابون على الكذب، إذ يحب بعضهم بعضاً على ذلك، لأن الكذب ينفعه، ويبغض بعضهم بعضاً إذا صدق وقال حقّاً، فيغضب عليه[2]. فالمتقابلات في نص الإمام هي (تواخى × تهاجر) و (على الفجور) × (على الدين)، هذا إذا أُخذ بالحسبان أن ما يقابل (الفجور)هو الدين، والمتقابلات الأُخر هي (تحابّوا × تباغضوا) و (على الكذب × على الصدق)، فهذه المتقابلات على اختلافها قد تمّ التعليق فيما بينها عن طريق حرف الجر (على)، ويمكن أن يُعدّ هذا النوع من التقابل – بمجمله تقابلاً متداخلاً، أو تقابلاً يفضي بعضه إلى بعض، أي أن تواخي الناس على الفجور يؤول إلى أو يحمل في داخله التهاجر على الدين، وفي الوقت نفسه، فإن التحابب على الكذب يُفضي أو يستبطن في داخله التباغض على الصدق، أي أن كل مقدمة قد حتّمت نتيجة معينة، وهذه النتيجة تكون مقدمة لنتيجة كانت من قبل هي المقدمة، والغرض من عرض المتقابلات بهذا الشكل هو " تنفير السامعين عن تلك الرذائل وتخويفهم بوقوعها "[3] .

ومن الأمثلة الأخرى التي وردت في نهج البلاغة وكانت شاهداً على تقابل (فعلين ومتعلقيهما) قول الإمام في سياق الاعتذار، وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ع):

((وَلَوْلا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ، لأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّؤُونِ))[4]، فالإمام في هذا الموضع يستلهم من شخصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ع) – بعد وفاته – المعاني والمفاهيم التي سنّها النبي في حياته، إذ أن من بين ما سنّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ع) هو (الأمر) بـ (الصبر) والنهي عن (الجزع)، فـ (الأمر) و (النهي) كلمتان تقف إحداهما مقابل الأخرى، وقد توصلت هاتان الكلمتان إلى معموليهما (متعلقيهما) بوساطة حرفي جرٍ مختلفين، والحرفان هما (الباء) و (عن) وأن هذين الحرفين وإنْ اختلفا شكلاً فإنهما قد ائتلفا مضموناً، إذ يُذكر لهذين الحرفين – معناهما – الدلالة على الاستعانة [5]، والاستعانة هي الدلالة التي تنسجم مع السياق

---

[1]. شرح نهج البلاغة: ٧ / ١٩١ (خ ١٠٧) .

[2]. ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٢ / ١٧٢ – ١٧٣ .

[3]. شرح نهج البلاغة (الكبير): ٣ / ٤٨ .

[4]. شرح نهج البلاغة: ١٣ / ٢٤ (خ ٢٣) .

[5]. ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ١٠٣ .

الذي ورد فيه حرفا (الباء) و (عن)، فكلما أمر الرسول ﷺ (ع) الاستعانة بالصبر، فإنه ﷺ (ع) قد نهى عن الاستعانة بالجزع. أما المتعلقان اللذان توصّل إليهما الفعلان بحرفي الجر، فهما المصدران (الصبر) و (الجزع)، وهما لاشك متقابلان. والإمام (عليه السلام) في هذا النص يحيي أمر الرسول ﷺ (ع)، وذلك الأمر هو " الصبر في مواطن المكروه والنهي عن الجزع عند نزول الشدائد " [1] .

وأحياناً يقصد الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة إلى تقابل (فعلين ومتعلقهما) مستعملاً أسلوب القصر، والقصر أسلوب من أساليب البلاغة يُراد به لغةً (الحبس) [2]، أما في البلاغة فيقصد به " تخصيص أمر بأمر بطريق مخصوص " [3]، والطريق المخصوص الذي سلكه الإمام في القصر ليقابل به بين (فعلين ومتعلقيهما) هو القصر بـ (النفي وإلاّ)، ولهذا النوع من القصر مواضع حددها القدماء والمحدثون [4] .

وقد ورد هذا النوع من التقابل (التقابل بالقصر) في نهج البلاغة، في قول الإمام(عليه السلام)آمراً الأشتر النخعي بتقوى الله وإيثار طاعته: ((**وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ الَّتِي لاَ يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلاَّ بِاتِّبَاعِهَا، وَلاَ يَشْقَى إِلاَّ مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا**)) [5]، فالمتقابلات في نص الإمام هي (سَعِدَ × يشقى) و (إتباعها × جحودها وإضاعتها)، وهذا النوع من التقابل قد تضمن عنصراً دلالياً زائداً على عناصر التقابل المألوفة، فما يقابل كلمة (إتباعها) – الواردة في نص الإمام – في العرف التقابلي هو كلمة (إضاعتها)، غير أن الإمام (عليه السلام) قد أضاف إليها كلمة أخرى، وهي كلمة (جحودها)، والجحد في اللغة هو"النكران، والجحد لا يكون إلاّ مع العلم " [6]، أي أن نكران أوامر الله في كتابه من فرائضه وسُننه مع علمهم بها، ومن ثمّ ترك العمل بها يؤدي إلى إضاعتها، ولهذا جاء الترهيب بالشقاوة على كل من جحدها وأضاعها، ورغب الإمام في الطرف الأولى من التقابل بلفظة (سعد) على كل من إتباعها. ويبدو أن وضوح طريق إتباع فرائض الله وسُننه، هو الذي جعل الإمام يعبّر عنه بمفردة واحدة، أي أنْ لا طريق

---

[1]. شرح نهج البلاغة (الكبير): ٤ / ١١٩ ، وينظر: شرح نهج البلاغة (موسوي): ٤ / ٩٦ .

[2]. ينظر: القاموس المحيط: (قصر) ٢ / ١١٧ ، وتاج العروس: (قصر) ٣ / ٤٩٤ .

[3]. البلاغة فنونها وأفنانها – علم المعاني – (د . فضل حسن عباس)، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط ٢ ، الأردن – ١٩٨٩ م: ٣٥٧ .

[4]. ينظر: دلائل الإعجاز: ٣٣٢ ، والبلاغة فنونها وأفنانها: ٣٧٥ ، وقواعد النحو العربي: ٤٠٥ .

[5]. شرح نهج البلاغة: ١٧ / ٣٠ (كتاب ٥٣) .

[6]. المصباح المنير: (جحده) ١ / ٩١ .

فرائض الله وسننه إلاّ (الإتباع) وهو طريق السعادة. في حين أن الشقاء له طرق متعددة مختلفة، منها طريقا جحود الفرائض والسُنن وإضاعتها .

٢ : التقابل الدلالي التركيبي في سياق الجملة الشرطية

يُعدُّ الشرط أسلوباً " من أساليب اللغة يقصد منشئُهُ من خلاله إظهار معنى من المعاني النحوية التي يتوخّى إيصالها إلى الآخرين " [١]، أما ما يعبر عن هذا الأسلوب فيسمّى بـ (جملة الشرط) وهذه الجملة اختلفت فيها الأقوال قديماً وحديثاً، إذ قد يُنظر إلى (جملة الشرط) على أنها مؤلفة من ركنين يتعلّق أحدهما بالآخر [٢]، أو قد ينظر إلى هذه الجملة على أنها كلٌّ متكامل لا يقوم جزء منها دون الآخر، وصاحب هذا الرأي هو عبد القاهر الجرجاني، إذ قال ما نصّه: " الشرط كما لا يخفى في مجموع الجملتين لا في كل واحدة منهما على الإنفراد ولا في واحدة منهما دون الأخرى " [٣]، وقد تابع الدكتور مهدي المخزومي الجرجاني فيما ذهب إليه، ففي رأي الدكتور المخزومي " إن أسلوب الشرط أسلوب لغوي يبنى – بالتحليل – على جزءين الأول منزل منزلة السبب والثاني منزل منزلة المسبّب ويتحقق الثاني إذا تحقق الأول وينعدم الثاني إذا انعدم الأول، فعبارتا الشرط (الشرط والجزاء) جملة واحدة وتعبير لا يقبل الانشطار، لأن الجزءين المعقولين فيها يُعبّران معاً عن فكرة واحدة " [٤]، وهذا هو الراجح في معنى (جملة الشرط)، وذلك لأن شرط الجملة في عُرف اللغويين هو التعبير عن الصور أو التصورات الذهنية [٥] .

وقد ضمّ نهج البلاغة بين دفّتيه العديد من الجمل التي لم تكن معبّرة عن أسلوب الشرط فحسب، وإنما كانت متقابلة دلالياً. فقد يستعمل الإمام (عليه السلام) للدلالة على الشرط، الأداة (إذا)، وإذا – كما جاء في تعريفها – هي "أداة تدل على الشرط غير منظور إليها ظرفاً خافضاً لشرطه منصوباً بجوابه، فذلك مالا يتطلبه الكلام، وكل ما يريد المتكلم التعبير عنه بـ(إذا) أن يعلّق شيئاً على شيء " [٦]، أي أن ينشئ المتكلم بـ(إذا) (جملة شرطية). أما نوع هذه الجملة الشرطية التي أداتها (إذا) فقد أشار إليها الخطيب القزويني قائلاً : " والأصل في (إذا) أن يكون الشرط فيها مقطوعاً بوقوعه "[٧]، أي الشرط المتحقق البتة. ومما جاء في نهج البلاغة من الشرط بـ (إذا) قول الإمام (عليه السلام): ((احْذَرُوا صَوْلَةَ الْكَرِيمِ إِذَا جَاعَ، وَاللَّئِيمِ إِذَا شَبِعَ))[٨]، وفي كلام الإمام تقديم وتأخر، إذ أن تقدير الكلام هو (إذا جاع الكريم فاحذروا صولته، وإذا

---

[١]. خطب نهج البلاغة – بحث في الدلالة: ١٦٦ .

[٢]. قواعد النحو العربي: ٣٥١ .

[٣]. دلائل الإعجاز: ٢٤٦ .

[٤]. في النحو العربي – نقد وتوجيه: ٢٨٤ – ٢٨٦ .

[٥]. ينظر: اللغة: ١٧٨ – ١٧٩ ، في النحو العربي – نقد وتوجيه: ٣١ .

[٦]. في النحو العربي – نقد وتوجيه: ٢٩١ .

[٧].الإيضاح في علوم البلاغة: ١/ ١٧٨ .

[٨]. شرح نهج البلاغة: ١٨ / ١٧٩ (حكمة ٤٧) .

شبع اللئيم فاحذروا صولته). أما الألفاظ المتقابلة دلاليا في حكمة الإمام فهي: (الكريم × اللئيم) و (جاع × شبع). وذهب ابن أبي الحديد إلى أن معنى (الجوع) و (الشبع) في هذا الموضع هو غير ما تعارف عليه الناس من معنى هذين الكلمتين فـ " ليس يعني الإمام بالجوع والشبع ما يتعارفه الناس، وإنما المراد: احذروا صوله الكريم إذا ضيم وامتهن، واحذروا صولة اللئيم إذا أكرم " [١]، وقد تابع الشارح البحراني ابن أبي الحديد فيما ذهب إليه [٢]، وهذا وإن كان محتملاً في مراد الإمام نصّه، غير أن ذلك لا يعني عدم إرادة المعنى الآخر (الحقيقي)، والمهم في ذلك هو أنّ الإمام عبّر عن ذلك من خلال جملة شرطية متقابلة دلالياً .

وورد التقابل الدلالي التركيبي في سياق الشرط أيضاً، في قول الإمام (عليه السلام) في صفة الغوغاء: ((هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا ضَرُّوا، وَإِذَا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا)) [٣]، فالألفاظ المتقابلة هي (اجتمعوا × تفرّقوا) و (ضرّوا × نفعوا). وقد عنى الإمام بحكمته أن " العامة من الناس إذا اجتمعوا واستطاع بعض المنحرفين أن يستغلّهم خرّبوا الديار وأهلكوا العباد، وإذا تفرّقوا استفاد الناس عامة منهم كما يستفيد بعضهم من بعض للعلّة التي ذكرها الإمام من انصراف كل عامل إلى عمله " [٤]، وهذه الحقيقة التي عرضها الإمام لم تتأكد من خلال انطباقها على الواقع المضموني لتلك الحكمة، وإنما قد تأكدت أيضاً باستعمال أداة شرط تفيد تحقيق المعنى النحوي (التركيبي) للجملة، وتلك الأداة هي (إذا)، أما المعنى الذي أكدت تحققه تلك الأداة فهو (الشرط)، وقد تم ذلك لاستعمال جملة شرطية متقابلة من حيث الدلالة .

أما الأداة الثانية التي استعملها الإمام (عليه السلام) ليدل بها على معنى (الشرط) من خلال جملة ذات دلالة متقابلة، فهي (مَن)، و (من) تدل على ذي العقل من الأشياء [٥]، أي إنها تكني عن ذوي العقول من الأشياء، وقد وردت على هذا من الدلالة في سياق الحثّ على الجهاد، فقال الإمام مخاطباً جمعاً من الناس: ((لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الَّتِي لَا يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَالِكٌ مَنِ اسْتَقَامَ فَإِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ زَلَّ فَإِلَى النَّارِ)) [٦]، فالذي يقف متقابلا من الكلمات في نص الإمام (عليه السلام) هو (استقام × زلّ) و (الجنّة × النار)، والمعنى هو لقد أرشدتكم إلى الطريق

---

[١]. شرح نهج البلاغة: ١٨ / ١٧٩ .

[٢]. ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير): ٥ / ٢٦٨ .

[٣]. شرح نهج البلاغة: ١٩ / ١٨ (حكمة ١٩٥) .

[٤]. شرح نهج البلاغة (موسوي): ٥ / ٣٦٥ – ٣٦٦ .

[٥]. ينظر: في النحو العربي – نقد وتوجيه: ٢٩٢ ، وقواعد النحو العربي: ٣٦١ .

[٦]. شرح نهج البلاغة: ٧ / ٢٨٥ (خ ١١٨) .

الآمن، فمن سلكه مستقيماً نجا، ومن تخلّف وعدل عنههوى، وأهلك نفسه بنفسه [1]، وقد بيّن الإمام ما دلّ كل واحدٍ من الطريقين، فـ(الجنة) هي النتيجة النهائية المقابلة للذين سلكوا الطريق القويم، و (النار) هي المحصلة النهائية لكل من زلّ وضلّ عن الطريق القويم.

ومن الأدوات الشرطية التي يعرض بها الإمام جملته الشرطية المتقابلة الأداة (ما)، و (ما) هي " كناية عن غير العاقل، وترد في الجملة الشرطية لتؤدي وظيفة الربط والتعليق " [2]، إذن لهذه الأداة وظيفة ودلالة، فوظيفتها هي الربط والتعليق، وهذان هما لازما جملة (الشرط)، أما دلالة (ما) فتختص بغير العاقل من الأشياء .

وقد استعمل الإمام (عليه السلام) (ما) الشرطية في سياق جملة متقابلة الدلالة، وذلك في بيان فضائل أهل البيت (عليهم السلام)، فقال: **((وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِناً عَلَى مِثَالِهِ، فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ، وَمَا خَبُثَ ظَاهِرُهُ خَبُثَ بَاطِنُهُ . . . وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتاً، وَكُلُّ نَبَاتٍ لا غِنَى بِهِ عَنِ الْمَاءِ، وَالْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ، فَمَا طَابَ سَقْيُهُ طَابَ غَرْسُهُ وَحَلَتْ ثَمَرَتُهُ، وَمَا خَبُثَ سَقْيُهُ خَبُثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ))** [3]، فركائز التقابل الدلالي في نص الإمام هي:

طاب × خَبُثَ وظاهره × باطنه /أولاً .
طاب × خَبُثَ وحلت × أمرت /ثانياً .

أما ما قصده الإمام (عليه السلام) من طرح تلك الثنائيات المتقابلة، هو "أنّ لكلتا حالتي الإنسان الظاهرة أمراً باطناً يناسبها من أحواله، الحالتان الظاهرتان هما ميله إلى العقل، وميله إلى الهوى، فالمتبع لمقتضى عقله يرزق السعادة والفوز، فهذا الذي طاب ظاهره وطاب باطنه، والمتبع لمقتضى هواه وعادته ودين أسلافه، يُرزق الشقاوة، وهذا هو الذي خبث باطنه " [4]، وأراد الإمام من الثنائية الأخرى هو " أن علاقة الأعمال بالنبات أشبه بعلاقة الزرع بالماء من حيث الحياة والنمو، ومن حيث الطعم والمذاق، فالشجرة التي تسقى بماء عذب مراتٍ يلذ ثمرها ويطيب، والتي تُسقى بما آسنٍ يفسد ثمرها ويخبث، وكذلك الأعمال، قوامها النية، وبها توزن

---

[1]. ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٢ / ٢٣٨ ، وشرح نهج البلاغة (خوئي): ٨ / ١٠٧ ، وفي ظلال نهج البلاغة: ٢ / ٢١١ .

[2]. قواعد النحو العربي: ٣٥٩ .

[3] . شرح نهج البلاغة: ١٨٧/٩ (خ ١٥٤) .

[4]. شرح نهج البلاغة: ٩ / ١٧٩ .

وتقاس " [1]، والذي يلحظ أن الإمام (عليه السلام)– في هذه الثنائية – قد وظّف حاسّة الذوق في عرض مراده، فالتقابل – في أحد ركنيه – كان بين (الحلاوة) و (المرارة)، وهما مما يتذوّق بحاسة اللسان، في حين أن الإمام قد قابل – في الركن الآخر – بين (طيب) السقي و (خبث) السقي، وهاتان الحالتان معنويتان لا يمكن إدراكهما بحاسّة من الحواس، لذلك يمكن القول أن التقابل وإن قام على الركائز التي تم عرضها، فإنه في الوقت نفسه، قد قام أيضاً على ركيزتين يمكن وصفهما بأنهما أكبر وأوسع من تلك الركائز، والركيزتان، ركيزة (المادي) وركيزة (المعنوي) .

٣ : التقابل الدلالي التركيبي الاسمي (المصدري) [2]

وهذا النوع من التقابل يكون طرفاه اسمين (مصدرين)، والمصدر هو " الاسم الذي يدل على الحدث مجرداً من الزمن والشخص والمكان " [3]، فالمصادر – بعبارةٍ مختصرة – هي أسماء الأحداث، وتقابل مصدرين دلالياً يعني تقابل اسمين لحادثين مجردين من أي شيء آخر، أما ما يكونه التركيب المؤلّف من ذينك الاسمين، فهو ما يسمى بـ (الجملة الاسمية)، وهذه الجملة بمجملها – بغضّ النظر عن مكوناتها الداخلية المتقابلة – لها دلالة على الدوام والثبوت [4].

ومما جاء في نهج البلاغة من التقابل الدلالي في سياق تركيب اسمي قول الإمام (عليه السلام) في أمر التحكيم: ((فَإِنَّمَا حُكِّمَ الْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ ، وَيُمِيتَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ، وَإِحْيَاؤُهُ الاجْتِمَاعُ عَلَيْهِ، وَإِمَاتَتُهُ الافْتِرَاقُ عَنْهُ)) [5]، فمكونات التركيب الاسمي (إحياء × إماتة) و (الاجتماع × الافتراق). وأوضح الشيخ محمد جواد مغنيه مدلول هذه المكونات المتقابلة في نص الإمام قائلاً : إنْ اجتمعت كلمة الحكمين على العمل بالقرآن، فقد أحييا القرآن والأمة، وإنْ اجتمعا معاً على إهماله والأعراض عنه كان ذلك إماتةً لها وله، ونفس الشيء إنْ اختلفا، لأن اختلاف الحكمين يؤدي حتماً إلى اختلاف الأمة وفشلها وذهابريحها " [6]، ويبدو أن أهمية المفاهيم التي أراد الإمام نقلها إلى الآخرين هي التي سوّغت التعبير عن ذلك، بتلك المتقابلات التي تشكل بمجموعها بنية تركيبة (اسمية) تتضمن دلالتها الثبات

---

[1]. في ظلال نهج البلاغة: ٢ / ٣٩١ .

[2].يسمي سيبويه أحياناً في كتابه المصدر اسماً، ينظر: كتاب سيبويه: ٤ / ٢١٨.

[3]. أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٢٠٨ .

[4]. ينظر: في جماليات الكلمة: ٥١ ، وقواعد النحو العربي: ٤٢ .

[5]. شرح نهج البلاغة: ٨ / ١١٣ (خ ١٢٧) .

[6]. في ظلال نهج البلاغة: ٢ / ٢٤٩ .

والاستمرار، إذ أنّ أسماء الأحداث المتقابلة الدلالة في قول الإمام كانت أسماء أحداث ثابتة مستمرة .

٤ : التقابل الدلالي بين أشباه الجمل

اختلف النحويون القدماء في تسمية التركيب الذي يضم بين أركانه (شبه جملة)، فالزمخشري يعبّر عن ذلك التركيب بـ (الجملة الظرفية) [١]، في حين أن (شبه الجملة) نفسه قد سمّاه السيوطي وابن هشام بـ (الظرف)، وهو عندهما يضم (الظرف) و (الجار والمجرور) [٢]، أما الكوفيون فإنهم يستسيغون ويسوّغون اسم (الصفة) على كل من (الظرف) و (الجار والمجرور) [٣]. وقد ارتضى المحدثون تسمية (شبه الجملة) على (الظرف) و (الجار والمجرور)، ذلك لأن عندهم مصطلح (شبه الجملة) هو " أقرب إلى الأذهان، لأنهما نابا عن الفعل أو ما يشبهه، فلذلك شُبّها بالجملة، كما أن التقارب الوثيق بينهما، والسمات المشتركة التي تجمعها إلى اختيار هذه التسمية، إذ تجعلها قسيماً ثالثاً للجملتين، الاسمية والفعلية في تصنيف الكلام العربي " [٤] .

ويقصد بـ(تقابل أشباه الجمل)أن هناك ظرفاً أو جارّاً ومجروراً، لهما دلالة معينة في طرف من طرفي التركيب، يقابلهما ظرف أو جار ومجرور لهما دلالة أخرى مقابلة للدلالة الأولى في الطرف الآخر من طرفي التركيب، وعليه سوف نبيّن ما احتواه نهج البلاغة من (أشباه جمل متقابلة) .

أ . التقابل الدلالي بين الظروف

وردت في سياقات نهج البلاغة مجموعة من الظروف المتقابلة دلالياً، ومن ذلك الظرفان (فوق) و (تحت)، إذ يمثل كل ظرف من هذين الظرفين

---

[١]. ينظر: شرح المفصل: ١ / ٨٨ .

[٢]. ينظر: همع الهوامع– شرح جمع الجوامع (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي)، تصحيح: محمد بدر الدين النعساني، ط ١، محمد أمين الخانجي الكتبي وشركاؤه بمصر والإستانة– ١٣٢٧ هـ: ١٩/٢ ، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١ / ٢٠٦ .

[٣]. ينظر: شرح المفصّل: ٨ / ٧ .

[٤]. شبه الجملة – دراسة تركيبية تحليلية مع التطبيق على القرآن الكريم (د. سوزان محمد فؤاد فهمي)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر – ٢٠٠٣ م: ١٠ .

مكاناً معيناً، وقد جاء الإمام (عليه السلام) بالظرفين (فوق) و (تحت) متقابلين في قوله ذاكراً اصطفاء الأنبياء ورسالاتهم: ((فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ ، وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ : مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ))[1]، **فالظرفان المتقابلان في نص الإمام (عليه السلام) – كما مرَّ – هما (فوق × تحت)، وهذان الظرفان يمثلان اتجاهين معروفين، وقد عنى بهما الإمام في هذا الموضع (السماء) و (الأرض)، وقد مثّل هذان المحلان ذينك الاتجاهين لكون (السماء) تمثل جانب (العلو) كالسقوف في المنازل، و (الأرض) تمثل جانب (الدنو)**[2]، **ويلاحظ** أن الإمام قد ذكر الظرفين (فوق) و(تحت) – مع ما فيهما من دلالة على مكانين محددين – ذكرهما بعد الكلمتين (السقف) و (المهد)، وهاتان الكلمتان فيهما دلالة على المكانين نفسيهما، وهذا يعني أن دور الظرفين المذكورين في نص الإمام هو تأكيد الدلالة على مكانين متقابلين من حيث الدلالة .

وفي سياق موعظة الناس، أورد الإمام ظرفين متقابلين، ولكنهما يمثلان اتجاهين مختلفين عن الاتجاهين اللذين دلَّ عليهما الظرفان السابقان، فإذا كان الظرفان (فوق) و (تحت) قد مثّلا اتجاهاً عمودياً، فإن الظرفين (أمام) و (وراء) يمثلان اتجاهاً أفقياً، وقد جاء هذان الظرفان في قول الإمام (عليه السلام): ((إِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ، وَإِنَّ وَرَاءَكُمُ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ)) [3]، فمهما كان المعنى الذي أراده من كلمة (الغاية)، سواء أكان المعنى هو الثواب أم العقاب أم الموت [4]، فإن الإمام (عليه السلام) قد جعل ذلك في دلالة لفظة (الأمام)، وذلك " لأن الإنسان كالسائر إلى الموت أو السائر إلى الجزاء، فهما أمامه، أي بين يديه " [5]، أما الساعة، فقد جعلها الإمام وراءنا تسوقنا، " جعلها وراءنا، لأنها إذا وجدت ساقت الناس إلى موقف الجزاء كما يسوق الراعي الإبل، فلما كانت سائقة لنا، كانت كالشيء يحفز الإنسان من خلفه،

---

[1]. شرح نهج البلاغة: ١ / ١١٧ (خ ١) .

[2]. نظر : توضيح نهج البلاغة: ١ / ٣٧ .

[3]. شرح نهج البلاغة: ١ / ٣٠١ (خ ٢١) .

[4]. ينظر: المصدر نفسه: ١ / ١٠٣ .

[5]. شرح نهج البلاغة: ١ / ١٠٣ .

ويحرّكه من وراءه إلى جهة ما بين يديه " [1]، وإذا عُرف معنى أن تكون الغاية أمامنا، فإن معنى أن تكون الساعة وراءنا يبدو ملتبس الدلالة، ذلك ما يأتي – والساعة كذلك – يكون أمامنا، وقد حلّ ابن قتيبة ذلك الالتباس، إذ قال: " كل ما غاب عن عينك فهو وراء، كان قُدّامك أو خلفك " [2]، فـ (أمام) لا تقابلها (وراء)، وإنما يقابلها الظرف المكاني (خلف)، ولمّا كان الظرف (وراء) يدل على حركة، فجاء به الإمام لبيان سيرهم نحو الساعة. إذن تُشير دلالة الظرفين المكانيين إلى دلالة معنوية، أراد بها الإمام الموعظة، أي أن النهاية وهي الغاية أمام الإنسان، وهي المحصلة النهائية لأعماله الدنيوية، فإما السعادة أو الشقاوة، وإنّ قيام الساعة وراء الإنسان مهما طال أمده .

وإذا كانت الظروف السابقة متقابلة من حيث دلالتها المكانية، فإن هناك ظروفاً تأتي متقابلة، ولكن من حيث دلالتها الزمانية، ومن تلك الظروف التي جاءت في نهج البلاغة، الظرفان (بعد) و (قبل)، وقد ورد هذان الظرفان متقابلين في قول الإمام (عليه السلام): ((لَمْ يُخْلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ، رُسُلٌ لا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ ، مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ ، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُمَنْ قَبْلَهُ)) [3]، فالإمام في هذا الموضع من كلامه يُشير إلى مسألة عدم خلوّ الأرض من حُجّة تُنير للأنام طريقهم، أي تناوب خلفاء الله تعالى على الأرض، وذلك لأن " من ألطاف الأنبياء المتقدمين وأوصيائهم، أن يعرفوا الأنبياء المتأخرين وأوصيائهم، فعرفهم الله تعالى ذلك، وكان من اللطف بالمتأخرين وأوصيائهم أن يعرفوا أحوال المتقدمين من الأنبياء والأوصياء، فعرفهم الله تعالى ذلك أيضاً، فتم اللطف لجميعهم " [4]، فالغرض من التقابل بين الظرفين (بعد) و(قبل) هو شغل الحيّز الزماني حتى يستغرق الوجود كلّه، وذلك يعني أن حجّة الله تعالى قائمة على الخلق بأوليائه في كل مرحلة من مراحل وجودهم. والإمام يورد الظرفين (بعد) و (قبل) في سياقات متنوعة، والهدف من إيرادها هو استيفاء الحدود القصوى للزمن ببعديه (القَبْلي) و (البعدي) ولعل في ذلك ما يفسّر مجيء (قبل) و(بعد) في أثناء جمل تحمل أوصافاً تستوعب مَدَيات زمانية غير قابلة للزيادة أو النقصان .

وكذلك أورد الإمام التقابل بين الظرفين الزمانيين المطلقين، في بيان أوصاف سبحانه وتعالى وأوصاف القرآن الكريم، إذ قال: ((الأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ

---

[1]. نفسه: ١ / ١٠٣ .

[2]. تأويل مشكل القرآن (ابن قتيبة)، شرحه ونشره: السيد أحمد صقر، ط ٣ ، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان – ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م: ١٨٩ .

[3]. شرح نهج البلاغة: ١ / ١١٤ (خ ١) .

[4]. شرح نهج البلاغة: ١ / ١١٦ .

قَبْلٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَالآخِرُ الذي لَيْسَلهُ بَعْدٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ بَعْدَهُ)) [١]، وقال: ((ٱلحَمْدُ لِلَّهِ الأَوَّل قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ، وَالآخِر بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ)) [٢] .

واستعمل الإمام ذينك الظرفين في بيان فضل القرآن الكريم، إذ قال (عليه السلام):

((وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ، وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنىً)) [٣] .

ب . التقابل الدلالي بين الجار والمجرور (التقابل الحرفي)

هذا القسم من قسمي (تقابل أشباه الجمل)، هو مما يمكن أن يُعرف بتسمية (تقابل الكل باسم الجزء)، ذلك لأن جزءً من جزءي (الجار والمجرور) – وهو المجرور على وجه التحديد –ليس معنياً بـ(التقابل)، وأن الذي يعنيه أمر التقابل ويكون فيه، هو حرف (الجر)، ولكن لمّا كان حرف الجر لا يؤدي وظيفته، ولا يتضّح معناه إلاّ بغيره (المجرور)، لذا جاز في هذا الأخير أن ينضم مع ما قبله ليؤدي الاثنان وظيفة واحدة ويدلان على معنىً واحد .

وقد اختلف النُحاة في تسمية حروف الجر، فهي عند البصريين تسمّى بـ (حروف الإضافة) [٤]، " لأنها تُضيف معاني الأفعال إلى الأسماء، أي توصلها إليها " [٥]، وهي عند الكوفيين (حروف الصفات) [٦]، " لأنها تُحدث صفة في الاسم كالظرفية والبعضيّة والاستعلاء وغيرها من الصفات " [٧]، ويسمّيها ابن الحاجب النحوي بـ (حروف الجر والإضافة)، ويرجع ذلك إلى ما انطوت عليه تلك الحروف من معانٍ، إذ يقول ابن الحاجب: " سميت معناها، كما قيل: حروف النفي وحروف الإضافة وحروف الجر، لأنها تضيف معاني الأفعال إلى الأسماء – أي توصله – وكذلك تجرّه، ويكون المراد به نفس الإعراب، فكأنها أُضيفت إلى الإعراب الذي هو معمولها، كما يقال حروف النصب وحروف الجزم، وكلها اشتركت في أنها وصلت على ذلك وإنْ اختلفت معانيها " [٨]، فحروف الجر لها وظيفة دلالية تضاف إلى وظيفتها اللفظية (

---

[١]. شرح نهج البلاغة: ٦ / ٣٩٨ (خ ٩٠) .

[٢]. شرح نهج البلاغة: ٧/ ٩٦ (خ ١٠٠) .

[٣]. شرح نهج البلاغة: ١٠ / ١٨ – ١٩ (خ ١٧٧) .

[٤]. ينظر: شرح المفصّل: ٨ / ٧ ، وشرح الرضي على الكافية: ٢ / ٣٥٤ .

[٥]. حروف الجر وتعلّقها: ٢٩٦ .

[٦]. الإيضاح في شرح المفصّل: ٢ / ١٤٠ .

[٧]. شرح المفصّل: ٨ / ٧ ، وينظر: شرح الرضي: ٢ / ٣٥٤ ، وهمع الهوامع: ٢/ ١٩ .

[٨]. الإيضاح في شرح المفصّل: ٢ / ١٤٠ .

الجر) ، وهاتان الوظيفتان تُشكلان بنية واحدة لها دلالة على معنى معيّن، تقابلها بنية أخرى لها دلالة على معنى مقابل للمعنى الأوّل، إذ تؤلّف البنيتان نوعاً من التقابل، يمكن أن يُطلق عليه (تقابل الجار والمجرور) .

ومما ورد في نهج البلاغة من تقابل (الجار والمجرور) قول الإمام (عليه السلام) في صفة الدنيا: ((مَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ، وَمَنْ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ)) [1]، فـ (الجاران) و (المجروران) المتقابلان، هما (بها) و (إليها)، أو بالأحرى هما حرفا الجر (الباء) و (إلى)، إذ أن (الهاء) في كلا الحرفين لها مرجع واحد تعود إليه، والمرجع هو الدنيا التي قام الإمام بوصفها، غير أن هذا المرجع (الدنيا)قد استمد شيئاً من دلالته من حرف الجر المتصل به، ذلك لأن البصر بالدنيا هو غير البصر إليها، فمن أبصر بها " جعل الدنيا آلة البصيرة ليرى بها الأشياء ويعتبر بها الأمور كيف تُصرف وتنتقل من حالٍ إلى حال، أي أرته الأمور مجاريها ومصايرها، فلا يغتر بها لمعرفته حقيقتها، ومن أبصر إليها: أي جعل غاية نظره الدنيا يتطلّب جاهها وما لها وعزّها، فأنها تعميه وتسبب له الهلاك " [2]، فالتقابل الوارد في نص الإمام متأتٍّ من حرفي الجر (الباء) و(إلى)، وقد استجلب هذا التقابل نتيجتين متقابلتين أيضاً، هما (البصر) و (العمى) .

ويقابل الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة ضمن ما يمسى بـ(تقابل الجار والمجرور) بين الحرفين الجارين (اللام) و (الميم)، وذلك في بيان عدالته(عليه السلام)، إذ قال: ((الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ)) [3]، فـ (اللام) في هذا الموضع، أي في (لهُ) تفيد معنى (التمليك)، وهذا هو أحد معاني (اللام) في كتب (حروف المعاني) [4]، أي أن الإمام (عليه السلام) بإمكانه أن يملك الحق للذليل حتى يكون الذليل عزيزاً، أما المجرور (الهاء) فإنّه يعود على الذليل. وبالمقابل فإن حرف الجر الآخر (من) له معنى مقابل لمعنى الحرف الأول، والمعنى هو

---

[1]. شرح نهج البلاغة: ٦ / ٢٣٨ (خ ٨١) .

[2]. توضيح نهج البلاغة: ١ / ٣٠٨ .

[3]. شرح نهج البلاغة: ٢ / ٢٨٤ (خ ٣٧) .

[4]. ينظر: الجنى الداني: ١٤٤ ، والتحفة الوفية: ٢١ ، وحروف المعاني بين الأصالة والحداثة (حسن عباس) منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق – ٢٠٠٠ م: ٥٣ .

(الاستخراج)، وهذا المعنى هو الأصوب على وفق ما ذهب إليه أحد المحدثين [١]، مخالفاً بذلك سيبويه في عدّه (من) في مثل هذا الحال للغاية [٢]، أما المجرور فهو الآخر، (الهاء)، وهذا الضمير له مرجع يعود عليه، وهو (القوي)، وهو يقابل بمعنى من المعاني – تقابل معنوي – المرجع الأول (الذليل)، أي أن الإمام (عليه السلام) في الطرف الآخر من التقابل يقصد أن بإمكانه أن ينتزع الحق من القوي حتى يعود ذلك القوي ضعيفاً، والمراد بنص الإمام هو " أن الذليل المظلوم، أقوم بإعزازه ونصره، وأقوي يده إلى أن آخذ الحق له، ثم يعود بعد ذلك إلى الحالة التي كان عليها قبل أن أقوم بإعزازه ونصره، والقوي الظالم استضعفه واقهره وأذلّه إلى أن آخذ الحق منه، ثم يعود إلى الحالة التي كان عليها قبل أن أهتضمه لاستيفاء الحق " [٣]، فالمتقابلات في النص هي حرفا الجر (اللام × من)، والمجروران (الهاء) كنايةً عن الذليل، وتقابلها (الهاء) كنايةً عن القوي، فالأخيران تقابلا بالكناية وليس بالتصريح .

وإذا كان الإمام (عليه السلام) في تقابل (الجار) و (المجرور) السابق قد قابل بين ركني ذلك التركيب، فإنه قد يورد أحياناً نمطاً آخر من تقابل الجار والمجرور، وينماز هذا النمط من التقابل، بأنّ أجزاءه (الجار والمجرور) ليست متقابلة فحسب، وإنما هي متناوبة بشكلٍ معكوسٍ أيضاً، أي أن (الجار) الأول في الطرف الأول من التقابل له (مجرور) معين في هذا الطرف نفسه، في حين أن لذلك الجار (الأول) مجروراً غير ذلك المعين، ولكن في الطرف الآخر من التقابل، يزداد على ذلك وجود جارّين ومجرورين آخرين على تلك الشاكلة السابقة في سياق الجملة المتقابلة دلالياً بجارّها ومجرورها الأولين، أي أن الجارين والمجرورين يتناوبان بشكلٍ معكوس في جملة واحدة، ومما جاء في نهج البلاغة على تلك الحال، قول الإمام (عليه السلام): ((أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً ، وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ)) [٤]، فحرفا الجر المتقابلان من حيث الدلالة، هما (اللام × على)، فـ (اللام) في هذا الموضع للـ (استحقاق)، وهذا هو أحد معانيها [٥]، أي ما أستحقه منكم هو الحق، أما (على) فهي تفيد في هذا الموضع (الاستعلاء) [٦]، أي أن أن حقي – والحديث للإمام – مُستعلٍ عليكم، هذا في الطرف الأول من التقابل، أما في الطرف الآخر منه، فإن الإمام قد عكس المسألة تماماً، إذ أن ما كان له من الحق

---

[١]. ينظر: حروف المعاني بين الأصالة والحداثة: ٦٨ .

[٢]. ينظر: كتاب سيبويه: ٤ / ٢٢٥ .

[٣]. شرح نهج البلاغة: ٢ / ٢٨٦ .

[٤]. شرح نهج البلاغة: ٢ / ١٨٩ (خ ٣٤) .

[٥]. ينظر الجنى الداني: ١٤٣ ، والتحفة الوفية: ٢٢ ، وحروف المعاني بين الأصالة والحداثة: ٥٣ .

[٦]. ينظر:نفسه: ٤٤٤ ، ونفسه: ٢٦ ، ونفسه: ٧٣ .

صار عليه، وما كان عليهم من الحق صار لهم، ويمكن أن يُضاف إلى هذا النوع من التقابل تقابل آخر، وذلك التقابل يمكن تسميته بـ(التقابل المرجعي)، إذ أن الضميرين المجرورين (الياء) التي مرجعها شخص الإمام (عليه السلام)، و (كم) التي مرجعها الناس المخاطبون، يمكن أن يقف أحدهما مقابلاً للآخر، فالتقابل الوارد في نص الإمام لم يكن متأتياً من الدلالة التي تستجلبها الحروف الجارّة وإنما قد تأتي من المراجع المفهومة التي دلّت عليها الضمائر المجرورة .

وفي سياق الاستفهام الإنكاري، ورد تقابل حرفي الجر (اللام) و (على) في قول الإمام (عليه السلام) للأشعث بن قيس: ((مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي))[1]، فالحرفان المتقابلان في الدلالة، هما (على) و (اللام)، قد بُيّن معنيا الحرفين فيما سبق، غير أن المرجع المفهوم للضمير المجرور (الياء) في كلا الطرفين هو واحد، وهو الإمام نفسه، وقد جاء التقابل هنا في معرض الرد على الأشعث بن قيس في اعتراضه على الإمام (عليه السلام) في أمر التحكيم[2]، فكأنّ الإمام أراد أن يوقف الأشعث بن قيس عند الحد الذي يجب عليه أن يقف عنده، وذلك عن طريق معرفة الحقوق والواجبات المتقابلة، والتي يضطلع الإمام بمعرفتها من دون أن يُعرّف بها .

وإذا كان الإمام (عليه السلام) قد وظّف في التقابل السابق، حرفي الجر (على) و (اللام) ليُحدث نوعاً من المقابلة الدلالية في المعنى، فإنه (عليه السلام) في موضع آخر من نهج البلاغة يعمد إلى حرفي جر آخرين يكون منهما حرف (اللام)، أما الحرف الآخر المقابل له، فهو (عن)، ولمّا عُرف – فيما مضى – أن معنى (اللام) هو (التمليك)، فإن الحرف (عن) في هذا المعنى هو المجاوزة والحركة، أو المجاوزة وحدها، لأن فيها معنى الحركة، و (المجاوزة) كما تذكر كتب معاني الحروف، هي أشهر معنى من معاني (عن)[3]، ومما جاء في نهج البلاغة من التقابل بين الحرفين (اللام) و (عن)قول الإمام (عليه السلام) في الاستعداد للموت: ((فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، وَابْتَاعُوا مَا يَبْقَى

---

[1]. شرح نهج البلاغة: ١ / ٢٩١ (خ ١٩) .

[2]. ينظر: شرح نهج البلاغة: ١ / ٢٩٦ ، وتوضيح نهج البلاغة: ١ / ١١٩ ، ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٣ / ٢٨٣ ، في ظلال نهج البلاغة: ١ / ١٥٣ .

[3]. ينظر: الجنى الداني: ٢٦١ ، والتحفة الوفية: ٢٥ ، وحروف المعاني بين الأصالة والحداثة: ٦٩ .

لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ)) [1]، ولا يخفى اثر الفعلين (يبقى) و (يزول) في نص الإمام، إذ أن لكل فعل منهما دلالة يعززها ما يدل عليهما الحرفان (اللام) و (عن) أي أن المتعلقين يعززان ما تعلّقا عليه من حيث الدلالة المتقابلة لكل منهما. وقد استثمر الإمام التقابل في هذا الموضع لغرض الإشارة " إلى لزوم الزهد في الدنيا، ولتخلّي عن متاعها الفاني، وأن يشتري به ما يبقى من متاع الآخرة " [2]، فالإمام يرشد إلى عملية المقايضة، أي مقايضة الدنيا التي من صفتها الزوال والمجاوزة، بالآخرة التي صفتها البقاء والمكوث، وقد تمت تلك المقايضة (المقابلة) بوساطة الحرفين (اللام) و (عن) المتعلقين بفعلين متقابلين أصلاً .

وقد يأتي في نهج البلاغة حرفان متقابلان دلالياً، ولكن تقابلهما لا يحصل بأن يكون أحدهما ذا دلالة على حركة والآخر ذا دلالة على السكون – كما هو الحال في التقابل السابق - وإنما قد يكون الحرفان المتقابلان لهما دلالة على الحركة، ولكن تلك الحركة مختلفة في اتجاهها، وقد ورد ذلك التقابل (التقابل المعاكس) في قول الإمام (عليه السلام) مخاطباً أصحابه: ((وَقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ اللَّهِ مَنْقُوضَةً فَلا تَغْضَبُونَ ، وَأَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمَمِ آبَائِكُمْ تَأْنَفُونَ ، وَكَانَتْ أُمُورُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ ، وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ، وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ))[3]، فالحرفان المتقابلان هما (على) و(عن)، واتجاه هذين الحرفين فيما يدلان عليه من جهة إلى جهة أخرى أي أن الطرف الأول (الجهة الصادرة)، والطرف الثاني (الجهة التي ورد إليها)، وليس هذا فحسب، وإنما في هذا النوع من التقابل طرف ثالث، واتجاه هذا الطرف هو من (الجهة التي ورد إليها إلى جهة أخرى صدر إليها)، وقد دلّ على هذا الطرف حرف الجر (إلى)، ويمكن أن يطلق على هذا النوع من التقابل بـ (التقابل الثلاثي الأبعاد) [4]، فالأبعاد تبدأ بأن الأحكام الشرعية تصدر من الإمام (الاتجاه الأول)، لترد إليهم – أصحابه – وهم (الاتجاه الثاني)، فيتعلمون تلك الأحكام من الإمام، ومن ثم تصدر منهم – أصحابه –إلى من يتعلّم تلك الأحكام (الاتجاه الثالث)، ثم ترجع إليهم – أصحابه– أي من يتعلمها من أبنائكم وإخوتكم من هؤلاء المتعلمين [5] .

ثانياً : التقابل الدلالي بين الأساليب

---

[1]. شرح نهج البلاغة: ٥ / ١٤٥ (خ ٦٣) .

[2]. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٢ / ١٦٣ .

[3]. شرح نهج البلاغة: ٧ / ١٧٦ (خ ١٠٥) .

[4]. ينظر: الإسلام والأدب (د. محمود البستاني)، المكتبة الأدبية المختصة، ط ١، قم – ١٤٢٢ هـ: ١٤١ .

[5]. ينظر: شرح نهج البلاغة: ٧ / ١٧٧ ، وصفوة الشروح: ٢٦٣ .

الأسلوب :

يكاد يتطابق مفهوم الأسلوب في اللغة العربية لغةً واصطلاحاً، فالأسلوب لغةً هو " الطريق. ويُقال: سلكت أسلوب فلان في كذا: أي طريقته ومذهبه. والأسلوب: الفن، ويقال: أخذنا في أساليب من القول: فنون متنوعة، والأسلوب: الصّفُ من النخل وجمعه أساليب " [١]، ويمكن أن نجد في تعريف الأسلوب في المعاجم العربية الإيحاء بأن الأسلوب هو التناسق، وهذا ما يؤكده القول بأنه " سطر من النخل " [٢]، وكذلك هو الإيحاء بالامتداد، ويسند ذلك القول، أن الأسلوب هو " كلّ طريق ممتد " [٣]، ولذلك يكون الأسلوب – أكثر ما يكون – في النص الممتد. أي أن الأسلوب يتناسب طردياً مع إنتاج الأديب [٤]، ويتجلّى هذا التناسب مع نصوص نهج البلاغة الغزيرة .

وقد صاغ لنا الدكتور محمد بلوحي تعريفاً للأسلوب بعد أن تأمّل نظرة ابن طباطبا إلى الأسلوب [٥]، فقال: " إن الأسلوب ليس المعنى وحده واللفظ وحده، وإنما هو مركب فني من عناصر مختلفة يستمدها الفنان من ذهنه ومن ذوقه، تلك العناصر هي الأفكار والصور والعواطف، ثم الألفاظ المركبة والمحسنات المختلفة " [٦]. وقد ميّز بين الأسلوب والأسلوبية. فالأسلوب هو " أداة التواصل اليومية "، أما الأسلوبية فهي " المنهج الذي يتبعه المبدع والذي يميّز آثاره الفنية عن غيرها من الأعمال والآثار " [٧]. ويرى الدكتور صلاح فضل أن الأسلوب: " هو محصلة مجموعة من الاختيارات المقصودة بين عناصر اللغة القابلة للتبادل " [٨] ، وأوسع مجال للاختيار هو " مجال التعبيرات المجازية التصويرية من تشبيه واستعارة وغيرها، إذ يستطيع الكاتب أن

---

[١]. أساس البلاغة: (سلب) ٢١٧ ، ولسان العرب: (سلب) ١ / ٤٧٣ ، وتاج العروس: (سلب) ١ / ٣٠٢ ، والمصباح المنير: (سلبته) ١ / ٢٤٣ .

[٢]. لسان العرب: (سلب) ١ / ٤٧٣ .

[٣]. نفسه .

[٤]. ينظر: مقدمة في النقد الأدبي (د. علي جواد الطاهر)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، بيروت – ١٩٧٩م: ٣١٩ .

[٥]. ينظر: عيار الشعر(ابن طباطبا)، تح: عباس عبد الستار، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت – ١٩٨٣م: ١١ – ١٦ .

[٦]. الأسلوب بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحديثة (د. محمد بلوحي)، (مقال)، مجلة التراث العربي، العدد (٩٥)، دمشق، أيلول ٢٠٠٤ م – رجب ، ١٤٢٥ هـ: ٥٣ .

[٧]. نفسه .

[٨]. علم الأسلوب (مبادؤهواجراءته)، (د . صلاح فضل)، دار الشروق، ط ١ ، القاهرة – ١٩٩٨ م: ١١٦ .

يقارن أي شيء بأي شيء آخر، مادام هناك شبه أو علاقة من نوع ما " [١]، ويحكم عملية الاختيار عوامل، يمكن تصنيفها إلى نوعين:

عامل ذاتي: يشمل الإطارات اللغوية كالمتكلم وتفكيره، ومهاراته الأسلوبية .

عامل موضوعي: ويشمل المقام بأوسع مفهوماته[٢] .

ولا يخفى تأثير ذنيك العاملين في إنتاج السفر الخالد لأمير المؤمنين، فقد أثارت أحداث حياته الكريمة والأوضاع التي تعرّض لها الدفين من ملكة الإمام (عليه السلام)، فذهب يعبّر عن تلك الأحداث والمواقف بالخطاب المباشر أحياناً، وفي الغالب يلجأ إلى التعبير بالمجاز لأنه: " يُعدّ وسيلة فنية لإثراء الدلالة، وتحقيق القوة التعبيرية على مستوى التركيب " [٣]، ويُعدُّ المجاز أبلغ من الحقيقة، لما فيه من خيال ومجال وتصوير، وقد استطاع الإمام من خلال التشبيه والاستعارة والكناية أن يصوّر الأبعاد النفسية والأفكار التي كان يرمي إليها بشكلٍ يحقق عنصر التأثير والانفعال لدى المتلقي، من إثارة النفس أو إلهاب العاطفة أو إذكاء الشعور في حالتي الترغيب والترهيب، وفي كل ذلك كان يتوخّى رصانة الألفاظ، ودقّة سبكها وصياغتها، لذا جاءت الفقرة الثانية من الفصل الثالث متضمّنة بعض الصور والمشاهد والمواقف التي صوّرها الإمام لنا، وعرض فيها صوراً كاملة متكاملة فيها " المعقول محسوس، والمنظور مسموع، والمسموع منظور " [٤] .

١ : التقابل الدلالي بين الصور

نجد في نهج البلاغة، ومن خلال التعابير المتقابلة، صوراً متعددة ومتباينة، ولاسيما ما يتعلق بالتراكيب، لأنها هي التي ترسم – في الغالب – الصورة الفنية، ويتم ذلك بوسيلتين:

---

[١] . علم الأسلوب: ١١٩ .

[٢]. ينظر: دلالة الأطر الأسلوبية (رشيد بلحبيب)، (بحث)، المجلة العربية للثقافة، العدد ٣٧ ، ١٩٩٩م: ١ .

[٣]. في البنية والدلالة – رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية (د. سعد أبو الرضا)، منشأة المعارف بالإسكندرية، د . ت : ٨٣ .

[٤]. الصورة البيانية بين النظرية والتطبيق (د. حنفي محمد شرف)، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط ٢ ، ١٩٧٩م: ٢٢١ .

أحدهما: " تقديم المعنوي المجرد من خلال الحسّي العيني، وهذا أمر يتم عن طريق إحلال طائفة من الصور الحسّية محل طائفة من المعاني المجردة، تمثيلاً لتلك الأخيرة، وتمكيناً لها من أن تتخيل في الذهن كما تتخيل المتحققات " [١] .

وثانياً: " عن طريق التشخيص الذي يقوم على خلع الإنساني على الكائنات الحية والجامدة، المعنوية وغير المعنوية، مما هو غير إنساني " [٢] .

وقبل البدء في عرض الصور التي جاءت متقابلة في نهج البلاغة، نقف على ما جاءت به كتب أهل اللغة والأدب من معنى لتلك المفردة .

الصُّورةُ " التمثال وجمعها (صُور) وتصوّرْت الشيءَ مَثّلت صورتَهُ وشكلهُ في الذهن فَتصوَّر هَو " [٣]، " وصَوَّرَهُ مشتق من الثلاثي (صارَ) وهو: جعل له صورةٌ مجسّمة، وصور الأمر: وصفه وصفاً يكشف عن جزئياته، و (تَصَوَّر): تكوّنت له صورة وشكل، وتَصوَّر الشيء: تخيّله واستحضر صورتهُ في ذهنه، والصُّورةُ: الشكل والتمثال المُجسَّم. وصورة الشيء: خياله في الذهن أو العقل " [٤]. أما في الاصطلاح فقد قال الجرجاني: "واعلم أن قولنا الصورة إنّما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا " [٥]، والصورة " تركيب لغوي لتصوير معنى عقلي وعاطفي متخيّل لعلاقة بين شيئين يمكن تصويرها بأساليب عدّة " [٦]. وقال الدكتور جابر أحمد عصفور: " إن الصورة طريقة خاصة من طرق التعبير، أو وجه من أوجه الدلالة، تنحصر أهميتها فيما تُحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير، ولكن أيّاً كانت هذه الخصوصية، أو ذاك التأثير، فإن الصورة لن تغيّر من طبيعة المعنى في ذاته، إنّها لا تغيّر إلاّ من طريقة عرضه، وكيفية تقديمه " [٧] .

أما الصورة عند البصير فهي " الصلة بين الأديب المنشيء والمتلقي المتذوّق تجري رسولاً من عنده وتتخطّى الزمان والمكان خلودا على الأزمان " [٨]. فالصورة تأتي من دلالات الكلمات والعبادات المجازية، أو من المعاني التي تدل

---

[١]. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي (جابر أحمد عصفور)، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت – ١٩٨٣ م: ٢٦٨ .

[٢]. نفسه .

[٣] . المصباح المنير: (الصورة) ١ / ٣٥٠ .

[٤]. المعجم الوسيط: ١ / ٥٣٠ .

[٥]. دلائل الإعجاز: ٣٥٥ .

[٦]. بديع القرآن: ٣١ .

[٧]. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: ٣٩٢ ، وينظر: بناء القصيدة الفني في النقد القديم والحديث (مرشد الزبيدي)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – ١٩٩٤ م: ٤٥ .

[٨]. بناء الصورة الفنية في البيان العربي (موازنة وتطبيق)، (د. كامل حسن البصير)، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م: ٧٧ .

دلالة تبعية تدل عليها الكلمات والعبارات بسبب جرسها وموسيقاها، حين تثير في النفس انفعالات خاصة ليست من طبيعة الكلمات في أصل وضعها [١] .

وقد تضمّن نهج البلاغة صوراً كان القصد من ورائها تقريب ما هو بعيد، وإحضار ما هو غائب، فقال (عليه السلام) في سياق التنبيه : ((أَلا وَإِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ، حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وَخُلِعَتْ لُجُمُهَا، فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ. أَلا وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ، حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا ، وَأُعْطُوا أَزِمَّتَهَا، فَأَوْرَدَتْهُمُ الْجَنَّةَ)) [٢]، فالخطايا: " جمع خطيئة، وهي الذنب، وشُمُسُ: جمع شموس، وهو الفرس الجموح يأبى ويمتنع أن يمكن أحداً من ظهره " [٣]. أما المطايا فهي " جمع مطيّة، وهي الدابة " [٤]، والذُلل " جمع ذلول، ويقال للدّابّة إذا سهُل ركوبها وانقيادها " [٥]. شبّه الإمام الخطايا بالفرس الجموح، والنفس كالراكب، والدين كاللجام، ومن ركب فرساً جموحاً بلا لجام يردعها، أوردته مناهل الهلكة، أما التقوى فإنها كالمطية الذلول التي زمامها بيد الإنسان فقد حفظها عن السرعة والحركة غير المرغوبة، فأدخلته الجنّة في سير مريح [٦]. فلما قصد الإمام التحريض على اجتناب المعاصي والآثام والتزام التقوى، أتى بصورتين متقابلتين انتزعهما من واقع الحياة العربية ليكونا أوقع في النفوس .

وكثيراً ما تقترن الصورة بحركة، ويعمل التخييل على الإسهام في رسمه لتلك الصورة، وقد عبّر الإمام (عليه السلام) عن حالتي القبض والبسط في صورتين متقابلتين، وذلك في معرض التحقير لما هو فيه من أمر الدنيا وما بقي له من التصرف الحق بالأمصار بالنسبة إلى ما لغيره من التصرف الباطل، إذ قال: ((مَا هِيَ إِلاَّ الْكُوفَةُ أَقْبِضُهَا وَأَبْسُطُهَا، إِنْ لَمْ تَكُونِي إِلاَّ أَنْتِ تَهُبُّ أَعَاصِيرُكِ فَقَبَّحَكِ اللَّهُ !)) [٧]، القبض و البسط هما من الأفعال المادية التي يمارسها الإنسان وقد كنّى بهما الإمام ليعبّر عن وجوه تصرّفه بالكوفة، وهي ليست بشيء إذا قيست إلى غيرها من سائر البلاد التي عليها الخصم [٨]. فقد استفاد الإمام مما تومئ إليه الصورتان (القبض والبسط) في واقعهما ليجسّد الصورتين عن واقع من نوع آخر، فجسّد ما ليس

---

[١]. ينظر: بناء الصورة الفنية: ٦١ – ٧٧ .

[٢]. شرح نهج البلاغة: ١ / ٢٧٢ (خ ١٦) .

[٣]. المصباح المنير: (خطوت) ١ / ١٤٧ . (الشمس) ١ / ٣٢٢ .

[٤]. المصباح المنير: (المطا) ٢ / ٥٧٥ .

[٥]. المصباح المنير: (ذَلَّ) ١ / ٢١٠ .

[٦]ينظر: توضيح نهج البلاغة: ١ / ١٠٣ ، وفي ظلال نهج البلاغة: ١ / ١٣٧ .

[٧]شرح نهج البلاغة: ١ / ٣٣٢ (خ ٢٥) .

[٨]. ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير): ٢ / ١٩ ، وفي ظلال نهج البلاغة: ١ / ١٧٦ .

مُجسّداً، وألبس غير المحسوس لبوس المحسوس، لتتحوّل الأشياء إلى أشياء جديدة من دون أن تفقد تواصلها مع معانيها الأولى [١] .

ويعرض الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة صورتين متقابلتين أيضاً، يصوّر بهما حال الناس الذين يخاطبهم، إذ تصور تلكما الصورتان الفرق بين ما يسعى الإمام إلى تحقيقه، وبين ما يبتغي الناس من وضع يرومون أن يكون عليه، فالإمام يأمل لمَّ شمل الأمة تحت لواء واحد وخلف كلمة واحدة، في حين يصرّ الناس على أن يبقوا متشتتين. ولا سبيل لتصوير تلك المفارقة إلاّ باستحضار صورة الإبل التي ما أن تجمع من جانب حتى تتفرّق من جانب آخر، فهذه الصورة صورة متكاملة من حيث أنها تجسّد مشهداً واحداً، غير أن هذا المشهد يحمل بين طيّاته صورتين متقابلتين تعكسان حجم المفارقة التي أراد الإمام التعبير عنها، إذ قال (عليه السلام) : ((مَا أَنْتُمْ إِلاَّ كَإِبِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا، فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرَ))[٢]، فالصورتان المتقابلتان في نص الإمام هما صورة جمع الإبل وانتشارها، والإمام يصوّر حال الناس لغرض " الإشارة إلى أنهم ضعيفو العزم مشتتو الآراء لا يجتمعون على مصلحة بها يكون نظام أحوالهم في الدارين " [٣] .

ويستثمر الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة صورتين ماديتين مألوفتين لدى المتلقي، ينتزعهما الإمام من الواقع لصوّر بهما حالتين مختلفتين (متقابلتين)، والصورتان هما صورة تقديم اليد، وصورة تأخير الرجل إذ أن هاتين الصورتين – لاشك – معهودتان لكل ذي عينين، فهما يمثلان حالة المشي، غير أن الإمام يصور بهما حالين مختلفين، حالة هجوم الخصم وحالة رجوعه القهقرى، إذ قال(عليه السلام) لأصحابه في حرب صفّين: ((عَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الأَعْظَمِ، وَالرِّوَاقِ الْمُطَنَّبِ ، فَاضْرِبُوا ثَبَجَهُ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ ، وَقَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَداً، وَأَخَّرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلاً)) [٤]، أشار الإمام لأصحابه بأن معاوية وسمّاه الشيطان مختفٍ في

---

[١]. ينظر: التصوير الفني في القرآن: (سيد قطب)، ط٣ ، دار المعارف، مصر، د . ت: ٦٢ ، والصورة الفنية في كلام الإمام علي (عليه السلام)، (د. خالد محي الدين البرادعي)، (بحث)، مجلة المنهاج، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت، ع ١٥ ، س ٢ ، ١٤١٨ – ١٩٩٧م: ١٦٦ ، وخطب نهج البلاغة – بحث في الدلالة: ٢٨٤ .

[٢]. شرح نهج البلاغة: ٢ / ١٨٩ (خ ٣٤) .

[٣]. شرح نهج البلاغة (الكبير): ٢ / ٧٩ .

[٤]. شرح نهج البلاغة: ٥ / ١٦٨ (خ ٦٥) .

جانب الرواق المطنّب (خيمة) التف بها الناس واجتمع حولها المعسكر، فقد أمر الإمام بالهجوم عليها، لأن معاوية ينتظر أحد الأمرين، فإن رأى ضعفاً منكم وثب وأقدم (هجم عليكم)، وإن رأى منكم الشجاعة والجلد نكص وتقهقر، فإنه على استعداد للهرب " [١]. إذ أن في ذلك التصوير تكمن كناية عن الوثوب في حالة تقديم اليد، وكناية عن الهروب في حالة تأخير الرِّجل .

ويقابل الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة بين جزأين آخرين من أجزاء الجسم، وذلك في قوله واصفاً الدنيا: ((لَمْ يَكُنِ امْرُؤٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلاَّ أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عَبْرَةً ، وَلَمْ يَلْقَ فِي سَرَّائِهَا بَطْناً إِلاَّ مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْراً)) [٢]، فـ (الظهر) و (البطن) هما الجزآن المتقابلان من الجسم، أما ما يشيران إليه من معنى فهو حالتا إقبال الدنيا على الإنسان وإدبارها عنه أي " لم يلق امرؤٌ من خيرها وفضلها بطناً لها إلاّ بذلته من مشقتها وشدّتها (ظهراً) لها، وهو كناية عن كون إقبالها ملازماً لإدبارها وكون خيرها معقباً لشرّها " [٣]، ويذكر الشارح " أن من يلقى صاحبه بالشر والسرور يلقاه بوجهه وبطنه، ومن يلقاه بالمساءة والتنكير يلقاه بظهره مولياً عنه دبره "[٤]، فالإمام يمنح ما يعتري الإنسان من خير وشر مسحة مادية، إذ استعار الإمام (البطن) بما تمثله من التقدمة والفضل لما يصيب المرء من خير، واستعار كذلك (الظهر) بما يدل عليه من التأخير وعدم الفضل لما يحيق بالإنسان من شر [٥] .

وقد يروي الإمام (عليه السلام) صورة جزء واحد من أجزاء الجسم، ولكن ذلك الجزء له نوعان هما – في حدِّ ذاتيهما – متقابلان، فقد يستحضر الإمام (عليه السلام) صورة (اليد) بنوعيها (القصيرة) و (الطويلة) ليعبّر بالأولى عن حالة العطاء الإنساني، وبالأخرى عن حالة الإعطاء الإلهي، وفي ذلك يقول الإمام معبّراً عن الحالتين بتلكما الصورتين: ((مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ الْقَصِيرَةِ يُعْطَ بِالْيَدِ الطَّوِيلَةِ)) [٦]، وقد علّق الشريف الرضي على حكمة الإمام هذه قائلاً : " ومعنى ذلك أن ما ينفقه

---

[١]. ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير): ٢ / ١٨٢ ، وفي ظلال نهج البلاغة: ١ / ٣٣٦ ، وشرح نهج البلاغة (موسوي): ١ / ٤٠١ .

[٢]. شرح نهج البلاغة: ٧ / ٢٢٦ (خ ١١٠) .

[٣]. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٨ / ١٩ .

[٤]. نفسه .

[٥]. ينظر: شرح نهج البلاغة: ٧ / ٢٢٩ ، وشرح نهج البلاغة (الكبير): ٣ / ٨٧ ، وتوضيح نهج البلاغة: ٢ / ١٩٨ .

[٦]. شرح نهج البلاغة: ١٩ / ٥٩ (خ ٢٢٩) .

المرء من ماله في سبيل الخير والبر، وإن كان يسيراً، فإن الله تعالى يجعل الجزاء عليه كثيراً، واليدان هما عبارتان عن النعمتين، ففرق (عليه السلام) بين نعمة العبد ونعمة الرب بالقصيرة والطويلة، فيجعل تلك قصيرة وهذه طويلة، لأن نعم الله أبداً تضعفُ على نعم المخلوق أضعافاً كثيرة، إذ كانت نعم الله أصل النعم كلها، فكل نعمة إليها ترجع ومنها تنتزع " [1]، ولم يضف أحدٌ من شرّاح النهج الشيء الكثير إلى ما ذكره الرضي [2]، غير أن ما ذكره الشيخ جواد مغنيه وإن ابتعد قليلاً عمّا ذُكر غير أنه يصبّ في المصب نفسه، إذ يقول الشيخ مغنية: " المراد باليد القصيرة هنا عمل الإنسان وجهاده، وليس المراد بعطائه الصدقة على المعوزين وكفى، كما فهم الشريف الرضي ومن جاء بعده من الشارحين، بل المراد التضحية بالنفس والنفيس لنصرة الحق والعدل، وإزهاق الجور والباطل، أما اليد الطويلة فهي كناية عن عطاء الله سبحانه " [3] .

ومما يجدر ذكره فيما يتعلّق بالتقابل بين صورتي (اليد القصيرة) و (اليد الطويلة) هو أن الإمام لم يأتِ بشيئين مختلفي النوع ليعبّر بهما عمّا أراد التعبير عنه، وإنما عبّر عمّا أراد بشيء واحد مختلف النوع (اليد) طويلةً و (اليد) قصيرةً، ولمّا كان من المعروف أن يعبّر عن النعمة باليد، لذا فقد كنّى الإمام عمّا يريد ذكره في حالتي العطاء والإعطاء بـ (اليد)، إذ أن في ذلك إشارة إلى أن مصدر تلك اليد (النعمة) هو الله سبحانه وتعالى، غير أن المائز بين هذه وتلك هو الحجم، فالأولى (قصيرة) أي قليلة العطاء، والأخرى (طويلة) أي كثيرة العطاء والبذل .

٢ : التقابل الدلالي بين المواقف (التقابل الموقفي)

الموقف صيغة مشتقة من الفعل (وقف)، وذكر الخليل بن أحمد الفعل (وقف) قائلاً : " الوقف: مصدر قولك: وقفت الدابّة ووقفت الكلمة وقفاً، وهذا مجاز، فإذا كان لازماً قلت: وقفت وقوفاً. فإذا وقفت الرجل على كلمة قلت: وقفته توقيفاً، ولا يقال: أوقفت إلاّ في قولهم: أوقفت عن الأمر إذا أقلعت عنه " [4]، فالفعل (وقف) له مصادر مختلفة، واختلاف المصادر متأتٍ مما يدل عليه ذلك الفعل، فهو تارةً له دلالة على أمر مادي، وتارةً أخرى له دلالة على أمر معنوي. أما ما يعني هذا البحث من ذلك الفعل ومصادره، فهو الصيغ التي تأتي على الوزن (مَفْعَل) من ذلك الفعل، والوزن (مُفعل) – كما تذكر كتب الدلالة الصرفية – هو مما يدل على

---

[1]. شرح نهج البلاغة: ١٩ / ٥٩ .

[2]. ينظر: شرح نهج البلاغة (الكبير): ٥ / ٣٥٩ ، وتوضيح نهج البلاغة: ٤ / ٣٦٨ ، ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة(خوئي): ٢١ / ٣٠١ .

[3]. في ظلال نهج البلاغة: ٤ / ٣٥٥ .

[4]. كتاب العين:(وقف) ٥ / ٢٢٢ .

اسمي (الزمان) أو(المكان) [١]، فـ (الموقف) أو (الموقفي) صيغة لها دلالة قد تكون على (الزمان) أو على (المكان)، هذا من حيث المعنى الذي تدل عليه الصيغة (موقف) صرفياً قبل أن تأتلف مع كلمة (التقابل)، إذ أن لمصطلح (التقابل الدلالي الموقفي) معنى آخر لدى المعنيين بموضوع (التقابل)، إذ يُعرف ذلك النوع من التقابل بأنه " الموقف هو حدث ذو أهمية أو اختيار لحال من الأحوال الفكرية أو النفسية أو الاجتماعية، وأغلب المواقف ترد في نطاق العقائد والقيم الدينية التي جاء بها الإسلام، وما يضادها من قيم عاش عليها الإنسان وألفها، وكانت في حقيقتها وواقعها ضالة ضارة "[٢]، وقيل هو: " أن يصدر من الإنسان موقفان يتناقض أحدهما مع الآخر، وقد يكون ذلك التناقض فطرياً مصدره النفس بما جُبلت عليه من سجايا متقابلة كالرجاء والخوف والرغبة والرهبة، أو قد يكون ذلك التناقض نتيجةً للتباين في المواقف التي يتخذها الإنسان في حياته، وهذا مما يتبع بناء الشخصية الإنسانية وسلوكها في الحياة " [٣]، فـ(التقابل الموقفي) يتعلّق بالإنسان وما يكون فيه من شأن، ولمّا كانت شؤون الإنسان مختلفة، فإن (المواقف) التي يكون فيها تكون مختلفة أيضاً [٤]. وقد جاء (التقابل الموقفي) في نهج البلاغة محاكياً هذا الاختلاف وذاك .

ومما كان من المواقف متقابلاً في نهج البلاغة قول الإمام(عليه السلام) واصفاً حاله وحال غيره من الناس بعد وقعة النهروان :((فَقُمْتُ بِالأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا ، وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا ، وَنَطَقْتُ حِينَ تَعْتَعُوا، وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا)) [٥]. فالإمام في هذا الموضع يعرض حالين مختلفين (متقابلين) لكل حال مواقف متنوعة تباين أو تقابل مواقف الحال الآخر المتنوعة أيضاً، إذ مثّلَ الحال الأول الإمام نفسه، مثّل الحال الآخر الناس الذين وصفهم الإمام، فإذا كان الإمام واقفاً موقف القائم بالأمر، فإن الناس لهم موقف الفشل في القيام بذلك الأمر، والموقفان كما هو واضح، متقابلان، وإذا كان الإمام هو المتطلّع موقفاً، فإن الناس موقفهم التقبُّع، وكذلك النطق موقف للإمام أيضاً يقابله الموقف المتتعتع للناس، وإذا كان الإمام ماضياً بنور الله بموقفه، فإن للناس موقف الوقوف عند ذلك النور، فالإمام في هذا النص من كلامه يُجلّي مجموعة من المواقف التي مثّلها هو (عليه السلام)، وبالمقابل يورد (عليه السلام) مجموعة أخرى من المواقف التي مثلتها الناس في سلوكهم، إذ أفاد التقابل بين

---

[١]. ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ١ / ١٨١ ، وشذا العرف في فن الصرف: ٨٢ ، والدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ٣٤ .

[٢]. ظاهرة التقابل الدلالي في القرآن: ١٦٣ .

[٣]. خطب نهج البلاغة – بحث في الدلالة: ٢٧٨ .

[٤]. ينظر: التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ١٦٠ .

[٥]. شرح نهج البلاغة: ٢ / ٢٨٤ (خ ٣٧) .

الموقفين عرض ما آلت إليه الأمور بين الإمام وغيره من الناس، إذ يقف الإمام والناس على طرفي نقيض، وهما كذلك في مواقفهما، ولا أدلّ على طبيعة الحياة التي كان الإمام يحياها آنذاك من تلك المواقف المتقابلة (المتناقضة). ويبدو أن التقابل في هذا الموضع ليس تقابل مواقف فحسب وإنما تقابل شخصيات بينها صراع عقائدي فكري، فالإمام ومواقفه المتمثلة بالقيام بالأمر والنطق بالحق والجهاد في سبيل الله ونصرة دينه، تقابلها في الطرف الأخر شخصيات تنافض شخصه الكريم، فهي واقفة عن نصرة دين الله فاشلة غير قادرة على القيام بالأمر. إذن هو تقابل شخصيات يعكس عنها المواقف التي تتخذها تلك الشخصيات .

ومما جاء في نهج البلاغة من المواقف المتقابلة موقفا (العقل) و (الحق)، وقد عبّر الإمام (عليه السلام) عن هذين الموقفين بوساطة عرض حالي صاحبيهما، أي (العاقل) و (الأحمق)، يقول الإمام (عليه السلام) مصوّراً الموقفين كليهما: ((لِسَانُ الْعَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ ، وَقَلْبُ الأَحْمَقِ وَرَاءَ لِسَانِهِ)) [1]، فالموقف الأول الذي يمثله (العاقل) هو موقف التروّي والتريّث في الأمور وعدم إطلاق اللسان على عواهنه بحيث يكون العقل حاكماً وموجّهاً للسان يقوده حيث يريد. أما الموقف الآخر فهو الموقف الذي مثّله (الأحمق) إذ يتجلّى فيه التسرّع وعدم الاكتراث بعواقب الأمور، ويكون ذلك عندما يجعل ذلك (الأحمق) قلبه مقوداً للسانه، وعندما يكون القلب أسيراً ومقوداً للسان، فإن الأخير يفضي بالأول إلى مالا يُراد أو مالا تُحمد عقباه. ومما يعزز هذا المعنى ما ذكره الشريف الرضي بعد نص الإمام من تعقيب، إذ أردف الرضي قائلاً : " وهذا من المعاني العجيبة الشريفة، والمراد به أن العاقل لا يُطلق لسانه إلاّ بعد مشاورة الرويّة ومؤامرة الفكرة، والأحمق تسبق حذفات لسانه وفلتات كلامه مراجعة فكره ومماخضة رأيه، فكان لسان العاقل تابع لقلبه، وكأنّ قلب الأحمق تابع للسانه " [2]، ولم يبتعد شرّاح النهج عمّا ذكره الرضي من شرح لنص الإمام [3]، غير أن صاحب كتاب (في ظلال نهج البلاغة) قد نحا بالنص منحىً آخر، إذ قال: " الإمام ذكر هناك المؤمن مكان العاقل هنا، والمنافق مكان الأحمق، ويومئ هذا إلى أن لا يستقيم إلاّ مع العقل " [4]، فالشارح هنا يستبدل وصفين بوصفين آخرين، لكن ذلك لا يُخرج الموقفين عن حقيقتهما، وكل ما

---

[1]. شرح نهج البلاغة: ١٨/ ١٥٩ (حكمة ٤٠) .

[2] .شرح نهج البلاغة: ١٨ / ١٥٩ .

[3] .نفسه، وشرح نهج البلاغة (الكبير): ٥ / ٢٦٣ – ٢٦٤ ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (خوئي): ٢١ / ٧٧ ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (راوندي): ٣ / ٢٨٣ ، توضيح نهج البلاغة: ٤ / ٢٨٠ .

[4] .في ظلال نهج البلاغة: ٢٤١/٤.

أراد الإمام عرضه هو الموقف الإيجابي والموقف السلبي بغضّ النظر عمّن يمثل ذينك الموقفين .

ويوردالإمام (عليه السلام) نمطين آخرين من المواقف المتقابلة، نمطان هما نمط(البخل) ونمط (السخاء)، إذ يذكر الإمام هذين الموقفين في سياق الحديث عن الخلافة، بل إن الإمام (عليه السلام) يجعل من أمر الخلافة محوراً يتقابل عنده الموقفان السابقان، وقد جاء ذلك التقابل في قول الإمام (عليه السلام) ذاكراً الخلافة: ((فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ ، وَالْحَكَمُ اللَّهُ وَالْمَعْوَدُ إِلَيْهِ الْقِيَامَةُ)) [1]، فالموقفان المتقابلان هما موقف (الشُّح) بتلك الأثرة (الخلافة)، وموقف (السخاء) بها. وقد اختلفت الأقوال في تخريج المعنى المراد من أصحاب الموقفين المذكورين آنفاً، أي المراد من النفوس في نص الإمام (عليه السلام)، فذهب بعض الشرّاح إلى أن المراد منها هو نفوس أهل الشورى الذين شحّوا بالخلافة على مستحقيها، وهذا هو مذهب المعتزلة الذي نقله ابن أبي الحديد، وأما النفوس التي سخت فيراد منها نفس الإمام عينه، وهذا رأي ابن أبي الحديد أيضاً [2]، أما القول الثاني فيصرف معنى النفوس التي سخت بها إلى أهل البيت (عليهم السلام) [3]، أما القول الثالث فيعرض عن تسمية النفوس التي شحّت، ويكتفي ببيان المراد من النفوس التي سخت، أن يقصد بتلك النفوس – بحسب رأي الأخير – أئمة أهل البيت (عليهم السلام) [4]، وبقطع النظر عن أصحاب الموقفين (الشّح) و (السخاء) ، فإنّهما قد مثّلا ثنائية متقابلة تتناقض في التوجّه، وتلتقي في الحد الذي يتقابلان فيه، أي أن الأثر أو الخلافة هي النقطة التي اجتمع عندها الموقفان، وعليها تقابل الموقفان نفسهما، فكان الموقف الأول شاحّاً بها والآخر سخيّاً بها .

ولم يكتفِ الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة بعرض المواقف المتقابلة لدى الأشخاص – كما رأينا في تقابل المواقف السابقة – وإنما قد يُلبس الإمام ما هو غير مُشخّص لباس الأشخاص، ويمنح غير الإنسي صفة الأنسنة، كل ذلك غرضه نفث الحياة في غير الحي، وإظهار الجامد الساكن بمظهر الحيوي

---

[1] .شرح نهج البلاغة: ٩ / ٢٤١ (خ ١٦٣) .

[2] .ينظر: شرح نهج البلاغة: ٩ / ٢٤٣ .

[3] .ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (خوئي): ١٠ / ٧ .

[4] .ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (راوندي): ٢ / ٣٢٣ ، ونهج البلاغة (عبده): ١ / ٣١٨ ، وفي ظلال نهج البلاغة: ٢ / ٧ .

المتحرّك، وقد لا يكتفي الإمام بذلك، بل يزيد عليه عندما يجعل غير العاقل صاحب مواقف متقابلة(متناقضة) كما العاقل الذي ينطوي – هو الآخر – على مواقف متقابلة .

فالدنيا – مثلاً – عند الإمام (عليه السلام) كائن ينبض بالحياة، وهي التي تمنح أبناءها ما تريد، لذلك فإن لها مواقف يقف بعضها مقابلاً بعضها الآخر. يقول (عليه السلام) في وصف الدنيا: ((إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَى قَوْمٍ أَعَارَتْهُمْ مَحَاسِنَ غَيْرِهِمْ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُمْ سَلَبَتْهُمْ مَحَاسِنَ أَنْفُسِهِمْ)) [1]، فالدنيا هي التي تُقبل على الناس، وهي التي تُعير المحاسن لمن تشاء، وهي التي تُدبر عنهم وتسلب المحاسن ممن تشاء، فالإمام في هذه الحكمة يؤنسن الدنيا بأن يعطيها تلك الصفات، وتلك الصفات – كما هو واضح – متقابلة تعكس موقفين متقابلين أيضاً للدنيا تجاه الناس، ذلك لأن تلك الدنيا إذا أقبلت " على قوم، أي إذا كان قوم في غنى وكل فعل حسن يحصل من غيرهم يمدحون به، وكذلك على عكس ذلك إذا كانوا فقراء وتكون لهم مكارم وأفعال حسنة فغيرهم من الأغنياء في جوارهم يمدحون به " [2]، وقد لا يكون ذلك مستغرباً بالنسبة للحال التي يكون عليها الناس، ولكن الغريب الذي فيه هو أن غير الأنسي (الدنيا) هو الذي تحكم في حال الناس، بمعنى أن للدنيا من المواقف المتقابلة (المتناقضة)ما يجعلها حاكماً على الناس وأحوالهم .

---

[1] .شرح نهج البلاغة: ١٨ / ١٠٥ (حكمة ٩) .

[2] .منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (راوندي): ٣ / ٢٦٩ .

٣ : التقابل الدلالي بين المشاهد

المشاهد جمع مشهد، والمشهد صيغة مصوغة من الفعل الثلاثي (شهد)، وإذا رجعنا إلى معنى هذا الفعل لغوياً نجد أن الخليل بن أحمد يذكر تحت تلك المادة ما نصّه " والمشهد: مجمع الناس، والجمع: مشاهد " [١]، فالمعنى الأولي (اللغوي) للجذر (شهد) المصوغ منه صيغة على وزن (مفعل) يشير إلى مسألتين، إحداهما البعد المادي لمدلول ذلك الجذر، والأخرى هي حالة التجمع التي يدل عليها ذلك الجذر، ولا يختلف غير الخليل من أصحاب المعاجم عنه في إعطاء ذلك المعنى لذلك الأصل اللغوي، غير أنهم يضيفون إليه معنى آخر لا يختلف كثيراً عن المعنى الأول، إذ عندهم أن " المشهد محضر الناس، ومشاهد مكة: المواطن التي يجتمعون بها " [٢]، فالمشهد في اللغة يقتضي حضوراً من الناس. أما في العُرف الاصطلاحي فيمكن تعريف المشهد بأنه ما يقتضي حضوراً مكثّفاً من الصور التي تتكفّل نقل الواقع من زوايا مختلفة، أو هو الصورة التي تحتوي عناصر مختلفة من المواقف والشخصيات، ولعل ذلك هو الذي جعل باحثة معاصرة تفرّق بين المشهد والصورة قائلة: " يمكن القول بأن المشهد يختلف عن الصورة باحتوائه على زمان ومكان محددين وتوافره على حدث وشخصية، وتتكاثف هذه العناصر مجتمعة في بناء المشهد " [٣]، فالمشهد عند الباحثة هو غير الصورة، والحال أنه نفسها ولكنه يختلف في كثرة عناصره وتكاثف تفاصيله .

---

[١] .كتاب العين: ٣ / ٣٩٨ .

[٢] .لسان العرب: (شهد) ٢ / ٢٤١ ، وتاج العروس من جواهر القاموس: (شهد) ٣ / ٣٩٣ ، وينظر: الصحاح: (شهد) ٢ / ٤٩٤ ، والقاموس المحيط:(شهد) ١ / ٣٠٦ .

[٣] .التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ١٥٦ .

أما التقابل في المشاهد فيراد منه عرض مجموعة من الصور المختلفة التي تنقل واقعاً معيناً، ومن ثمّ عرض صور أخرى مختلفة أيضاً تمثل واقعاً من نوع آخر يقابل الواقع الأول .

ومما ورد في نهج البلاغة من (المشاهد) المقابلة مشهدا (النعيم) و (العذاب)، إذ عرض الإمام (عليه السلام) مجموعة من الصور التي تعكس حال أهل هذا المشهد وذاك، فقال (عليه السلام): ((فَأَمَّا أَهْلُ الطَّاعَةِ فَأَثَابَهُمْ بِجِوَارِهِ، وَخَلَّدَهُمْ فِي دَارِهِ، حَيْثُ لَا يَظْعَنُ النُّزَّالُ، وَلَا تَتَغَيَّرُ بِهِمُ الْحَالُ، وَلَا تَنُوبُهُمُ الْأَفْزَاعُ، وَلَا تَنَالُهُمُ الْأَسْقَامُ، وَلَا تَعْرِضُ لَهُمُ الْأَخْطَارُ، وَلَا تُشْخِصُهُمُ الْأَسْفَارُ، وَأَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ، وَغَلَّ الْأَيْدِيَ إِلَى الْأَعْنَاقِ، وَقَرَنَ النَّوَاصِيَ بِالْأَقْدَامِ، وَأَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ الْقَطِرَانِ، وَمُقَطَّعَاتِ النِّيرَانِ، فِي عَذَابٍ قَدِ اشْتَدَّ حَرُّهُ، وَبَابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ، فِي نَارٍ لَهَا كَلَبٌ وَلَجَبٌ وَلَهَبٌ سَاطِعٌ، وَقَصِيفٌ هَائِلٌ، لَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلَا يُفَادَى أَسِيرُهَا، وَلَا تُفْصَمُ كُبُولُهَا لَا مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَفْنَى، وَلَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضَى)) [1]، فثمّة صور مكثّفة متلاحقة يستدعي بعضها بعضاً، وقد رسمت تلك الصور مشهدين متقابلين يمثلان واقعين متقابلين أيضاً، فأهل الطاعة مكانياً في جوار الله تعالى خالدين في دارة، وهم زمانياً في محل أبدي لا يظعن عنه من ينزل به، أي هم خالدون في النعيم إلى ما لا نهاية ... كل الأيام لهم، وليس يوم لهم ويوم عليهم ... لا يشكون من شيء، ولا يرهبون أحداً، أو يخافون العواقب " [2]، فهذا هو المشهد الأول، وهو مشهد مليءٌ بالصور التي تبعث على الراحة والاطمئنان نتيجة الأحوال التي يكون فيها أهله، ولا غرابة في ذلك، فالمشهد مشهد نعيم أخروي .

أما المشهد الآخر فهو مشهد تتداعى فيه الصور أيضاً وتتلاحق بحيث تنقل تلك الصور أبعاد واقع ما من زوايا مختلفة، فأهل ذلك المشهد منزلهم شرُّ المنزل، وهيأتهم هيأة مغلولي الأيدي ومقروني النواصي بالأقدام، وألبستُهم سرابيلُ القطران، ومقطّعاتُ النيران، أما محلهم فهو العذاب الشديد الحر خلف باب موصد على أهله، في نار " لها شدة وصوت واشتعال مرتفع وقصيف هائل، أي صوت مخوف لا يظعن مقيمها بل كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ... ولا يفادى أسيرها أي لا يؤخذ عنه الفدية فيخلص كأُسراء الدنيا، ولا يفصم كبولها وقيودها، بل هي وثيقة محكمة، لا مدة للدار فتفنى، ولا أجل للقوم فيقضى بل عذابها أبدي سرمدي " [3]، فالمشهد مهول يرسم عدداً من الصور

---

[1] .شرح نهج البلاغة: ٧ / ٢٠٢ (خ ١٠٨) .

[2] .في ظلال نهج البلاغة: ٢ / ١٥٤ .

[3] .منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (خوئي): ٧ / ٣٦٧ .

التي تبعث على الخوف والرهبة، وليس غريبا على أهل ذلك المشهد تلك الأحوال، ذلك لأن الواقع الذي نقله الإمام (عليه السلام) هو واقع أهل المعصية وهم في عذاب الآخرة .

فالإمام (عليه السلام) يوظف عناصر مختلفة في المشهدين المتقابلين اللذين نقلهما، وتلك العناصر هي الزمان والمكان والأحوال، وقد كانت تلك العناصر متقابلة لأنها نقلت مشهدين متقابلين أصلاً .

ومما ورد في نهج البلاغة من المشاهد المتقابلة مشهدان آخران من مشاهد يوم القيامة، يعرض الإمام (عليه السلام) من خلالهما حال نفرين من الناس، كل واحد منها يعكس شكل الواقع الذي يحياه، يقول الإمام (عليه السلام) في ذلك: ((ثُمَّ بُعْثِرَتْ قُبُورٌ، وَحُصِّلَتْ سَرِيرَةُ صُدُورٍ، وَجِيءَ بِكُلِّ نَبِيٍّ وَصِدِّيقٍ وَشَهِيدٍ، وَتَوَحَّدَ لِلْفَصْلِ قَدِيرٌ بِعَبْدِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ، فَكَمْ مِنْ زَمْرَةٍ تُفْنِيهِ وَحَسْرَةٍ تُضْنِيهِ، فِي مَوْقِفٍ مَهُولٍ، وَمَشْهَدٍ جَلِيلٍ، بَيْنَ يَدَيْ مَلِكٍ عَظِيمٍ، وَبِكُلِّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ عَلِيمٍ، فَحِينَئِذٍ يُلْجِمُهُ عَرَقُهُ، وَيُحْضِرُهُ قَلَقُهُ، عَبْرَتُهُ غَيْرُ مَرْحُومَةٍ، وَصَرْخَتُهُ غَيْرُ مَسْمُوعَةٍ، وَحُجَّتُهُ غَيْرُ مَقْبُولَةٍ، زَالَتْ جَرِيدَتُهُ، وَنُشِرَتْ صَحِيفَتُهُ؛ نَظَرَ فِي سُوءِ عَمَلِهِ، وَشَهِدَتْ عَلَيْهِ عَيْنُهُ، وَيَدُهُ بِبَطْشِهِ، وَرِجْلُهُ بِخَطْوِهِ، وَفَرْجُهُ بِلَمْسِهِ، وَجِلْدُهُ بِمَسِّهِ، فَسُلْسِلَ جِيدُهُ، وَغُلَّتْ يَدُهُ، وَسِيقَ فَسُحِبَ وَحْدَهُ، فَوَرَدَ جَهَنَّمَ بِكَرْبٍ وَشِدَّةٍ، فَظَلَّ يُعَذَّبُ فِي جَحِيمٍ، وَيُسْقَى شَرَّبَةً مِنْ حَمِيمٍ، تَشْوِي وَجْهَهُ، وَتَسْلَخُ جِلْدَهُ، وَتَضْرِبُهُ زَبَنِيَةٌ بِمَقْمَعٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَيَعُودُ جِلْدُهُ بَعْدَ نُضْجِهِ كَجِلْدٍ جَدِيدٍ، يَسْتَغِيثُ فَتُعْرِضُ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ، وَيَسْتَصْرِخُ فَيُلَبَّثُ حِقْبَةً يَنْدَمُ . نَعُوذُ بِرَبٍّ قَدِيرٍ، مِنْ شَرِّ كُلِّ مَصِيرٍ، وَنَسْأَلُهُ عَفْوَ مَنْ رَضِيَ عَنْهُ، وَمَغْفِرَةَ مَنْ قَبِلَهُ، فَهُوَ وَلِيُّ مَسْأَلَتِي، وَمُنْجِحُ طَلِبَتِي، فَمَنْ زُحْزِحَ عَنْ تَعْذِيبِ رَبِّهِ جُعِلَ فِي جَنَّتِهِ بِقُرْبِهِ، وَخُلِّدَ فِي قُصُورٍ مُشَيَّدَةٍ، وَمُلْكٍ بِحُورِ عِينٍ وَحَفَدَةٍ، وَطِيفَ عَلَيْهِ بِكُؤُوسٍ، أُسْكِنَ فِي حَظِيرَةِ قُدُسٍ، وَتَقَلَّبَ فِي نَعِيمٍ، وَسُقِيَ مِنْ تَسْنِيمٍ، وَشَرِبَ مِنْ عَيْنٍ سَلْسَبِيلٍ، وَمُزِجَ لَهُ بِزَنْجَبِيلٍ، مُخَتَّمٍ بِمِسْكٍ وَعَبِيرٍ، مُسْتَدِيمٍ لِلْمُلْكِ، مُسْتَشْعِرٍ لِلسُّرُرِ، يَشْرَبُ مِنْ خُمُورٍ، فِي رَوْضٍ مُغْدِقٍ، لَيْسَ يُصْدَعُ مَنْ شَرِبَهُ، وَلَيْسَ يُنْزِفُ)) [1]. فالمشهدان –

[1] .شرح نهج البلاغة: ١٩ / ١٤٢ .

كما هو واضح – متقابلان، يستحضر كل واحد منهما الصور المناسبة التي تُعزز الغاية التي عُرضَ المشهد لأجلها، ففي المشهد الأول – وهو مشهد العذاب والنقمة – يشيع جوٌّ من الرهبة والخوف من طبيعة الصور التي عرضها الإمام، أو قل من الزوايا المختلفة التي نقل من خلالها الإمام صورة ذلك المشهد المهول، فالمشهد (كابوسي) – إن صحّ التعبير –لم يترك حالاً مُزرياً يكون فيه الإنسان إلا وذكره، ومما يزيد من قتامة ذلك المشهد أنه مشهد أخروي لا مناص من تفاصيله ولا خلاص لمن يكون ذلك الحال مآله .

أما المشهد الآخر– وهو مشهد النعيم والرضا – ففيه تشيع أجواء من السرور والانشراح بوساطة الصور المضيئة والمبهجة التي عرضها الإمام (عليه السلام)، أو عبر الزوايا التي رُؤيَ منها المشهد بأكمله ، فتقابل ذلك المشهد هي إلى عالم الأحلام أقرب، إذ استُجمع في ذلك المشهد كل ما يُرغد عيش صاحبه ويُسعده، وتزاد وردية تلك الأحلام عندما يُعرف أنها أبديّة سرمدية لا تزول عن صاحبها، ولا تُكدّر صاحبها أضغاثُ اليقظة .

ويمكن بيان المشاهد المتقابلة من خلال عرض كلا الحالين للطرفين المتقابلين:

١ . أهل الجنة [١]

أ - تسمية أهل الجنة وكيفية حالهم .

وردت تسميتهم في المشهد الأول بأنهم (أهل الطاعة)، وحالهم هو السرور والابتهاج، وذلك لأنه سبحانه أثابهم جزاءً لأعمالهم، وهم في حالة خلود في الجنة التي عبر عنها بـ (داره) أي نسب الدار للباري عز وجل ن فهم فيها في قصور مشيدة، لا يظعنون ولا يتغير حالهم ولا تنالهم الأسقام .

ب - مكانهم .

إن مكان هؤلاء الفريق في الجنة، وكنى عنه الإمام بـ (جواره) تارة و بـ (داره) تارة أخرى وقد يعبر عنها بـ (قربه)، ومرة يصرح بها فيقول : في جنته .

ت – شرابهم .

أما شرابهم فيؤتى بالكؤوس فيشربون من عين سلسبيل، ومُزج بزنجبيل مختوم بمسك وعبير مستديم للملك بالسرور وشربهم فيها الخمور في روض مغدق .

٢ . أهل النار

---

[١] .ينظر: التعابير القرآنية والبيئة العربية في مشاهد القيامة (ابتسام مرهون الصفار)، ط ١، مطبعة الآداب – النجف الأشرف – ١٩٦٧ م: ٢٤١ – ٣٠٠ .

وحالهم على النقيض من ذلك .

أ – تسمية أهل النار وحالهم [1] .

نعتهم الإمام بـ (أهل المعصية) ، وحالهم الخلود أيضاً، ولكن خلودهم في العذاب .

ب – مكانهم وكيفية ورودهم ، وحال ذلك المكان .

هم في جهنم، وعبر عنها الإمام بـ (شر دار) تارة، وبلفظ الجحيم تارة أخرى، وقد وردوا جهنم سوقاً منفردين، فجاءوا في حالة كرب وشدة. أما حال جهنم ففيها عذاب قد اشتدَّ حرُّهُ، وباب قد أُطبق على أهله في لهب نار وقصف هائل.

ت – شرابهم .

يسقون في جهنم من حميم .

ث – أنواع عذابهم .

قد غُلّوا الأيدي إلى الأعناق وقرنت النواصي بالأقدام، وأُلبسوا سرابيل القطران ومقطعات النيران، وصورة أخرى للعذاب صورها لنا الإمام فقال: تُشوى وجوهُهُم وتسلخ جلودُهم وتضربهم الزبانية بمقمع من حديد .

---

[1] . ينظر: التعابير القرآنية والبيئة العربية في مشاهد القيامة: ٢٠٣ – ٢٦٩.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً .

أما بعد ...

ففي خاتمة البحث أتوقف لأوجز ما تجلّى لي من دراسة ظاهرة التقابل الدلالي في السفر الخالد لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) والذي جمعه الشريف الرضي (ت ٣٥٩ هـ) وأسماه (نهج البلاغة):

- إنّ مفهوم التقابل قد عُرف عند اللغويين العرب القدماء ودرسوه في ضمن ظاهرة الأضداد، غير أنهم لم يجعلوه مستقلاً .
- إنّ مفهوم لفظة التقابل وردت في المعجمات العربية وفي كتب المفسرين، وهي تعني في مفهومها التقابل في المعنى أو التقابل للوصول إلى المعنى، وهذا هو المفهوم المراد من هذا البحث، لأن الدلالة هي الطريق إلى المعنى، وبذلك يتضح لي أن للتقابل الدلالي مفهومين، عاماً وخاصاً، فالتقابل العام يعني مطلق المواجهة، والتقابل الخاص هو أن يكون أحد اللفظين مقبلاً للفظ الآخر، فهو ضده أو نقيضه أو مخالف له في المعنى .
- تبين لي أنّ التقابل الدلالي ينطلق من معناه اللغوي، إذ تضمّه قسم من المصطلحات من نحو (المطابقة) و (التضاد) و (التناقض) و (التخالف) و (التكافؤ) .
- يعدّ التقابل مصطلحاً حديثاً لظاهرة تدرس في ضمن العلاقات الدلالية في علم اللغة، ويختص بدراسة اللفظة المفردة، وقد نقله اللغويون العرب المعاصرون من الغربيين ودرسوها وتوسعوا فيها بدراستهم لتشمل التركيب والأسلوب .
- قد أفاد البلاغيون من علماء اللغة القدماء في إنضاج مفهوم التقابل فضلاً عن الفلاسفة، وقد تتبعت مفهوم التقابل تاريخياً عند البلاغيين، ابتداءً من قدامه بن جعفر وانتهاءً بزمن ابن معصوم المدني فكان عندهم من المحسنات المعنوية، وقد أفاضوا في تقسيماته وأنواعه .
- يمثل التقابل في نهج البلاغة ظاهرةً دلالية وأسلوبية ونوعاً من أنواع التعبير التي انماز بها النهج، فقد وظف الإمام ألفاظه المتقابلة في الحياة الاجتماعية والسياسية و الطبيعة، وكان للحواس الإنسانية حضورٌ واضحٌ، وهذا ما تبين من خلال فصول الدراسة، إذ تنوّعت أنماط التقابلات بحسب مستوياته، أي على مستوى المفردة، وعلى مستوى الأسماء والأفعال والوصف وعلى مستوى التركيب، وعلى مستوى الوحدات الكبيرة – الأسلوب -فضلاً عن ذلك، أن هناك تقسيمات فرعية لكل نمط من الأنماط .
- إن التقابل في نهج البلاغة لا يعني التضاد في كل الأحوال، فقد يكون المتقابلان متضادين فعلاً، نحو (يعلم) و (يجهل)، وقد يرد التضاد لا للضدية وإنما لإثبات صفة معينة لاسيما صفات الباري سبحانه نحو (الأول) و (الآخر)، وقد يرد التقابل بين ألفاظ مختلفة متغايرة نحو (الليل) و (النهار) و (الرجل) و (المرأة)، فكل ثنائي من تلك المتقابلات يكون نوعاً من التكامل، فمثلاً (الليل) و (النهار) باختلافهما وتعاقبهما يكوّنان اليوم .

- إن التقابل الدلالي يأتي للتعبير عن معانٍ منها لبيان مدى الإحاطة والشمول، وذلك في قول الإمام: ((الْأَوَّلُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ وَالْآخِرُ لَا غَايَةَ لَهُ))، وقد يراد التقابل لبيان معنى العموم، وذلك في قول الإمام: ((أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا وَنَهَاراً)) .
- للزمن بُعدٌ آخر في ألفاظ نهج البلاغة المتقابلة، فلم يتحكم الزمن في بناء الأفعال، وإنما تحكمت القرائن في ذلك الزمن، وقد تبين أن الأفعال المتقابلة المُسندة للباري عزّ وجل زمنها لا يحده بناؤها وإنما هي أفعال مطلقة الدلالة زمانياً فضلاً عن الحدث .
- ينماز التقابل في نهج البلاغة بتقديم أحد المتقابلين على الآخر، إذ قد يستوجب السياق ذلك التقديم مراعاةً للأفضلية والتسلسل الزمني والمنطقي والعُرف الاجتماعي .
- إنّ الدلالات المتقابلة التي انطوى عليها النهج في الغالب هي دلالات إيحائية لم يُقصد منها التصريح، وهذه سمة من سماته التي أراد بها أن ينأى عن التعبير الخطابي المباشر واللغة التقريرية .
- إنّ التقابل الدلالي عنصر من عناصر الإيجاز وتكثيف دلالة النص التعبيرية، ويتضح ذلك في إبراز فكرةٍ أو صورة متكاملة أو موقف شامل باللجوء إلى ألفاظٍ متقابلة، وهذا ما جسّده النهج في صوره ومواقفه ومشاهده .
- لقد سلك الإمام أسلوب القرآن في نهجه ولاسيما في تصوير مشاهد يوم القيامة وحال أهل الجنة، وما يقابله من حال أهل النار .
- إنّ التقابل ليس ظاهرةً لغوية فحسب، وإنما هي سمة من سمات الكون والحياة والطباع والوجود .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- أ -

١. أبنية الصرف في كتاب سيبويه (د. خديجة الحديثي)، ط١، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .

٢. أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها (أبو أوس إبراهيم الشمسان)، ط١، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧ م .

٣. أبنية المصدر في الشعر الجاهلي (د. وسمية عبد الرحمن المنصور)، ط١، جامعة الكويت، مطبوعات الجامعة، ١٩٨٤م .

٤. الإحكام في أصول الأحكام (علي بن محمد الآمدي (ت٦٣١هـ))، تعليق: عبد الرزاق عفيفي، ط٢، مؤسسة النور، دمشق - ١٤٠٢هـ .

٥. اختيار مصباح السالكين (شرح نهج البلاغة الوسيط)(ميثم بن علي البحراني)، ط١، مجمع البحوث الإسلامية ، مشهد - ١٣٦٦هـ .

٦. أدب الكاتب (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ))، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٣، م . السعادة، مصر، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.

٧. الأزمنة في اللغة (فريد الدين آيدن)، دار العبر للطباعة والنشر - اسطنبول، ١٩٩٧م .

٨. أساس البلاغة(جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت ٥٣٨ هـ))، تح: عبد الرحيم محمود، عرّف به: أمين الخولي، ط١، مطبعة أولاد أور فايز، القاهرة - ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م .

٩. الإسلام والأدب (د. محمود البستاني)، ط١، المكتبة الأدبية المختصة، قم -١٤٢٢ هـ .

١٠. إصلاح المنطق (لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق السكّيت(ت ٢٢٤ هـ))، تح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط٢، دار المعارف، مصر – ١٩٥٦م .
١١. الاضداد (محمد بن القاسم الانباري)، تح: محمد ابو الفضل إبراهيم، الكويت–١٩٦٠م.
١٢. أنوار الربيع في أنواع البديع (على صدر الدين بن معصوم المدني (ت ١١٢٠هـ))، تح: شاكر هادي شكر، ط١، مطبعة النعمان، النجف الأشرف – ١٩٦٨م .
١٣. أوزان الفعل ومعانيها (هاشم طه شلاش)، مطبعة الآداب، النجف الأشرف – ١٩٧١ م .
١٤. الإيضاح في علوم البلاغة (الخطيب القزويني (٧٣٩ هـ))، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، ط٢، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر – د . ت .

– ب –

١. بديع القرآن (ابن أبي الأصبع المصري (ت ٦٥٤هـ))، تح: حنفي محمد شرف، ط٢، دار النهضة، مصر – د . ت .
٢. البرهان في علوم القرآن(بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي(ت ٧٩٤ هـ))، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة – ١٩٥م .
٣. البلاغة فنونها وأفنانها – علم المعاني (د. فضل حسن عباس)، ط٢، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن – ١٩٨٩ م .
٤. بناء الصورة الفنية في البيان العربي(موازنة وتطبيق)(د. كامل حسن البصير)، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
٥. بناء القصيدة الفني في النقد القديم والحديث (مرشد الزبيدي)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – ١٩٩٤م .
٦. بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة (محمد تقي الشوشتري)، ط١، دار أمير الكبير للنشر، طهران – ١٣٧٦هـ .

– ت –

١. تاج العروس من جواهر القاموس (محمد مرتضى الزبيدي(ت ١٢٠٥ هـ))، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان – د . ت .
٢. تاج اللغة وصحاح العربية (الصحّاح) (إسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ))، تح: أحمد عبد الغفار عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت – ١٩٨٧م .
٣. تأويل مشكل القرآن (ابن قتيبة)، شرحه ونشره: السيد أحمد صقر، ط٣، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان – ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .
٤. التبيان في تفسير القرآن(لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ))، تح: أحمد حبيب قصير العاملي، ط١، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩هـ .
٥. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن (ابن أبي الأصبع)، تح: د . حنفي محمد شرف، دار إحياء الكتب، القاهرة – ١٣٨٣هـ .
٦. التصوير الفني في القرآن (سيد قطب)، ط٣، دار المعارف، مصر –د . ت .
٧. التعابير القرآنية والبيئة العربية في مشاهد يوم القيامة(ابتسام مرهون الصفار)، ط١، مطبعة الآداب، النجف الأشرف – ١٩٦٧ م .
٨. التعريفات (على بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦ هـ))، دار الكتب العلمية، المطبعة الخيرية، مصر – ١٣٠٦هـ .
٩. التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل (د. محمود أحمد نحله)، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة – ١٩٩٩ م .
١٠. تفسير جامع الجوامع (لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ))، تح: مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، قم – ١٤١٨ هـ .
١١. تفسير القرآن العظيم (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ))، قدم له: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت – ١٩٩٢ م .
١٢. تفسير القمي (لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي (ت ٣٢٩))، المصحِّح: طيب الجزائري، ط٣ ، مؤسسة دار الكتاب، قم – ١٤٠٤هـ .

١٣. التفسير الكبير (لأبي عبد الله محمد بن عمر بن حسين الرازي (ت ٦٠٦ هـ))، ط٢، دار الكتب العلمية، طهران – د . ت .
١٤. التفسير الموضوعي لنهج البلاغة (محمود الهاشمي)، ط١، إصدار مكتب السيد محمود الهاشمي، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م .
١٥. التقابل والتماثل في القرآن (فايز القرعان)، ط١، الأردن – ١٩٩٤م .
١٦. التلخيص في علوم البلاغة (الخطيب القزويني)، شرحه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، لبنان – د . ت .
١٧. توضيح نهج البلاغة (السيد محمد الحسيني الشيرازي)، طهران، دار تراث الشيعة .

– ث –

١. ثلاثة كتب في الأضداد (الأصمعي (ت ٢١٦ هـ)، والسجستاني (ت ٢٥٥ هـ))، وابن السكّيت ، نشر أوغست فنر، بيروت – ١٩١٣م .

– ج –

١. جماليات الخبر والإنشاء (د. حسين جمعة) منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق – ٢٠٠٥ م .
٢. الجملة الدنيا والجملة الموسعة في كتاب سيبويه (د. علاء إسماعيل الحمزاوي)، المنيا، مصر – د . ت .
٣. الجنى الداني في حروف المعاني (حسن بن أم قاسم المرادي (ت ٧٤٩ هـ))، تح: طه محسن، مؤسس دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل–١٣٩٦ هـ – ١٩٧٦ م .

– ح –

١. حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة (لأبي محمد بن الحسين بن الحسن البيهقي (ت ٥٧٦هـ))، قطب الدين الكيذري، ط ١، مؤسسة نهج البلاغة ونشر عطارد، قم – ١٣٧٥ هـ .

٢. حروف المعاني بين الاصالة والحداثة (حسن عباس) منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق – ٢٠٠٠ م .
٣. حسن التوسل إلى صناعة الترسل (شهاب الدين الحلبي)، تح: اكرم عثمان يوسف، وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد للنشر، العراق–١٩٨٠م.
٤. الحماسة البصرية (صدر الدين أبو الحسن علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري (ت ٦٥٩ هـ))، تصحيح: مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت – ١٩٦٤م .

– خ –

١. الخصائص (أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ))، تح: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان – د . ت .
٢. خصائص الأسلوب في الشوقيات (محمد الهادي الطرابلسي)، منشورات الجامعة التونسية – ١٩٨١م .

– د–

١. دراسات في النفس الإنسانية (محمد قطب)، بيروت، دار الشروق،١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م .
٢. دلائل الإعجاز (عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت ٤٧١ هـ))، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمدشاكر، ط٣، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٣ هـ –١٩٩٢ م .
٣. الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية (د.صفية مطهري)،اتحاد الكتاب العرب، دمشق – ٢٠٠٣ م .
٤. ديوان أبي الطيب المتنبي (ت ٣٥٤ هـ) بشرح أبي البقاء العكبري، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان – د . ت .
٥. ديوان البحتري (ت ٢٨٤ هـ)، تح: حسن كامل الصيرفي، ط٢، دار المعارف، مصر – د . ت .
٦. ديوان دعبل الخُزاعي (ت ٢٤٦ هـ)، تح: د. محمد يوسف نجم، دار الثقافة، بيروت، لبنان – ١٩٦٢م .

- ز -

١. الزمن في القرآن الكريم (د. بكري عبد الكريم)، ط٢، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة – ١٩٩٩م .
٢. الزينة في الكلمات الإسلامية (لإبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي (ت٣٢٢هـ))، عارضة وعلق عليه: حسين فيض الله الهمذاني، ط٢، الناشر دار الكتب العربي، بمصر – ١٩٥٧م .

- س -

١. سر الفصاحة (لأبي محمد عبد الله بن محمد سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ))، شرح: عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة – ١٩٦٩م .
٢. سنن ابن ماجه (محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه (ت ٢٠٧ هـ))، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان –د . ت .

- ش -

١. شبه الجملة – دراسة تركيبية تحليلية مع التطبيق على القرآن الكريم (د . سوزان محمد فؤاد فهمي)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر القاهرة – ٢٠٠٣ م .
٢. شذا العرف في فن الصرف (أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي (ت١٣٥١هـ))، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط١٥، القاهرة، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م .
٣. شرحابن عقيل (بهاء الدين عبد الله المصري الهمداني (ت ٧٦٩ هـ))، تح: محمد محيى الدين عبد الحميد، ط٢، دار الفكر، بيروت – ١٩٨٥ م .
٤. شرح شافية ابن الحاجب (رضي الدين محمد بن الحسين الاستراباذي (ت ٦٨٦ هـ))، تح: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م .
٥. شرح المفصل (موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣ هـ))، عالم الكتب، مكتبة المتنبي، القاهرة – د . ت .

٦. شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦ هـ))، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار إحياء الكتب العربية ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م .
٧. شرح نهج البلاغة (عباس علي الموسوي)، ط١ ، دار الرسول ودار الخيمة البيضاء، بيروت – ١٤١٨هـ .
٨. شرح نهج البلاغة (المصباح، شرح الكبير) (كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٧٩ هـ أو ٦٩٩ هـ))، ط ٢، مطبعة خدمات چاپي ٣٩٦، طهران – ١٤٠٤هـ .
٩. شرحنهج البلاغة (من أعلام القرن الثامن)، تح: عزيز الله العطاردي، ط١، طهران – ١٣٧٥هـ .

– ص –

١. الصبغ البديعي في اللغة العربية (أحمد إبراهيم)، دار الكتب، القاهرة – ١٩٦٩م .
٢. صفوة شروح نهج البلاغة (أركان التميمي)، ط٢، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت، لبنان – ٢٠٠٤م .
٣. الصورة البيانية بين النظرية والتطبيق (د. حفني محمد شرف)، ط٢، دار نهضة للطبع والنشر، مصر – ١٩٧٩م .
٤. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي (جابر أحمد عصفور)، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت – ١٩٨٣م .
٥. الصورة الفنية في المثل القرآني، دراسة نقدية وبلاغية (د. محمد حسين علي الصغير)، دار الرشيد للنشر–١٩٨١م.

– ط –

١. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة (يحيى بن حمزة العلوي (ت٧٤٥هـ))، مطبعة المقتطف، مصر – ١٩١٤ م .

– ع –

١. علم الأسلوب (مبادؤهوإجراءاته) (د. صلاح فضل)، ط١، دار الشروق، القاهرة – ١٩٩٨م .

٢. علم الدلالة (أحمد مختار عمر)، ط١، مكتبة دار العربية، الكويت – ١٩٨٢م .
٣. علم الدلالة (جون لاينز)، ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة، مطبعة البصرة – ١٩٨٠م.
٤. علم الدلالة (ف بالمر)، ترجمة: مجيد عبد الحميد الماشطة، مطبعة العمال المركزية – ١٩٨٥م .
٥. علم الدلالة العربي (فايز الداية)، ط١، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر – دمشق ١٩٨٥ .
٦. عمدة الصرف (كمال إبراهيم)، ط٢، مطبعة الزهراء، بغداد ، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م .
٧. العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده (لأبي علي الحسن بن رشيق (ت ٣٩٠ – ٤٥٦هـ))، حققه وفصّله: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٤، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، لبنان – ١٩٧٢م .
٨. عيار الشعر(محمد بن إبراهيم ابن طباطبا (ت ٣٤٥ هـ))، تح: عباس عبد الستار، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – ١٩٨٣ م .

– ف –

١. الفروق في اللغة (لأبي هلال العسكري)، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت – ١٩٧٧م .
٢. الفعل زمانه وأبنيته (د. إبراهيم السامرائي)، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت – ١٩٨٠م .
٣. فقه اللغة وسر العربية (أبو منصور الثعالبي (ت ٤٣٠ هـ))، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،د . ت .
٤. في البنية والدلالة – رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية (د. سعد أبو الرضا)، منشأة المعارف بالإسكندرية – د . ت .
٥. في ظلال نهج البلاغة (محمد جواد مغنية)، ط١، دار العلم للملايين، بيروت – ١٩٧٢م .
٦. في النحو العربي – نقد وتوجيه (د. مهدي المخزومي)، منشورات المكتبة العصرية، لبنان – د . ت .

– ق –

١. القاموس المحيط (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ))، موشي الحواشي: الشيخ نصر الهوريني، دار العلم، بيروت، لبنان – د . ت .
٢. قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم (د . سناء حميد البياتي)، دار وائل للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن – ٢٠٠٣م .

– ك –

١. كتاب الأضداد (لأبي حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني)، تح: محمد عودة أبو جري، مراجعة د. رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .
٢. كتاب الأفعال (أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن القوطية (ت ٣٦٧هـ))، إشراف: علي راتب، تح: علي فودة، ط١، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية – ١٩٥٢ م .
٣. كتاب الأفعال (لأبي القاسم علي بن جعفر السعدي (ت ٥١٥هـ))، ط١، عالم الكتب، بيروت – ١٩٨٣م .
٤. كتاب البديع (عبد الله بن المعتز (ت ٢٩٦ هـ))، نشره: أغناطيوس كرانشقوفسكي، ط٢، دار المسيرة، بيروت – ١٩٨٢م .
٥. كتاب سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ))، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ودار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٢هـ– ١٩٨٢م .
٦. كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر (الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥ هـ))، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه – ١٩٧١م .
٧. كتاب العين (الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ)) ، تح: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر ودار صادر للنشر – ١٩٨٢م .
٨. الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (جار الله محمود الزمخشري)، نشر طهران – د . ت .

٩. الكليات (أبوالبقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤ هـ))، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، دار النشر، مؤسسة الرسالة، بيروت- ١٩٨٩ م .

- ل -

١. لسان العرب (جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ت ٧١١ هـ))، دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت – ١٣٧٥هـ – ١٩٥٦م .
٢. اللغة (فندريس)، تعريب: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، د . ت .

- م -

١. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (ضياء الدين ابن الأثير (ت٦٣٧ هـ))، تح: أحمد حوفي و د . بدوي طبانه، دار النهضة، مصر – د . ت .
٢. مجمع البحرين (فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥ هـ))، تح: أحمد الحسيني، ط٢، الناشر: مكتب نشر الثقافة الإسلامية – ١٤٠٨هـ .
٣. مجمع البيان في تفسير القرآن (لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨))، تح: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، ط١، الناشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – ١٤١٥هـ .
٤. المحكم والمحيط الأعظم (علي بن إسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨ هـ))، تح: د. مراد كامل، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١، مصر، ١٣٩١هـ – ١٩٧١م .
٥. المختصر ضمن شروح التلخيص (العلامة سعدالدين التفتازاني (ت ٧٩٣ هـ))، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، مصر-١٩٧٣م.
٦. المصباح المنير (أحمد بن محمد علي المقري الفيومي (٧٧٠هـ))، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م .
٧. معارج نهج البلاغة (ظهير الدين أبو الحسن علي بن زيد بيهقي فريد خراساني (ت ٥٥٢ هـ))، ط١، مكتبة المرعشي النجفي، قم – ١٤٠٩هـ .
٨. معاني الأبنية في العربية (د. فاضل صالح السامرائي)، ط١، الكويت -١٩٨١ م .
٩. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ))، تح: مصطفى السقّا، ط٣، عالم الكتب، بيروت – ١٤٠٣ هـ .

١٠. معجم المصطلحات البلاغية (أحمد مطلوب)، مطبعة المجمع العلمي العراقي – ١٩٨٦م .

١١. معجم مقاييس اللغة (أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ))، تح: عبد السلام محمد هارون، ط١، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة – ١٣٦٨ هـ .

١٢. المعجم الوسيط (إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار)، أشرف على طبعه عبد السلام هارون، المكتبة العلمية، طهران – د . ت .

١٣. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ))، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: مكتبة المرعشي، قم، مطبعة المدني، القاهرة – ١٤٠٥هـ .

١٤. المفردات في غريب القرآن (أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني(ت ٥٠٢ هـ))، تح : سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت – د . ت .

١٥. المفصل في صنعة الإعراب (أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ))، تح: د. علي بو ملحم، ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت – ١٩٩٣م .

١٦. مقدمة في النقد الأدبي (د. علي جواد الطاهر)، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – ١٩٧٩م .

١٧. المنطق (محمد رضا المظفر)، ط١٢، دار نشر إسماعيليان، إيران – ١٤٢٥ هـ .

١٨. المنطق الصوري منذ أرسطو طاليس حتى عصرنا الحاضر (د. علي سامي النشار)، ط٤، دار المعارف، القاهرة – ١٩٦٦ م .

١٩. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي)، مكتبة المرعشي النجفي العامة، قم – ١٤٠٦هـ .

٢٠. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي)، ط٤، طهران، المكتبة الإسلامية – ١٤٠٥هـ .

٢١. منهاج البلغاء وسراج الأدباء (لأبي الحسن حازم القرطاجني (ت٦٨٤ هـ))، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت – ١٩٨١م .

٢٢. الموازنة بين أبي تمام والبحتري (لأبي القاسم الحسن بن بشير بن يحيى الآمدي)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الميسرة ، ١٩٤٤م .

٢٣. الميزان في تفسير القرآن (محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ))، مؤسسة النشر الإسلامي، قم – د . ت .

– ن –

١. الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى (قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٧هـ))، تح: د. حاتم صالح الضامن، ط٣، مؤسسة الرسالة، جامعة بغداد، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م .
٢. نقد الشعر (لأبي الفرج قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ))، تح: محمد عبد المنعم الخفاجي، ط١، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة – ١٩٧٩م .
٣. نهاية الأرب في فنون الأدب (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٣ هـ))، نسخة مصورة عن مطبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة – د . ت .
٤. نهج البلاغة، تح: محمد عبده، دار المعرفة، بيروت – د .ت .

– هـ –

١. همع الهوامع– شرح جمع الجوامع (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ))، تصحيح: محمد بدر الدين النعساني، ط١، محمد أمين الخانجي الكتبي وشركاؤه بمصر والإستانة– ١٣٢٧هـ .

الرسائل و الأطاريح الجامعية

- الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس (أطروحة دكتوراه) (صباح عباس سالم الخفاجي)، كلية الآداب / جامعة القاهرة، القاهرة، ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م .
- أبنية المشتقات في نهج البلاغة (رسالة ماجستير) (ميثاق علي عبد الزهرة الحيمري)، كلية الآداب / جامعة البصرة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣ م .
- إسناد الفعل – دراسة في النحو العربي (رسالة ماجستير) (رسمية محمد المياح)، كلية الآداب / جامعة بغداد، ١٣٨٦هـ – ١٩٦٥م .
- الفاظ العقيدة والشريعة في نهج البلاغة (فضيلة عبوسي محسن)، (رسالة ماجستير) كلية التربية / جامعة الكوفة–١٩٨٨م.
- التقابل الدلالي في القرآن الكريم(رسالة ماجستير) (منال صلاح الدين عزيز الصفار)، كلية الآداب / جامعة الموصل، ١٤١٤هـ– ١٩٩٤م.
- خطب نهج البلاغة – بحث في الدلالة (رسالة ماجستير) (أحمد هادي زيدان)، كلية التربية / جامعة بابل، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .
- ديوان كعب بن زهير – دراسة من الناحية الدلالية (رسالة ماجستير) (جاسب فالح حسن)، كلية الآداب / جامعة الأزهر، ١٤٠٢هـ – ١٩٨١ .
- ظاهرة التقابل في اللغة العربية (رسالة ماجستير) (عبد الكريم محمد حافظ)، كلية الآداب / الجامعة المستنصرية، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م .
- الفعل في نهج البلاغة – دراسة صرفية (رسالة ماجستير) (جبار هليل زغير الزيدي)، كلية الآداب / جامعة القادسية، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥ م .
- معاني الأبنية الصرفية في مجمع البيان (رسالة ماجستير) (نسرين عبد الله شنوف الزجراوي)، كلية التربية للبنات / جامعة الكوفة ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .
- المعاني الوظيفية في سورة الأنعام – دراسة دلالية (رسالة ماجستير) (شيماء عثمان)، كلية الآداب / جامعة البصرة، ١٤٢٥هـ –٢٠٠٤ م .

البحوث و المقالات

- الأسلوب بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحديثة (مقال) (د. محمد بلوحي)، مجلة التراث العربي، العدد ٩٥، دمشق، أيلول ٢٠٠٤م – رجب١٤٢٥هـ .
- التحفة الوفية بمعاني حروف العربية (بحث) (إبراهيم بن محمد بن إبراهيم السفاقسي ت ٧٤٢هـ)، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ١٩ .
- حروف الجر وتعلقها (بحث) (د. خليل إبراهيم السامرائي)، مجلة الأحمدية، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي – الإمارات العدد ٢٧، المحرّم ١٤٢٢ هـ .
- دلالة الأطر الأسلوبية (بحث) (رشيد بلحبيب)، المجلة العربية للثقافة، العدد ٣٧، ١٩٩٩م .
- الصورة الفنية في كلام الإمام علي عليه السلام (بحث) (د. خالد محي الدين البرادعي)، مجلة المنهاج، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت، العدد ١٥، س٢، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م .
- ظاهرة التقابل الدلالي في سورة الزمر (بحث) (أحمد نصيف الجنابي)، مجلة الرسالة الإسلامية، طبع الدار العربية، بغداد – ١٩٨٨ م .
- ظاهرة التقابل في علم الدلالة (بحث) (د. أحمد نصيف الجنابي)، مجلة آداب المستنصرية – ١٩٨٤م .
- ظاهرة التقابل الدلالي في القرآن الكريم (مقال) (هوازن عزة إبراهيم)، مجلة الأستاذ، العدد ٢٦، ج١، كلية التربية / ابن رشد – جامعة بغداد، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .
- نظرية المجال الدلالي (مقال) (علي زوين)، مجلة آفاق عربية، العدد، بغداد، ١٩٩٢م .